تُراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن هيئة أبوظبي للتراث العدد 298 أغسطس 2024

النمر العربي:
رمز ثقافي وبيئي
في ذاكرة الجزيرة العربية

ذكريات زمن البدايات
الإعلام البترولي وأعمدة الاقتصاد

ألفاظ الحيوان
وما دار في فلكه

ربيع الغابة رواية تفتح نافذة
على التراث وتبرز تناقضات العالم

الدلالات الرمزية للنمر
في القصيدة العربية

«البَوَّ» و«المُجدَارْ»
مِنْ حِيَل التُّراثِ العَرَبِيّ
فِي الخِدَاعِ البَصري والرِّضَا النَّفْسِي

الخط العربي..
تجسُّد الإبداع وحضور التاريخ

التدخل الجيني ينقذ النمر العربي من الانقراض

النمر العربي:
رمز ثقافي وبيئي في ذاكرة الجزيرة العربية

يعتبر النمر العربي رمزاً ثقافياً وبيئياً وجمالياً لشبه الجزيرة العربية التي تعد موطنه الأصلي. وتعود علاقته بالإنسان إلى آلاف السنين، كما تُظهر النقوش الصخرية اندماجه في التراث والأدب الشعبي العربي. وعلى الرغم من صعوبة رؤيته، فإن النمر العربي يبقى حاضراً في الوعي الثقافي فهو سيد الجبال وأبرز مفترس في المنطقة، وبجماله وجلاله، أصبح رمزاً للقوة والغموض والنفوذ، وظل وجوده راسخاً في الثقافية العربية كالغائب الحاضر، ما جعله مصدر إلهام للأدباء، حيث تتنوع تمثيلات النمر العربي في الأدب بين الأشعار والحكايات التاريخية، فيظهر أحياناً كشريك للإنسان في مواجهة التحديات، وفي أحيان أخرى كالحكيم الذي يقدم النصائح والإرشادات.

وفي مجال الفن، يظل النمر العربي مؤثراً كبيراً على الفنانين، حيث يظهر بوضوح في العديد من أعمال الرسم والنحت والفنون اليدوية. كما يمثل النمر العربي رمزاً للفخامة والقوة، الأمر الذي يجعله حاضراً في أعمال الديكورات المختلفة، حيث ينعكس جمال هذا الحيوان في العديد من التصاميم الداخلية، وتستخدم الزخارف المستوحاة منه في الأثاث والسجاد واللوحات الفنية، ما يضفي على المكان أجواء تعكس الطبيعة البرية الجميلة والتراث الثقافي الغني للمنطقة، وهذا بدوره يبرز مكانة النمر العربي الفريدة في الثقافة العربية وانطلاقاً من حرص دولة الإمارات العربية المتحدة على حماية النمور العربية وتأمين استقرارها في العالم، حيث أدى فقدان وتجزئة بيئاتها الطبيعية في الدولة، بالإضافة إلى انخفاض عدد الفرائس، إلى تراجع ملحوظ في أعدادها. علاوة على ذلك، تعرضت النمور للصيد لحماية الماشية، مما زاد من الضغوط عليها وقاد إلى انقراضها في دولة الإمارات. وفي عام 2014، شهدت مدينة أبوظبي قيام تحالف دولي غير مسبوق يهدف إلى إنقاذ النمر العربي وجميع الحيوانات التي تنتمي إلى فصيلة السنوريات في العالم من خلال دعم مؤسسة «بانثيرا»، وهي منظمة دولية تُعنى بحماية السنوريات. ويتابع صندوق محمد بن زايد للمحافظة على الكائنات الحية هذا التعاون مع جهات بحثية أخرى في منطقة الجزيرة العربية. كما أمر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة الشارقة، بإنشاء جمعية للرفق بالنمر العربي التي أسهمت في تحقيق إنجازات مهمة على صعيد حماية هذا الحيوان النادر. ومن أجل تعزيز الجهود المشتركة لإحياء هذا الإرث الطبيعي والثقافي والأدبي، جاء اختيارنا ليكون ملفاً لعدد تراث لهذا الشهر، والأمل يحدونا بأن تستمتعوا بموضوعات العدد المتنوعة.

شمسة الظاهري
رئيسة التحرير

هيئة أبوظبي للتراث
Abu Dhabi Heritage Authority
السلسلة التراثية الثقافية

torathehc www.torath.ae

82
وجهة سفر

عين اليونان (أثينا)

وعلى تلة الأكروبوليس الصخرية التي تهيمن على وسط أثينا الحديثة كان هناك أهم وأبهى ملاذ للمدينة القديمة وتمّ تخصيصه في المقام الأول للإلهة الراعية للمدينة، وترتبط بأهم أساطير أثينا القديمة والأعياد الدينية الكبرى وأقدم الطوائف في المدينة، وكذلك بعض الأحداث المميزة في تاريخها بهذا المكان المقدس، وتعد آثار الأكروبوليس التي تمتزج بشكل متناغم مع البيئة الطبيعية، من روائع الهندسة المعمارية القديمة الفريدة، والتي تعبّر عن الارتباطات الرائدة بين إيقاعات واتجاهات الفن الكلاسيكي، والتي أثّرت على الإبداع الفكري والفني لعدّة قرون لاحقة ... ضياء الدين الحفناوي

86
ارتياد الآفاق

علي الدوعاجي مسافر المركب النشوان

تنقل لنا الرحلة وصفاً تفصيلياً وانطباعات دقيقة عن تصرفات الناس وحركاتهم وأحاديثهم عبر مؤلف حاضر البديهة، دقيق الملاحظة حاد التعليق والانتقاد، وإمعاناً منه بالسخرية، فقد اختار لرحلته عنواناً ساخراً «حانات» المتوسط عوضاً عن مدن الساحل العريض وموانيه؛ معللاً ذلك بضيق الوقت قائلاً: «إننا لم نَر من هذه الموانئ إلا حاناتها ومقاهيها»! ويعود ليؤكد أن دافع تدوين رحلته هو «تسلية القراء»، لكن ما سيلحظه القارئ الأريب للرحلة هو تلك النبرة الشاعرية التي يصف بها الدوعاجي المدن في مغامرة شيقة قلّ نظيرها في خزانة الرحلة الكلاسيكية أو المعاصرة ... محمد عبد العزيز السقا

10

86

104

96
سرد الذاكرة

الإعلام البترولي وأعمدة الاقتصاد

عندما حاول أحد المسؤولين عن الإعلام في ذلك الزمن أن يحذرني من الإعلام البترولي، وينصحني بالاتجاه إلى موضوع آخر أو قضية أخرى، وجدت نفسي أتشبث بهذه القضية، وأزداد إيماناً بعدالتها، وبحاجتها إلى الإعلام أكثر من أي قضية أخرى. وهذا ما جعلني منذ البدء أفتح عقلي وقلبي معاً لكل ما هو بترولي، وأتلقف جميع الكتب والنشرات التي وضعها الدكتور مانع أمامي، وأقرؤها بعمق واهتمام، وأتعلم منها ما يجعلني مقنعاً في الدفاع عن قضية البترول في دولة الإمارات العربية المتحدة ... خليل عيلبوني

98
أدب ونقد

ربيع الغابة: نافذة على التراث وتناقضات العالم

أرجأ الكاتب الكشف عن هوية بطله في مفاجأة للقارئ، إذ تبين أنه فأرقبيح، يعاني تبعات قبحه؛ من تجاهل واحتقار حيوانات الغابة له، لا سيما حبيبته. ما دفعه لممارسة الحيلة، من أجل الانخراط في مجلس الملك «الأسد» ورفقته. واستغل عدل الأسد وسماحته، وكذا شقاق الحيوانات وانقساماتها، وجنوحها إلى النكايات والمصلحة الفردية؛ لتحقيق مآربه في الصعود إلى الحكم، وإزاحة الحاكم العادل، مستخدماً الأغلبية، وحيلة الديمقراطية، التي لم تفرز إلا الأسوأ ... نشوة أحمد

116

118

128

80 الأبواب الخفية - **عبد الفتاح صبري**

101 رباعيات روحانية - **شعر: الدكتور شهاب غانم**

104 الفنون في الأندلس - **نورة صابر المزروعي**

106 **قراءة في رواية «ريما بالي»**

«خاتم سليمى».. طرح علاقة الثنائيات والتناقضات - **خالد عمر بن ققة**

110 **النظريات الاجتماعية:** من رؤى الحالمين إلى اختبارات الطامعين - **شريف مصطفى محمد**

112 أنثروبولوجيا المكان والتراث

في رواية «**تربيع أول**» للكاتب الإماراتي سعيد الحنكي - **أحمد عبد القادر الرفاعي**

116 الخط العربي.. تجسُّد الإبداع وحضور التاريخ - **حمزة قناوي**

122 الحبُّ الأول.. ليس تجربة - **شيخة الجابري**

124 حمدة محمد الزرعوني:

مفاتيح التعلم من قسم التاريخ والحضارة الإسلامية - هشام أزكيض

128 الشاعرة وسمية العازمي «عابرة سبيل» - **مريم النقبي**

130 خروفة أم الدياية - **فاطمة حمد المزروعي**

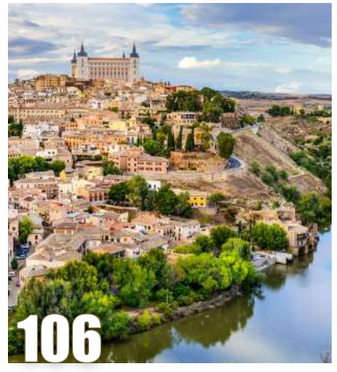

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأمريكية وكندا 5 دولارات.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو هيئة أبوظبي للتراث

102
أوراق تراثية

(البَوُّ) و(المِجْدَارُ) مِنْ حِيَل التُّراثِ العَرَبِيّ

توصلت العرب قديماً إلى إيجاد حيلة أو وسيلة لتعويض (الناقة) التي فقدت فصيلها بأن أقاموا مقامه ما يُخَيِّل إليها أنّه ما زال حياً؛ فصنعوا لها (بوّاً)، و«البو: جلد الحُوار يُمْلَأ تبناً أو حشيشاً وَيقرّب إلَى أمه لترأمه فتدرّ عَلَيْه»، ويُقال:«جَلَّدتُ البَوَّ تجليداً أي حشوته بالتبنِ» «والجَلَدُ والجِلْدُ: ما تُغطفُ عليه الناقَةُ فَتَرْأَمُه. وشاةٌ جَلَدٌ وجَلَدَةٌ: إذا ماتَ وَلَدُها». وجاء في الإبانة «والبَوُّ... جلدٌ يُحشى فتعطفُ عليه الناقة بشمه» ..... محمد محمد عيسى

118
مزن الشعر

البكاء شعراً

يتموضع الدمع في كثير من نظم الشعراء، لذة يتفرّدون بها عن غيرهم من البكّائين، إذ يرسم البكاء كثيراً من أحوال وجدهم وجياشة حزنهم؛ فالشعر العربي بدأ بالبكاء منذ الملك الضليل (امرؤ القيس) الذي بكى واستبكى شعراً حين بدأ معلقته بمطلعها الخالد: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل/ بسقط اللوى بين الدخول فحومل. وقد زخرت مدونة الشعر النبطي في الإمارات بالبكاء الذي تتنوع علاماته وإشاراته؛ فهو تارة علامة للفراق أو استعادة الذكريات، وأخرى علامة لليأس والضياع، أو هو لفجيعة الموت أو ألم الارتحال ... خالد صالح ملكاوي

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:

هيئة أبوظبي للتراث
Abu Dhabi Heritage Authority

رئيس التحرير
شمسة حمد العبد الظاهري

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
هاتف: 024456456 - 024092336

شراسة المعتدي: حكاية الشاعر والطائرين

الشاعر محمد بن عايض بن هادي الأحبابي

في يوم من الأيام، مرّ الشاعر على طائرين، أحدهما كبير والآخر صغير، وكان الطائر الكبير يحاول الاعتداء على الصغير. فتدخل الشاعر ومنع الطائر الكبير وأبعده عن الصغير. لكن بعد مغادرة الشاعر، استغل الطائر الكبير الفرصة واعتدى على الصغير مسبباً له إصابات بليغة. وعندما عاد الشاعر بعد فترة وجيزة، وجد الطائر الصغير يحتضر. فقام بتصوير هذا الموقف من خلال الأبيات الشعرية التالية:

يـــا للـــه انـــي طالـــبٍ ربـــنا وهـــــو الولـــي
ياولـــي العـــرش فك الضعـيف مـــن القـــوي
افرع الطيـــر المغربـــل وعيّـــا مـــا يطيـــع
قلت بالك تقتلـــه قـــال انـــا لك ما انتهـــي
قلـــت اخـــوك ضعيـــفٍ جعل مـــالك ملتقـــي
لي قتلتـــه يـــا المغربـــل جعلنـــا فيـــك ريـــع
قال لـــه م الذل خلني وأجيـــك بمـــا تبـــي
قـــال نَفْعَتِـــك مالـــي بهـــا غيـــر قتلك لذلي
والله آفيـــك إن اجـــعل الموت في عينك سريـــع
رحـــت منـــه ويوم أعينـــا فليـــه يصـــيح لـــي
جيت أنا أسعـــى في سنـــع ذا الضعيف المبتلـي
ليه هذا ينتـــق ويوصـــي تحـــت عـــودٍ صريـــع
قلـــت أنا لـــه ويش علـــمك فقال لي اسقنـــي
قمـــت أنا عجـــل وسقيتـــه شـــراب مـــن روي
كســـره عقبـــي عسـى حظ الاقـــشر ما يشيـــع
قال عقبكـــم جاني وانا قـــد ومـــنت ولزمنـــي
وقلتلـــه مـــاذا بحـــق المعرفـــه هدّنـــي
قال المعرفـــه زلّتـــك واتّقـــى منـك المنيـــع

القصيدة للشاعر محمد بن عايض بن هادي الأحبابي، الذي ولد في عام 1934 في مدينة العين. بدأ نظم الشعر في سن مبكرة، حيث اتجه في البداية إلى مختلف أغراض الشعر النبطي، مثل: الغزل، والمديح، والرثاء. إلا أنه لاحقاً ركز على الشعر الديني والنصح والحكم، ما جعل هذا الجانب يطغى على معظم أعماله. شارك الشاعر محمد بن عايض في أول مجلس شعراء على مستوى دولة الإمارات العربية المتحدة، الذي كان يعرف باسم مجلس شعراء البادية، حيث كانت برامجه تُذاع من إذاعة أبوظبي في الفترة ما بين عامي 1968 و1971.

النمر العربي:
رمز ثقافي وبيئي في ذاكرة الجزيرة العربية

10 النمر العربي.. الأيقونة الحيّة - خالد صالح ملكاوي
16 النمر العربي.. بين الرمزية الثقافية وشبح الانقراض - خالد محمد القاسمي
22 النمر العربي رمز ثقافي وبيئي وجمالي
في ذاكرة الجزيرة العربية - عائشة علي الغيص
27 بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتيّة فيما طابق الفصيح
ألفاظُ الحيوان وما دار في فلكه - محمد فاتح صالح زغل
28 النمر العربي .. ولمّ الشتات - لولوة المنصوري
30 الشارقة تتصدر مراكز الإكثار العربية بـ (34) نمراً
التدخل الجيني يُنقذ النمر العربي من الانقراض - أماني إبراهيم ياسين
36 النمر العربي في حضوره اللافت بين بيئته الجبلية وفضاء القصائد الشعرية - أحمد حسين حميدان
42 النمر العربي.. بين زمنين - سرور خليفة الكعبي
44 من «صداقة» القتّال الكلابي إلى «سيف» نمر بن عدوان
الدلالات الرمزية للنمر في القصيدة العربية - الأمير كمال فرج
50 النمر العربي.. بين الانقراض والاستدامة - مريم سلطان المزروعي
54 النمر أو السبنتي في التراث الأدبي - قمر صبري الجاسم
58 إعادة إدخال النمور العربية إلى البرية مع الاستعادة الشاملة للبيئة الطبيعية بالعلا
في المملكة العربية السعودية - محمد فاتح صالح زغل
62 النمر العربي رمز ثقافي مهدد بالانقراض - فاطمة سلطان المزروعي
66 النمر العربي في التراث والثقافة وتحدّيات الانقراض - أماني محمد ناصر
72 النمر العربي ذلك الرمز التراثي الجميل - محمد نجيب قدورة
76 النمر المتواري بين سطور الشعر وأوراق الأدب - نوزاد جعدان

النمر العربي.. الأيقونة الحيّة

خالد صالح ملكاوي

رغم غيابه المقلق وما يهدده من مخاطر الانقراض في بيئته الأصلية التي عاش بين مرتفعاتها في شبه الجزيرة العربية، لم يزل النمر العربي يمثل أيقونة تحمل معها أصالة المنطقة وتاريخها، وتختزن الكثير من الرموز المتجذرة في عمق موروثها، ما يستنهض الهمم والعزائم للحفاظ على بقاء هذا الكائن البري، وإكثاره عبر مختلف مستويات الجهود: الشعبية والرسمية، والدولية كذلك.

فالنمر العربي الذي ظهر في أفريقيا منذ 500 ألف عامٍ تقريباً، هو أحد أهمّ أنواع الثدييات الأصلية الموجودة في شبه الجزيرة العربية، امتدّت موائله الطبيعية من البحر الأبيض المتوسط وصولاً إلى الخليج العربي لتشمل المناطق الجبلية في أنحاء شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وشبه جزيرة سيناء، إذ توفر المناطق الجبلية للنمر أماكن اختباء وتخفّي، وتقلّل من مخاطر صيده. ويمثل هذا الكائن البري جزءاً من عمق التاريخ العربي في شبه الجزيرة العربية، إذ حفره الإنسان القديم قبل نحو سبعة آلاف عام في منحوتات على جدران الكهوف، وقد اكتُشفت أُولى صُوره في رسمٍ داخل كهف في بعض مناطق المملكة العربية السعودية حالياً. وظهر في آثار مملكة سبأ اليمنية القديمة قبل نحو 2500 عام أيضاً، إذ يبرز في إفريز من المرمر منحوت لنمر عربي يهاجم وعلاً جبلياً.

وقد ظل هذا النمر في السابق يُعد أكبر سلالات النمور انتشاراً؛ حيث كان ينتشر وبكثرة على رقعة كبيرة جداً من شبه الجزيرة العربية. وحتى أواخر ستينيات القرن الماضي، كان ينتشر بنطاق كبير وواسع في الجبال على طول سواحل البحر الأحمر، وبحر العرب. أما الآن فقد تبدّل الحال، فخسر 90% من أعداده منذ بداية القرن التاسع عشر، وصار وجوده يقتصر على شبه الجزيرة العربية، وكذلك شبه جزيرة سيناء في مصر، وتبقى منه في البرية أقل من 200 نمر، ما جعل اسمه مدرجاً على القائمة الحمراء للأنواع المهددة بالانقراض من الحيوانات.

سمات وخصوصية

يتخذ النمر العربي من الجبال العالية موطناً له، فهو سيد الجبال، وهذا على عكس ما هو معروف عن النمور عامة، من أنها تعيش في الصحاري والغابات. ومناطق انتشار النمر العربي محدودة، ويقتصر انتشاره على عدد قليل من الجيوب المعزولة في الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان واليمن. وقد انخفضت أعداد هذه النمور انخفاضاً كبيراً بسبب فقدان موائلها، وقلة الفرائس، وهجمات رعاة الماشية عليها.

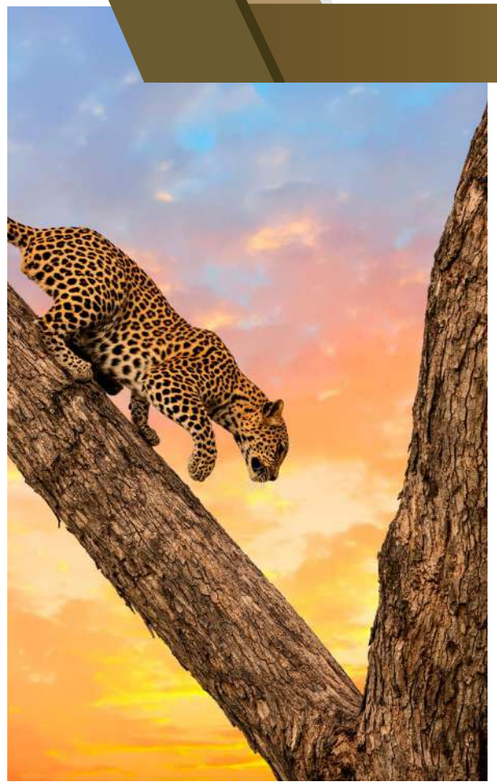

ويُعد هذا النمر من أجمل وأكبر وأقوى أنواع القطط الباقية في شبه الجزيرة العربية، وهو الأصغر بين سلالات النمور، ويندرج تحت فصيلة السنوريات التي تميل بطبيعتها إلى الانعزالية رغم نشاطها نهاراً وليلاً، حتى إنها لا تلتقي مع سلالتها إلا في فترة التزاوج، وذلك على خلاف كثير من الحيوانات، ويتفرد النمر العربي بأنه حيوان انعزالي، حيث تعيش ذكوره بمعزل عن الإناث، ولا يلتقي الذكر وأنثاه إلا في موسم التزاوج، ثم ينفصلان، وتتولى الأم رعاية الصغار بمفردها، وهي تحرص على نطاقات حركة غنية بالغذاء، لرعاية صغارها وحمايتهم.

ويجيد النمر العربي السباحة. ويتميز بحذره الشديد من الاقتراب من أماكن الوجود البشري. وينشط في الليل والنهار، لكنه يصطاد فريسته في الليل؛ لا سيما عند الفجر وفي الغسق، لأنه يفضل أن يقضي وقت النهار الحار في الظل بعيداً عن العيون، فهو حيوان ليلي بارع في تسلق الأشجار، ومطاردة الفرائس أحياناً على قمم الأشجار وفروعها. ومما يميزه أنه يقوم بجذب طريدته، بعد قتلها إلى أعالي الأشجار لإبعادها والاحتفاظ بها في مأمن من بقية الحيوانات المفترسة التي تعتمد على سرقة فريسة غيرها، كالضباع والكلاب البرية وغيرها، ويساعده رداءه المرقط على التخفي بين أوراق الأشجار في الليل.

يمتلك كل نمر ذكر بالغ منطقة خاصة به يدافع عنها بشراسة، ويعيش فيها، ويتزاوج ويربي أشباله. وتحدد الذكور أراضيها ببولها وبُرازها ومواقع خدش الأشجار، وكذلك بالصوت المُنشاري العميق أو بصوت النخير (القباع)، فنشر البول واحدة من الطرق الرئيسية لتعليم المناطق الإقليمية وأماكن عيش النمور، كما يُعلّم النمر الجزء العلوي من جُحرهِ الصخري، وذلك بحكّ رأسه بالجزء الصخري، باستخدامه للغدد الموجودة في رأسه، حتى تترك رائحتها في أماكن عيشها وانتشارها.

وقد سُمي هذا الكائن نمراً لأنهُ أنْمر، أي مُرقط، فثمة ورديات

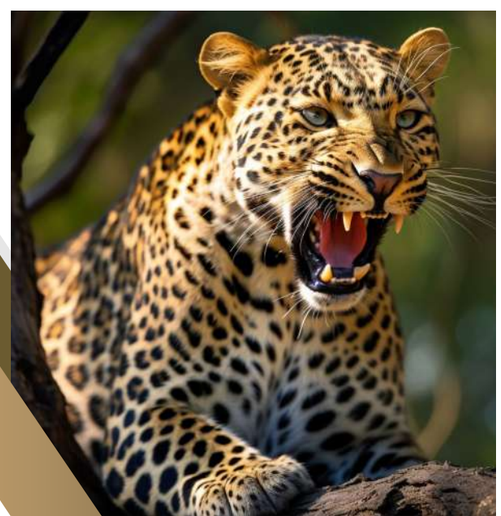

صغيرة متباعدة فوق فرائه ذي اللون البرتقالي الشاحب. ومن أسمائه: الأبرد، والأرقط، والسبنتي، والكثعم، والضرجع. وأنثاه تسمى: النمرة، والخيثمة، والسبنتان، والعسبرة. ومن أسماء أشباله: القزر، والهرماس. وصوت النمر عند الغضب يسمى الزَمخرة، أما عند الاسترخاء والراحة فيسمى الهرير والغطيط والخرير. ويُجمع اسم النمر على أنْمُر ونُمور وأنمار ونمارة.

يلعب النمر العربي دوراً مهماً في النظام البيئي لشبه الجزيرة العربية، فهو يتربع على قمة الهرم الغذائي كأكبر مفترس ما زال باقياً في المنطقة، ما يخدم النظم البيئية الجبلية، فهو مركز توازن تلك النظم، عبر تنظيم أعداد الطرائد مثل الغزلان والأرانب التي يفترسها، فيسهم في منع الزيادة المفرطة لهذه الحيوانات، مما يضمن عدم تدهور الغطاء النباتي والحفاظ على التنوع البيولوجي، إذ يعتبر الوجود المستمر للنمر العربي في بيئته الطبيعية دليلاً على صحة النظام البيئي واستقراره. ويمثل الاختفاء السريع له انتكاسة كبيرة في الجهود المبذولة لصون التنوع البيولوجي في بيئته الأصلية، الأمر الذي يتطلب مضاعفة الجهود الرامية لحماية هذا النمر كي تنعكس بشكل إيجابي على بيئته الطبيعية، حيث تسهم جهود حمايته في حماية المواطن الطبيعية والأنواع الأخرى التي تشاركه البيئة

> رغم غيابه المقلق وما يهدده من مخاطر الانقراض في بيئته الأصلية التي عاش بين مرتفعاتها في شبه الجزيرة العربية، لم يزل النمر العربي يمثل أيقونة تحمل معها أصالة المنطقة وتاريخها، وتختزن الكثير من الرموز المتجذرة في عمق موروثها

نفسها. وتسعى الأمم المتحدة إلى دعم جهود دول المنطقة المعنية في استعادة النمر العربي بوصفه نوعاً برياً رئيسياً يمثل الاستدامة في منطقته الأصلية. وقد استجابت لطلب دول المنطقة ودول أخرى تؤازرها، فاعتمدت العام الماضي قراراً أعلنت فيه العاشر من شهر فبراير من كل عام يوماً دولياً للنمر العربي نظراً لأهميته الحيوية للنظام الإيكولوجي (البيئي) في شبه الجزيرة العربية. وقد سبق هذا القرار بعقود الكثير من الجهود المتواصلة التي بذلتها الدول المعنية، وفي مقدمتها دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، للحفاظ على هذا الكائن الفريد، إذ تضافرت جهود الحكومات والمنظمات البيئية والمجتمع المحلي، وأثمرت هذه الجهود هيئات ومحميات ومسوحات ودراسات ما زالت تتآلف في خدمة غاياتها حتى اليوم.

الحضور في الموروث الثقافي العربي

رغم عزلته وصعوبة رؤيته، فإن للنمر العربي بُعده في الثقافة العربية، وله حضوره في الأدب العربي، لا سيما في الشعر العربي، فهو رمز للقوة والصلابة والإقدام والشجاعة، وكذلك للغموض والنفوذ، وهو كذلك رمز جمالي، نظراً لألوانه الخاصة به، وعينيه الحادتين، فهو يجسد جمال البرية وأسرارها. هذا الجمال الطبيعي الذي يميز البيئة العربية، جعل صاحبه موضوعاً مفضّلاً لدى المبدعين في المجالات الفنية، وأبقاه أيقونة جمالية تحمل معها أصالة المنطقة وتاريخها. وكل ذلك جعل مصطلح «النمر» يستخدم على نطاق واسع في جميع أنحاء المنطقة العربية كدلالة إعجاب، تعكس مدى اندماج النمر العربي في التراث الشعبي.

وشكلت أبرز صفات النمر مصدراً للأمثال والأقوال الشعبية، إذ يُضرب المثل بجلد النمر في المكاشفة وإبراز صفحة العداوة، كما يُضرب المثل بوثبته في الطول وبُعد المسافة، وبإسته (دبره) في الحماية والمنَعة؛ فيقال: «لَبسَ لهم جلدَ النمر»، و«وَثْبَةُ النمر»، و«أَحْمَى من أُسْتِ النمر»، و«أُعَزُ من أُسْتِ النمر»، و«أَمْنَع من أُسْتِ النمر».

ومن نصيبه في الشعر أنه كان مصدر تشبيه للقسوة،

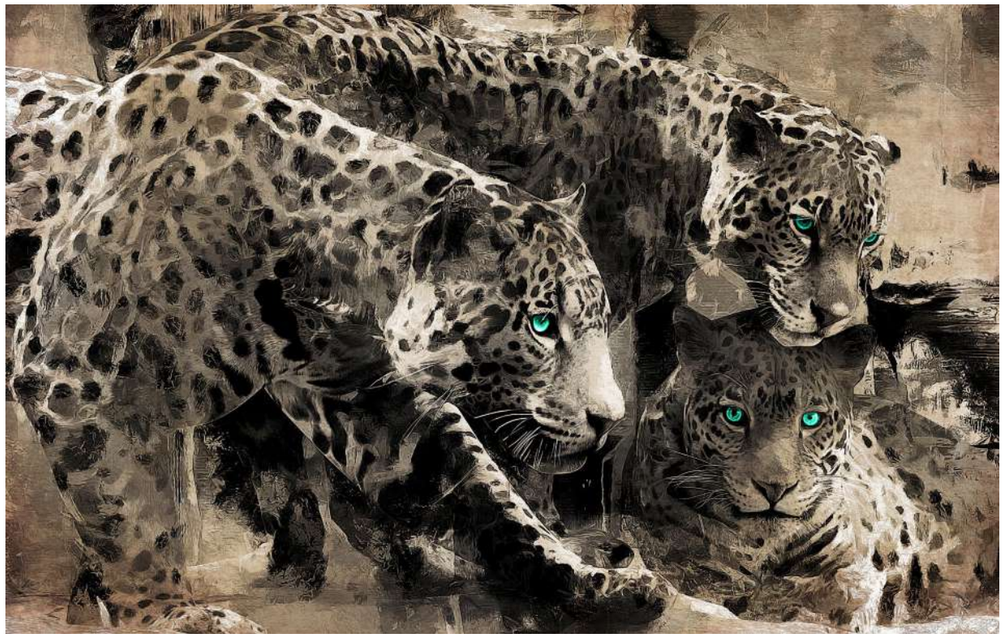

والصمود اللذين ميزا هذه المنطقة نتيجة طبيعتها القاسية عبر العصور، وكذلك كان رمزاً للشجاعة، حين قالت الخنساء في أخيها صخر أنه كان يمشي إلى الحروب كالنمر؛ هادئاً وسلاحه الأنياب والأظفار:

مَشى السَبَنتـــي إلى هَيجـاءَ مُعضِلَـــةٍ
لَـــهُ سِلاحـــانِ أَنيـــابٌ وَأَظفـــارُ

وفي معاوية، الأخ الآخر للخنساء، وظَّف صديقه دريد بن الصِّمَّة في رثائه جلد النمر، فقال:

بِشِكَّـــــةِ حازِمٍ لا عَيـــبَ فيـــهِ
إِذا لَبِـــسَ الكُمـــاةُ جُلـودَ نَمـــرِ

والأمر ذاته في جلد النمر فهو كناية عن الاستعداد للحرب مع الثعالبي حين قال:

كتَبْـــتُ مـــنْ صَوْمَعَـــةٍ
تَسْمَـــح بالقُـــوتِ العَسِـــرْ
والدَّهْـــرُ مـــنْ جفائِـــه
يَلْبَـــسُ لـــي جِلْـــدَ النَّمِـــرْ
فمـــاءُ عَيْـــشٍ كَـــدِرٌ
ونَجْـــمُ حالـــي مُنْكَـــدِرْ

وكذا فعل ابن الرومي في الهجاء، فقال:

وبـــارَزُوا اللـــهَ في قُرْبَى النبـــيِّ ولـــمْ
يَرْعَـــوا لَهُ حُرْمَـــةَ القُربَـــى ولا الإصَـــرِ
بَرُوا ذليـــلاً وعقُّـــوا اللهَ واعْتَصمُـــوا
مِنْـــهُ بِحَبْـــلٍ ضعيـــفٍ واهنِ المِـــرَرِ
سَـــرَى إليهِ عُـــداةُ اللـــهِ فانْصَلَتُـــوا
مُسْتَأْسِديـــنَ عليهِـــمْ جِلْـــدَةَ النَّمِـــرِ

إعلامي مقيم في الإمارات

المصادر والمراجع:

1. جريدة البيان، أعداد مختلفة.
2. جريدة الخليج، أعداد مختلفة.
3. جريدة عكاظ السعودية https://www.okaz.com.
4. العربية.نت. https://www.alarabiya.net.
5. مجلة البيئة والتنمية، العدد 97، إبريل/ نيسان 2006م، بيروت، المنتدى العربي للبيئة والتنمية (أفد) https://afedmag.com .
6. مجلة الشندغة، عدد 65، يوليو/ أغسطس 2005م. دبي: مجموعة الحبتور. https://www.alshindagah.com.
7. الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة في البحرين https://bahrain.un.org.
8. الموقع الإلكتروني لوزارة التغير المناخي والبيئة. https://www.moccae.gov.ae
9. https://aawsat.com.
10. https://www.almanwar.com.
11. https://web.archive.org.

النمر العربي..
بين الرمزية الثقافية وشبح الانقراض

خالد محمد القاسمي

النمر العربي، واسمه العلمي: Panthera pardus nimr، هو نوع فرعي من النمور المهددة بالانقراض ويسكن شبه الجزيرة العربية. وهذا النمر هو واحد من أصغر سلالات النمور، حيث يبلغ متوسط وزنه ما بين 30 و40 كيلوجراماً للذكور، وما بين 25 و35 كيلوجراماً للإناث. ولون فرائه برتقالي شاحب اللون مع ورديات صغيرة متباعدة[1].

النمر العربي ثقافياً وتاريخياً

يمثل النمر العربي بالنسبة إلى سكان شبه الجزيرة العربية صفات الجمال والهدوء والقوة البدنية والشجاعة والحرية، واستحوذ على مكانة خاصة في مخيلاتهم منذ آلاف السنين، وتم اكتشاف صور منقوشة له ضمن الفنون الصخرية القديمة، وتناقلته القصص، كما يتردد اسمه في التعبيرات اليومية المتناقلة على ألسنة الناس، ومنها التعبير البدوي الذي يقول: إنه «نمر»[2]. فمنذ أكثر من 500 ألف عام، استوطن النمر العربي الجزيرة العربية، نظراً لما تحتويه من فرائس مناسبة له، كالأرانب والوعول والغزلان؛ فكان يتجول في المناطق الجبلية بالدرع العربي ليستمر في السيطرة على هذه المناطق لفترة طويلة، إلى أن بدأت أعداده تقل بشكل كبير بسبب الصيد الجائر وقلة الموارد الطبيعية التي كان يتغذى بها، ليُصنفه الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة فيما بعد، من ضمن الأنواع المهددة بالانقراض في البرية[3].

ووفقاً لآخر دراسة نشرت بحسب تصنيف الاتحاد الدولي لصون الطبيعة قُدرت أعداد النمر العربي الموجودة في البريّة بأقل من 120 نمراً، منها 50 نمراً في سلطنة عُمان و50 نمراً في اليمن، وأقل من 20 نمراً في المملكة العربية السعودية[4].

وقد تراجعت أعداد النمر العربي بسبب اضطهاد البشر من خلال القتل والتسميم، وانحسار أعداد فرائسها الطبيعية التي يعتمد عليها إلى جانب تدمير وتجزئة موائلها الطبيعية جراء التوسع في الأنشطة البشرية والتنموية، ويُعزى الانخفاض في

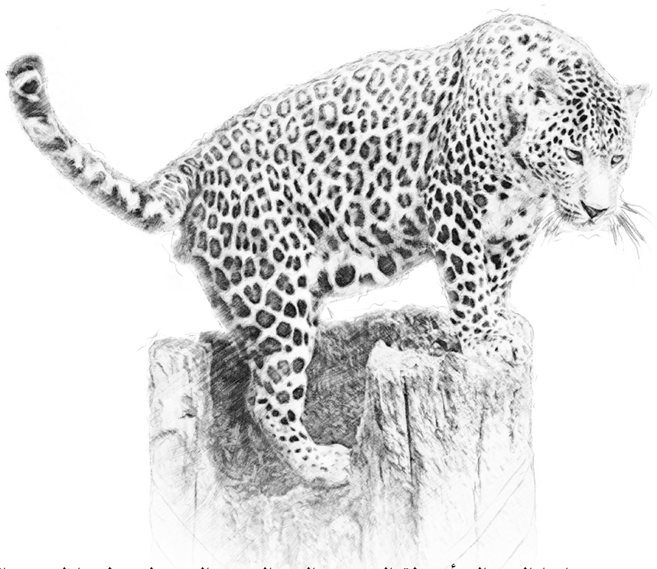

الفرائس الطبيعية التي يعتمد عليها النمر إلى أنشطة الصيد الجائر والرعي غير المنظم والاحتطاب غير النظامي وغيرها من الأنشطة البشرية التي تؤدي إلى تدهور الغطاء النباتي وبقية النظم البيئية[5]. ولذلك اهتمت دول عديدة من المنطقة بالمحافظة على النمر العربي وحمايته من الانقراض عبر مجموعة من البرامج والمبادرات.

الجهود السعودية لحماية النمر العربي

قدمت السعودية نموذجاً مميزاً على مستوى العالم لحماية النمر العربي والسعي لحفظ سلالته من الانقراض، وجاء ضمن هذه الجهود صدور قرار مجلس الوزراء في 18 يناير/ كانون الثاني من عام 2022 بتحديد 10 فبراير/ شباط من كل عام يوماً للنمر العربي، وتتويجاً للجهود الوطنية، صدر قرار الجمعية العمومية العامة للأمم المتحدة في يونيو/ حزيران 2023، باعتماد اليوم العالمي للنمر العربي من كل عام، الذي قدمته المملكة وشارك في رعايته أكثر من ثلاثين دولة.

ولم يقتصر دور المملكة في المحافظة على النمر العربي من الانقراض على قرار مجلس الوزراء، وإنما سبقه قبل نحو ثلاثة

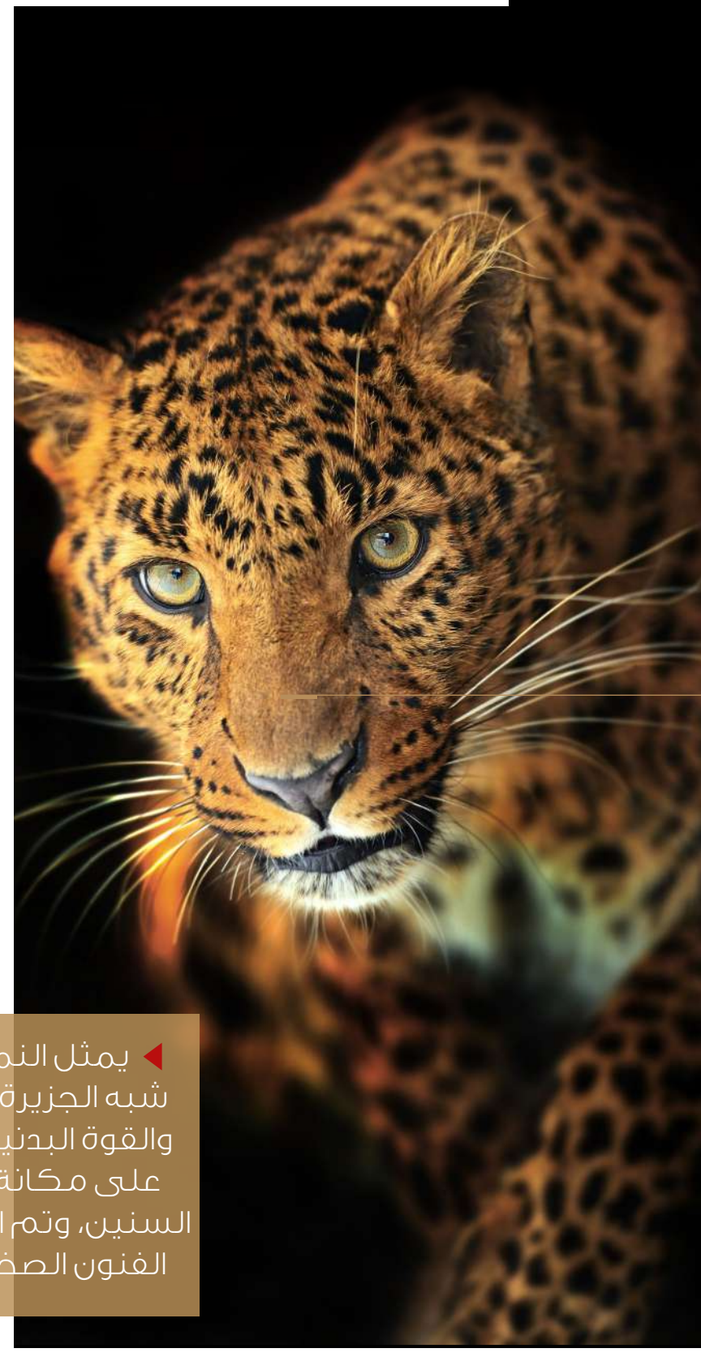

أعوام، توجيه صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء، رئيس مجلس إدارة الهيئة الملكية لمحافظة العلا، بإنشاء الصندوق العالمي لحماية النمر العربي في فبراير 2019. وجاء القرار ضمن إطلاق مشروع محمية شرعان الطبيعية في محافظة العلا، إسهاماً من القيادة السعودية للحفاظ على النمر العربي[6]. وقد وضعت الهيئة الملكية لمحافظة العلا استراتيجية للمحافظة عليه عبر مجموعة متنوعة من المبادرات، بما في ذلك التوسع في برنامج الإكثار من خلال افتتاح مركز النمر العربي وفق أعلى المعايير الدولية في محمية شرعان الطبيعية[7].

الجهود العُمانية لحماية النمر العربي

تبذل سلطنة عُمان جهوداً للحفاظ على هذا الحيوان النادر، وتعزيز وعي المجتمع المحلي، منها: مشروع دراسة النمر العربي وحمايته من الانقراض، وإنشاء المحميات الطبيعية التي تشمل نطاق انتشاره، مثل: محمية جبل سمحان الطبيعية، ومحمية خور خرفوت الطبيعية في جبل القمر، بالإضافة إلى تنفيذ مشروع تعويض حالات افتراس الماشية إذ تم تعويض أكثر من 100 حالة منذ عام 2014م. وهناك تعاون مشترك بين سلطنة عُمان والمملكة العربية السعودية بشأن تبادل النمور بين مراكز الإكثار في البلدين وبناء القدرات في مجال صون النمر العربي وتبرز أهمية هذا التعاون في المحافظة على التنوع الجيني للنمور العربية[8].

> يمثل النمر العربي بالنسبة إلى سكان شبه الجزيرة العربية صفات الجمال والهدوء والقوة البدنية والشجاعة والحرية، واستحوذ على مكانة خاصة في مخيلاتهم منذ آلاف السنين، وتم اكتشاف صور منقوشة له ضمن الفنون الصخرية القديمة، وتناقلته القصص

حماية النمر العربي - عُمان

حماية الأنواع المهددة بالانقراض - الإمارات

الجهود الإماراتية لحماية النمر العربي

تتمتع دولة الإمارات العربية المتحدة بتنوع بيولوجي فريد يشمل مجموعة من النباتات والكائنات البرية والمائية، وعليه أصدرت الدولة العديد من التشريعات الخاصة بحماية تنوعها البيولوجي؛ مثل القانون الاتحادي رقم (24) لسنة 1999 بشأن حماية البيئة وتنميتها، والذي يحظر صيد أو نقل أو قتل أو إيذاء الكائنات البرية أو البحرية أو القيام بأعمال من شأنها القضاء عليها. كما أصدرت في هذا الخصوص القانون الاتحادي رقم (11) لسنة 2002 بشأن تنظيم ومراقبة الاتجار الدولي بالحيوانات والنباتات المهددة بالانقراض ولائحته التنفيذية[9].

وعمدت الشارقة بقيادة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة - رعاه الله - إلى إنشاء مؤسسة تُعنى بالشأن البيئي، فكانت ثمرة ذلك تأسيس هيئة البيئة والمحميات الطبيعية في الشارقة، وذلك بموجب القانون رقم (6) لسنة 1998م، والذي تم تعديله بموجب القانون رقم (11) لسنة 2017 بشأن تنظيم هيئة البيئة والمحميات الطبيعية في إمارة الشارقة. وتهدف الهيئة إلى حماية البيئة والحياة الفطرية وتنوعها البيولوجي، وتحقيق التنمية المستدامة في مجال البيئة والحياة الفطرية في ضوء خطط التنمية الاتحادية والمحلية[10]. وقام مركز تكاثر الحياة الفطرية المهددة بالانقراض وهيئة النمر العربي التابعين لمتحف التاريخ الطبيعي في الشارقة بجهد خاص في هذا المجال، حيث تمت ولادة أول شبل من النمر العربي خلال عام 1998 في هذا المركز[11].

وفي شهر فبراير 2014، أعلن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عن إطلاق مبادرة «الحفاظ على النمر العربي في بيئات شبه الجزيرة العربية»، وأوضح أن هذه المبادرة تهدف إلى دعوة الباحثين والمهتمين والمنظمات العالمية لحماية النمر العربي في موائله الطبيعية القليلة التي لا يزال موجوداً فيها وإنقاذه من الحالة الحرجة التي وصل إليها تمهيداً لإعادة إطلاقه لاحقاً في موائله الطبيعية في شبه الجزيرة العربية[12].

الجهود الدولية لحماية النمر العربي

وفي شهر يونيو 2023، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة 10 فبراير من كل عام يوماً للاحتفال بالنمر العربي (اليوم الدولي للنمر العربي)، ودعت جميع الدول الأعضاء، ومؤسسات منظمة الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية والإقليمية الأخرى،

والمجتمع المدني، والمنظمات غير الحكومية، والأفراد، وغيرهم من أصحاب المصلحة ذوي الصلة إلى الاحتفال بهذا اليوم حسب الاقتضاء. وفي قرار اعتمدته الجمعية العامة من دون تصويت، دعت جميع أصحاب المصلحة المعنيين إلى إيلاء الاعتبار الواجب لتعزيز التعاون الدولي والإقليمي لدعم الجهود الرامية إلى حفظ النمر العربي، نظراً إلى أهميته الحيوية للنظام الإيكولوجي في شبه الجزيرة العربية[13] ■

باحث في شؤون الخليج

الهوامش والمراجع:

1. يوم النمر العربي، الأمم المتحدة، على الرابط التالي:
https://www.un.org/ar/observances/arabian-leopard-day .
2. يوم النمر العربي، الهيئة الملكية لمحافظة العلا، فبراير 2022، ص 3.
3. يوم النمر العربي يلفت الأنظار لأندر حيوان في الجزيرة العربية، موقع صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ 11 فبراير 2022، على الرابط التالي:
https://2u.pw/75vAGzB .
4. تجربة عُمانية رائدة في تطوير استراتيجيات حماية النمر العربي، موقع عُمان اليوم، بتاريخ 3 إبريل 2024، على الرابط التالي: https://2u.pw/O8ERhJno
5. صندوق النمر العربي، الهيئة الملكية لمحافظة العلا، على الرابط التالي:
https://2u.pw/iquZrcTk.
6. برامج ومبادرات نوعية في السعودية احتفاءً بـ«النمر العربي»، موقع صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ 10 فبراير 2024، على الرابط التالي: https://2u.pw/99AQLozc.
7. نموذج مميز.. تعرف على جهود المملكة لحماية النمر العربي من الانقراض، موقع اليوم، بتاريخ 9 فبراير 2022، على الرابط التالي: https://2u.pw/nnbgZ21F.
8. تجربة عُمانية رائدة في تطوير استراتيجيات حماية النمر العربي، موقع عُمان اليوم، بتاريخ 3 إبريل 2024، على الرابط التالي: https://2u.pw/O8ERhJno.
9. حماية الأنواع المهددة بالانقراض في الإمارات.. جهود ومبادرات لصون التنوع البيولوجي، وكالة أنباء الإمارات (وام)، بتاريخ 20 أغسطس 2023، على الرابط التالي: https://wam.ae/ar/details/1395303187717.
10. قانون رقم (11) لسنة 2017، بشأن تنظيم هيئة البيئة والمحميات الطبيعية في إمارة الشارقة، بتاريخ 21 / 12 / 2017، حكومة الشارقة، الجريدة الرسمية، على الرابط التالي: https://og.shj.ae/TashView.aspx?l=1752780 .
11. (سي. إن. إن) تذيع فيلماً وثائقياً عن جهود حماية البيئة في الإمارات، موقع البيان، بتاريخ 6 فبراير 1999، على الرابط التالي:
https://www.albayan.ae/across-the-uae/1999-02-06-1.1193590 .
12. حاكم الشارقة يطلق مبادرة الحفاظ على النمر العربي، وكالة أنباء الإمارات (وام)، بتاريخ 6 فبراير 2014، على الرابط التالي:
https://wam.ae/pt/details/1395242636036.
13. اعتماد 10 فبراير من كل عام «يوماً دولياً للنمر العربي»، موقع الإمارات اليوم، بتاريخ 13 يونيو 2023، على الرابط التالي: https://www.emaratalyoum.com/life/four-sides/2023-06-13-1.1757846

النمر العربي رمز ثقافي وبيئي وجمالي في ذاكرة الجزيرة العربية

عائشة علي الغيص

النمر في جذور الذاكرة التاريخية

استحوذ الحيوان بشكل عام على مساحة مهمة في فضاء التراث الشعبي. فقد سكن نصوص الأمثال والحكايات والأساطير بوصفه وسيطاً لتمرير الأفكار والمواقف الإنسانية، كما تصدّر بطولة الخرافة، الذي استغلته الذاكرة الشعبية لتفرغ فيه زبدة تجربتها الحياتية ومواقفها ومشاعرها التي تراكمت من خلال صراع الإنسان مع الطبيعة، وحركته داخل المعترك السياسي والاجتماعي عبر العصور. ويأتي النمر في مقدمة هذه الحيوانات التي كان لها صدى في الذاكرة الثقافية العربية، متفوقاً على الجمل والثور والثعلب والذئب وغيرها من الحيوانات، فكان النمر هو الحيوان المفترس الأبرز الذي شكل حضوراً أوسع ويُعَدُّ رمزاً ثقافياً وبيئياً وجمالياً ذا تأثير عميق، فهو يجمع بين القوة والجمال والغموض، ويعكس جزءاً كبيراً من الهوية الثقافية والتاريخية للمنطقة. والنَمِر «حيوانٌ مفترسٌ أرقطُ من الفصيلة السِّنوْريَّة ورتبة اللّواحم، أهيفُ القدّ، مستدير الرّأس، جميل الشَّكل، مزاجه كمزاج الأسد، إلاّ أنّه أقهر وأعنف»[1].

ومنذ آلاف السنين، دلت وأشارت المنحوتات الصخرية على علاقة النمر بالبشر وبالمنطقة، واندماجه بالتراث وبالأدب الشعبي العربي. وعلى الرغم من صعوبة رؤيته، فإنه موجود بشكل حضاري، فهو يعتبر سيد الجبال وأبرز كائن مفترس في شبه الجزيرة العربية. وبجماله وجلاله وهيبته، تحوّل النمر العربي إلى رمزٍ للقوة والغموض والنفوذ، ويظل وجوده عميقاً في الثقافة العربية رغم صعوبة رؤيته، حيث يعتبر الغائب الحاضر. وللنمر العربي تميز وفرادة في الشكل والحجم والبيئات التي يشغلها، فقد تميز عن غيره من النمور، بلونه الذي يميل إلى اللون الأبيض المرقط ببقع سوداء على الجسم، كل ثلاثة أو أربعة بقع تعطي شكل الوردة، ويمتاز بصغر حجمه، إذ يتراوح وزن الذكور ما بين (30 - 35) كجم، بينما الإناث فوزنها ما بين (20 - 25) كجم. فهو يعادل تقريباً نصف حجم النمور الأفريقية والآسيوية المماثلة له في التصنيف على مستوى النوع[2].

النمر في التراث الأدبي العربي

تعد شبه الجزيرة العربية الموطن الأصلي للنمر العربي، ويشكل حضوره ثراء في الأدب العربي شعراً ونثراً، ففي الشعر تغنى الشعراء به ووصفوه وشبهوا به في القوة والشجاعة. وقد كان العرب يحبون الحيوان الشرس، ويتمثلون به ويجعلون جل مسمياتهم على الضباع، ويتمثلون بها، قال الدميري: «إنما كانت العرب أكثر أمثالها مضروبة بالبهائم، فلا يكادون يذمون أو يمدحون إلا بذلك، لأنهم جعلوا مساكنهم بين السباع والأحناش والحشرات فاستعملوا التمثيل لذلك»[3]، ففي المثل الشعبي: (لبِس له جِلْدَ النِّمر)، كشف له عن عداوته، عامله بوحشيَّة. قالوا: إذا كثر حنق الرجل على عدوه، واشتد غيظه، قالوا لبس له جلد النمر أي تخلق بأخلاقه[4]. وفي الشعر العربي يقول امرؤ القيس واصفا أحبته بأنهم يسكنون رؤوس الجبال حيث النمر الذي يعدو على أغنامهم وشياههم[5]:

أَحَـــبُّ إِلَينـــا مِن أُنـــاسٍ بِقِنَّـــةٍ
يَـــروحُ عَلى آثـــارِ شائِهِـــمُ النَمِـــر

ومن جميل أوصاف النمر في الشعر العربي ما قاله القتال الكلابي أحد شعراء الصعاليك الذين فروا إلى جبال المدينة، وآخى فيها هناك نمراً له كهف يتردد عليه، وكان لونه ما بين السواد والبياض. وقد أطلق على النمر الصاحب في أجمل صور الأنسنة، فيقول[6]:

وَلي صاحـــبٌ في الغـارِ هَـــدَّكَ صاحِبـــاً
هُـــــوَ الجَـــونُ إِلّا أَنَّـــــهُ لا يُعَـــلَّلُ
إِذا مـــا التَقَينـــا كانَ جُـــلَّ حَديثِنـــا
صِمـــاتٌ وَطِرفٌ كَالمَعابِـــلِ أَطحَـــلُ
تَضَمَّنَـــتِ الأَروى لَنـــا بِطعامِنـــا
كِلانـــا لَـــهُ مِنهـــا نَصيـــبٌ وَمَأكَـــلُ
فَأَغلِبُـــهُ في صَنعَـــةِ الزادِ إِنَّنـــي
أُميـــطُ الأَذى عَنـــهُ وَلا يَتَأَمَّـــلُ
وَكانَـــت لَنا قَلـــتٌ بِأَرضٍ مَضِلَّـــةٍ
شَـريعَتُنـــا لِأَيِّنـــا جـــاءَ أَوَّلُ

وكان القتال الكلابي قد تعارك مع النمر طويلاً، فلما لم يظفر واحد منهما بصاحبه تآلفا، فكان هذا يأكل من صيد هذا وهذا يأكل من صيد هذا، إلا أن القتال كان يأكل ما تمسه النار، فكان صاحبا لا يعلّل، والحديث معه صمت دائم، ونظرات حادة كالرماح، وهو يصف النمر وصفاً دقيقاً في شكله وسلوكه

ويقول إن عيونه «طحلاء» وهو اللون الترابي المائل للصفرة، كما هو بالفعل، وإن طعامهم (الأروى) أنثى الوعل، يتناوبون عليها - النمر إن لم يستطع سحب فريسته فإنه يتركها ويعود إليها بعد اكتفائه منها - ويقول القتال: إنني أميط الفرث عن الصيد، ولكن النمر يأكلها بفرثها وكأن القتال يعرض مشهداً حسياً ملموساً في وصف النمر. وأن لهما مجمع ماء جبلياً «قلت» يختلفون إليه، يشرب منه من يبتدره أولاً. وإن عداوته مع النمر عداوة مكللة بالاحترام[7]. وتشبه الخنساء أخاها صخراً وشجاعته، بالنمر الشجاع، يمشي إلى الحروب هادئاً وسلاحه الأنياب والأظفار[8]:

مَـشى السَبَنتي إلى هَيجـاءَ مُعضِلَـةٍ
لَـــهُ سِلاحـــانِ أَنيـــابٌ وَأَظفـــارُ

ويقول دريد بن الصِمَّة في أخ الخنساء أيضاً، وكان صديقاً له[9]:

بِشِكَّـــةِ حـــازِمٍ لا عَيـــــبَ فيـــهِ
إذا لَبِـــسَ الكُمـــاةُ جُلـــودَ نَمـــرِ

النمر في المرويات السردية الشعبية

مثلت شخصية النمر العديد من الرمزيات في المرويات السردية العربية، سواء في جانبها الفصيح أو في المرويات الشعبية والحكايات الأسطورية، وتعود بنا هذه الجذور السردية إلى قصة (النمر والثعلب) لسهل بن هارون وهي قصة خيالية ذات طابع سياسي وتعليمي، تدخل في باب تدبير المُلك، مكتوبة بلغة رفيعة المستوى، كونها موجهة إلى طبقة رفيعة وهم الحكام، جعلت من شخصية النمر أساساً لغايتها، ولابن هارون فضل السبق في هذا المضمار[10] ومُلخص القصة (أن ثعلباً يقال له مرزوق كان يعيش مع زوجته في وادٍ وفي رخاء ورضاء، فمر به يوماً ثعلب صديق له فنصحه بالتحول عن الوادي لأنه واقع في مجرى السيل فاستشار زوجته فرفضت التحول وعندما حدث السيل تعلق مرزوق بالخشب الذي حمله وجلبه السيل وأخذه السيل إلى الجسر، ومن ثم وصل إلى جزيرة، ولم يسمع في هذه الجزيرة النائية صوتاً ولا أنيساً، وعند صباحه مر به ذئب تعارفا وأصبحا صديقين وأخبره الذئب أن الجزيرة يحكمها نمر وهناك ظباء، ونصح الثعلب مرزوق الذئب أن يسأل الملك ولاية منصب يطلبه من النمر، فأعطى النمر الذئب ولاية الظباء، فذهب الثعلب معه إلى ولايته فأصبح الثعلب الوزير المقرب من الذئب، وبعد مدة تحسنت حالهما فخان الذئب عهده للنمر، فوقعت المعارك الحامية بين الذئب والنمر انتهت بمقتل الذئب وأسر الثعلب)[11].

أما في الحكايات الشعبية الأسطورية فتحضر شخصية النمر في العديد من الحكايات الأسطورية الحيوانية في الإمارات، منها حكاية النمر والقط، وتدور حول قط التقى يوماً مع النمر فقال النمر للقط وكان عديم الخبرة بالصيد والحياة: علّمني أيها القط المشي... فعلمه ... وبعد مدة قال النمر للقط: علّمني جميع حركاتك... فبدهاء علّم القط النمر جميع الحركات كالركض والقفز وكيفية الصيد... فلما رأى النمر أنه تعلّم كل شي وعرف حركات القط كلها قرر وبمكر أكل القط فهجم عليه... فقفز القط إلى الخلف وفر من النمر... فقال النمر لم تعلّمني هذه الحركة فقال القط: لست غبياً لهذه الدرجة وأعلّمك جميع حركاتي). وفي حكاية (الراعية والنمر) [12]، التي تتلخص في (أن رَاعِيَةً لَطِيفَةً تَرْعَى الْغَنَمَ وَالْمَاشِيَةَ، تَعَرَّضَتْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَى عَاصِفَةٍ مَطَرِيَّةٍ هَوْجَاءَ، فَهَرَبَتْ مِنْهَا، وَاخْتَبَأَتْ مَعَ أَغْنَامِهَا فِي كَهْفٍ كَبِيرٍ، وَحِينَمَا حَلَّ اللَّيْلُ دَخَلَ إِلَى الْكَهْفِ نَمِرٌ جَرِيحٌ، فَعَالَجَتِ الرَّاعِيَةُ اللَّطِيفَةُ جُرْحَهُ رَغْمَ خَوْفِهَا الشَّدِيدِ مِنْهُ، فَحَفِظَ النَّمِرُ لَهَا الْجَمِيلَ، وَخَرَجَ مِنَ الْكَهْفِ دُونَ أَنْ يَفْتَرِسَهَا أَوْ يَفْتَرِسَ مَاشِيَتَهَا؛ فَفَهِمَتِ الرَّاعِيَةُ مِنَ الْحَادِثَةِ أَنْ لَا جَزَاءَ لِلْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانَ، وَعَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا بِأَمَانٍ وَامْتِنَانٍ)[13].

وهذه الحكاية تحمل روح الوفاء وتتشكل في تقديم الخير، وتبدأ من الإنسان/ الفعل في اهتمامه بالحيوان، بل في النظر للكائن الحي حين ضعفه وحاجته إلى رعاية واهتمام، فالراعية مع أغنامها بادرت لعمل أسست به وصنعت سلوك الوفاء، فالمعادل القيمي هنا يتمحور في رمزية كسر الخوف تجاه العدو وتقديم المساعدة، وتبادل الإحسان وتقديم المعروف للحيوان تؤدي إلى وفائه وألفته وهذه ظاهرة مشاهدة حتى للحيوان المفترس. وفي الحقيقة إن شخصية الحيوان المفترس هنا (النمر) أسهمت في صنع التودد.

الأهمية الثقافية والبيئية لحضور النمر العربي في الطبيعة العربية

تبدو هذه الأهمية لوجود النمر ككائن حيواني في البيئة العربية في الآتي:

1. يشكل النمر العربي رمزاً ثقافياً وبيئياً وجمالياً ذا تأثير عميق في ذاكرة الشعوب العربية. يجمع بين القوة والجمال

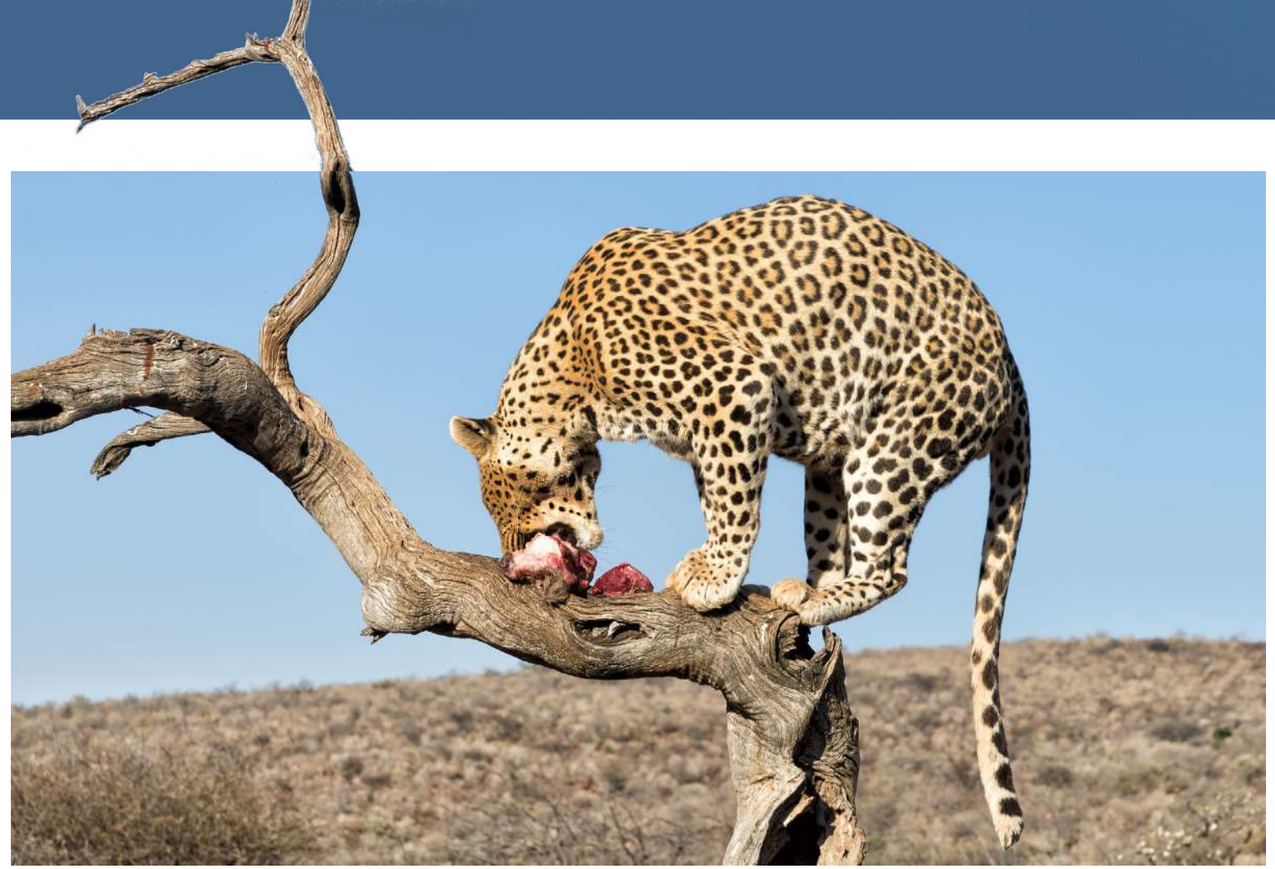

والغموض، وهو يعكس جزءاً كبيراً من الهوية الثقافية والتاريخية للمنطقة.

2. تظهر النمور العربية في الأدب العربي القديم والشعر كرمز للقوة والجمال، وغالباً ما يُشبَّه الفرسان الأقوياء بالنمور.
3. تستخدم صورة النمر العربي كرمز حضاري وتاريخي في الفنون التقليدية والزخارف المعمارية. ويمكن العثور على صور النمور في النقوش الحجرية والزخارف على الأبواب والجدران في بعض المدن القديمة.
4. الحفاظ على التوازن البيئي، إذ يعتبر النمر العربي من الحيوانات المفترسة العلوية في السلسلة الغذائية، وهو يلعب دوراً حيوياً في الحفاظ على التوازن البيئي من خلال تنظيم أعداد الفرائس والسيطرة على أنواع الحيوانات الأخرى.
5. يُعتبر وجود النمر العربي مؤشراً على صحة البيئة التي يعيش فيها، فبقاء هذا النوع من الحيوانات يدل على وجود نظام بيئي سليم ومتنوع.
6. يتميز النمر العربي بفروه الجميل الذي يجمع بين اللونين الذهبي والأسود، ما يجعله أحد أجمل الحيوانات البرية في الجزيرة العربية.
7. يسعى العديد من محبي الطبيعة إلى جعل النمر جزءاً من حدائق الحيوان، ويسعون لخلق بيئة تضاهي البيئة الطبيعية، لحماية هذا الحيوان مما يعزز من تقدير الناس لهذه الحيوانات الرائعة ويسهم في جهود حمايتها.
8. تعمل العديد من المنظمات غير الحكومية على حماية النمر العربي من خلال برامج التربية في الأسر وإعادة التوطين في المحميات الطبيعية.
9. تقوم بعض الحكومات في دول الجزيرة العربية بإنشاء محميات طبيعية وتشريعات صارمة لحماية النمر العربي من الانقراض.
10. تُجرى حملات توعية عامة لتعريف الناس بأهمية النمر العربي وضرورة الحفاظ عليه. وتُعقد ورش عمل وندوات لتثقيف الجمهور بشأن التهديدات التي تواجه هذا الحيوان وسبل حمايته.

جهود وأعمال للحفاظ على النمر العربي

من الملاحظ أن النمر العربي مهدد بالانقراض وبالذات في الجزيرة العربية نظراً إلى ندرته، ونتيجة للصيد الجائر الذي تمارسه العديد من البيئات العربية، وفي هذا الإطار وللحد من الخطر المحيق به بُذلت جهود وعُقدت فعاليات في هذا السياق. فقد نوقش وضع النمر العربي في ورشة عمل عقدت في الشارقة في عام 2000 م، حضرها ممثلون من دول الانتشار من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان واليمن والأردن وبعدها بثلاث سنوات عُقدت ورشة أخرى في الشارقة نوقشت فيها حالة النمر العربي، وبعد إجراء ممثلي الدول مسوحات ميدانية لتقييم الحالة في بلدانهم، تم عرض العمل ومناقشته مع متخصصين من الاتحاد العالمي لحفظ الطبيعة IUCN، وتحديداً من المجموعة المتخصصة بالسنوريات Cat Specialist Group.

ثم جمع الاتحاد العالمي لحفظ الطبيعة نتائج الورشة وطبعها في تقرير خاص ونشرها في عام 2006م. وحَدد هذا التقرير المعرفة المتاحة عن حالة النمر العربي في دول الانتشار من ناحية التوزيع الجغرافي والبيئات والحماية، مما أتاح إمكانية التخطيط الإقليمي الشامل للمحافظة. ثم عقدت سلطة البيئة والمحميات الطبيعية في الشارقة في عام 2007م ورشة عمل خاصة للتعاون مع دول الانتشار، والاتحاد العالمي لحفظ الطبيعة، والمجموعة المتخصصة بالسنوريات، لعمل استراتيجية إقليمية للمحافظة على النمر العربي. وفرت هذه الاستراتيجية الركائز والأهداف الأساسية والأولويات للمحافظة على النمر العربي، ومبادئ إرشادية لإعداد الاستراتيجيات الوطنية وتنفيذها لكل دولة من دول الانتشار، وهو ما حصل في المملكة العربية السعودية في عام 2011م وتم نشرها في عام 2017م[14].

ختاماً:

إن النمر العربي ليس مجرد حيوان يعيش في الصحاري والجبال العربية، بل هو رمز متجذر في الثقافة والبيئة والجمال. والحفاظ على النمر العربي يتطلب جهوداً مشتركة من المجتمعات المحلية والدولية لضمان بقاء هذا الرمز الرائع للأجيال القادمة. ولهذا يعتبر النمر العربي جزءاً لا يتجزأ من الهوية الثقافية والبيئية للجزيرة العربية، وجهود الحفاظ عليه تعني الحفاظ على جزء من تراث المنطقة وتاريخها ■

أكاديمية من الإمارات

الهوامش والمراجع:

1 - عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة. (3 / 2285).

2 - انظر: البوق أحمد، النمر العربي من حافة الانقراض إلى إعادة التوطين، مقال منشور على موقع النور، نوفمبر 2022م. الرابط:
https://www.almanwar.com/publications/the-arabian-leopard-from-brink-of-extinction-to-reintroduction

3 - الدميري، كمال الدين محمد، حياة الحيوان الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1986م، ص 11.

4 - الوطواط، مباهج الفكر ومناهج العبر، الدار العربية للموسوعات، 2000، ص22.

5 - ديوان امرئ القيس، دار المعرفة، بيروت، 2004، ص 100.

6 - القتال الكلابي، ديوان القتال الكلابي، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1989، ص77.

7 - انظر: الوطواط، مباهج الفكر ومناهج العبر، ص 22.

8 - المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997،ج 4، ص 40..

9 - دريد الصمة، ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، 1980.

10- انظر: حكايات الحيوان في التراث العربي، ص 206.

11 - سهل بن هارون، النمر والثعلب، الجامعة التونسية، 1973، ص24..

12 - انظر: منيرة عبد الله الحميدي، حكايات شعبية من المنطقة الشرقية، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، دبي، 2014.

13 - انظر: المصدر السابق نفسه.

14 - انظر: البوق أحمد، النمر العربي.. من حافة الانقراض إلى إعادة التوطين.

بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتيّة فيما طابق الفصيح

أَلفاظُ الحيوان وما دار في فلكه

محمد فاتح صالح زغل

أكاديمي وباحث في التراث

تتمتع دولة الإمارات العربية المتحدة بتضاريس متنوعة توفر موطناً لمجموعة كبيرة من الحيوانات، وهذا يشمل الساحل والجزر البحرية والسهول والكثبان الرملية والمنحدرات الجبلية وغيرها. ويعيش في الإمارات أكثر من 64 نوعاً من الثدييات البحرية والبرية، و477 نوعاً من الطيور، و56 نوعاً من الزواحف. ومن الحيوانات المشاهدة، الإبل، والفهد، والنمر العربي، والمها العربية، وغزال الرمل العربي، والذئب الرمادي، والثعلب الأحمر، والضبع المخطّط، وغيرها من الحيوانات وفيما يلي بعض ألفاظ اللهجة الإماراتية فيما يخص الحيوانات والطيور وما دار في فلكها:

شلوى: يوسم الصقر المدرّب جيداً في هذه اللهجة بأنه شلوى، كما في قولهم: طير شلوى، وصقر شلوى.

مُجاعل: (مجاعل، ومياعل، ومجيعيل): وتطلق هذه الأوصاف في هذه اللهجة على الكلبة السائبة التي نزاها الفحل فأطبق عليها، وهي في العربية كذلك: «وأجعلت الكلبة، والذئبة، والأسدة، وكل ذات مخلب، وهي مُجعِلٌ، واستعجلت: أحبت السفاد، واشتهت الفحل».

جافورٌ (يافور): يقال في المثل في هذه اللهجة: حصان يافور من قاده ما ربح، والجفر في العربية أن يبلغ ولد المِعزى أربعة أشهر، وفصل عن أمه، والجمل الصَغير، والصبيّ إذا انتفخ لحمه، وصار له كرش، والجفر: جوف الصدر من الفرس.

مِجفرة: المجفرة في هذه اللهجة: ما تختبئ به الضّواري، وهو الجحر، والبقعة في البحر التي يكثر فيها السمك. والجفر في العربية: البئر الواسعة. ويطلق على جحر الضباع، وغيرها في لهجة فلسطين: موجرة.

جازئ، وجوازئ (كاز، ويوازي): وتستعمل جازئ (كازي)، وتكسيرها (ويوازي) في هذه اللهجة للدلالة على الجمل في وقت عدم شربه، والجمال في هذا الوقت، على أنهما من قول العرب: جزأت، وجزئت الإبل بالرطب عن الماء(قنعت واكتفت)، والجوازي: بقر الوحش، لتجزئها بالرطب عن الماء، والجزء: اسم للرطب عند أهل المدينة.

هِجار (هْجار): الهِجار في هذه اللهجة: حبل تربط به قوائم البعير، وهو في العربية: حبل يشدّ به رسغ رجل البعير، ثم يشدّ إلى حقوة، أو حبل يعقده في يده، ورجله في أحد الشقّين، وهجر بعيره: شدّه بالهجار. ومن معانيه أيضاً: الطوق، والتاج، والوتر، وخاتم تتخذه الفرس هدماً.

موجب: تستعمل هذه اللفظة، عند الصقّارين بمعنى الجائع، كما في قولهم: الصقر موجب، وهي لفظة من الفصيحة، وجب وجبةً، وأوجب: معناها أكل أكلة واحدة في اليوم، ووجب فلان نفسه، وعياله، وفرسه: عودهم أكلة واحدة في اليوم، وهي أكلة لاتكفي في اليوم، وعليه فلابد أن يعتري المرء، وغيره الجوع.

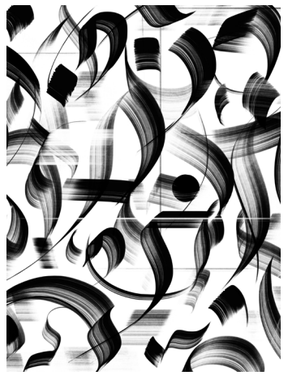

عوعو: يطلق على نجمة البحر ذات الأطراف الخمسة في هذه اللهجة: جمل العوعو، وهي في العربية: عواء، وعوا، بالقصر، وقيل إنها من أنواع البرد، وإنها أربعة كواكب، أو خمسة كوكب، كأنها نون، وتسمى: وركي الأسد، وعرقوب الأسد، وغير ذلك، وتطلق هذه اللفظة في هذه اللهجة على كل حيوان يعوي، كالذئب، وتستخدم في إخافة الأطفال ■

النمر العربي .. ولمّ الشتات

لولوة المنصوري

يبدو مهيباً في هيأته وجلال بروزه بين جبال الحجر في الإمارات، رغم كل المخاوف المتراكمة حوله ومنه منذ حقب بعيدة في التاريخ الإنساني، فلا يتم التطرق إليه في الحكايات المأثورة إلا والتخويف يكون حاضراً ومؤيداً لفكرة التوحش وضرورة المواجهة بالقتل والإبادة أو التشريد نحو الأقاصي البعيدة في الأرض، حتى بات نادراً أو شبه أسطوري.

النمر العربي أشبه بملك عربي عظيم يفضّل حياة العزلة، عززه المخيال الشعري العربي الرمزي، فكان الشعراء خير من أكسبوا النمر دلالة عظيمة مستوحاة من المُلك والجلالة والغموض الآسر، فأخرجوا هذا الكائن من معتقد التخويف إلى مكنون التبجيل والتقدير والمهابة. وبذلك بإمكاننا الجزم بأن الأدب بما يحوي من فنون وشعر وأمثال وحكم وحكايات قد مهّد لعملية إنقاذ النمر العربي وحمايته من الانقراض، قبل أن تطرح العقول البشرية فكرة المحميات. لقد كان كما يُعتقد أن أول عملية اكتشاف الإنسان المعاصر للنمر العربي

> النمر العربي أشبه بملك عربي عظيم يفضّل حياة العزلة، عززه المخيال الشعري العربي الرمزي، فكان الشعراء خير من أكسبوا النمر دلالة عظيمة مستوحاة من المُلك والجلالة والغموض الآسر، فأخرجوا هذا الكائن من معتقد التخويف إلى مكنون التبجيل والتقدير والمهابة

والفهود والضباع عبر نقوش الجزيرة العربية، بدءاً من جبال قرية الشويمس، وهي أضخم متحف مفتوح للنقوش الصخرية في الجزيرة العربية والتي يتجاوز عمرها 10 آلاف عام، وتعد جبال الشويمس أحد المواقع السعودية المسجلة في قائمة التراث العالمي، حيث تقع على حافة حرة النار الشمالية قرب وادي المخيط الذي يفصل بين حرة ليلى وحرة النار، وهي المنطقة التي شهدت أطول معركة في تاريخ العرب والأشد ضراوة، وهي حرب داحس والغبراء. اعتبر العرب قديماً النمر من أجرأ الوحوش وأشدها شراسة فاتخذوه مثلاً للمرء الشرس العنيد. وكذلك إذا أراد العرب قديماً التعبير عن شدة الغضب والحقد قالوا: لبسوا جلود النمور. وكان ملوك العرب إذا قرروا قتل أحدهم لجرم ارتكبه لبسوا جلود النمور، ثم أمروا بقتل من يريدون قتله. وإلى يومنا هذا إذا خرج أحد عن طاعة غيره وناصبه العداء قالوا: (تنمّر له) أي صار مثل النمر لا يخاف ولا يفر، وقد اشتُقت من النمر صفة باتت مشاعة في وقتنا الحالي رغم أنها ظاهرة موجودة منذ زمن ألا وهي: (التنمّر)، وهي ظاهرة عدوانية تنطوي على ممارسة العنف من قِبل فرد أو مجموعة أفراد نحو غيرهم، وتنتشر بشكل أكبر بين طلاب المدارس والمراهقين.

وظيفة الأدب والفنون في الحفاظ على سيرة النمور العربية

لعل أكثر ما يدعونا إلى الاستياء في المرحلة الراهنة هو الانقراض الوشيك للنمر العربي الذي طالما بقي عبر الأزمنة مغذياً للمخيال العربي والحكايات والأساطير في الجزيرة العربية، ومساهماً فاعلاً في إحداث عملية التوازن البيئي عن طريق افتراس حيوانات قد تكون مؤذية في جوهر وجودها للكائن البشري. فليس من المعقول أن يُباد عدد هائل من النمور بحجة الحماية أو الاحتطاب أو الذود عن المراعي. والجدير بالذكر أن النمر العربي لا يُعِدُّ الكائن البشري من ضمن مفترساته، بل على العكس من ذلك، فنراه يتجنب الأحياء والتجمعات السكنية وينعزل عنها تماماً في الجبال.

سبل مقترحة في حفظ سيرة النمور العربية

هذه السبل تهدف إلى رفع الوعي حول النمر العربي لدى الأطفال واليافعين، وتعزيز مكانة المحميات الطبيعية التي

يعيش فيها النمر العربي، أقترح منها:

توظيف النمر العربي في قصص الأطفال: وقد تجلى ذلك في واقع أدب الطفل في دولة الإمارات العربية المتحدة عبر قصة (النمر الأرقط) للقاصة والروائية الإماراتية نادية النجار.

وهي قصّة لطيفة عن فتى صغير يشعر بالملل في قريته الصغيرة، ويقوده الفضول إلى الذهاب بعيداً، إلى الجهة الأخرى من الجبل، علّه يجد مدينة صاخبة تُنسيه ملل القرية النائية. وفي طريقه التقى بنمرٍ أرقط يعيش وحيداً لأنّ أمّه لم تعد منذ زمن، ربما اصطادها صيّادٌ ما. قرّر الاثنان أن يكونا صديقين، لكن بعد فترة عرف الفتى أن قُرب قريته نشأت محمية طبيعية للحيوانات المهددة بالإنقراض، فأخذ صديقه النمر إليها ليتعرّف على أبناء جنسه فلا يبقى وحيداً. وقد استمرت بينهما الصداقة، ليلتقيا كل جمعة ويلهوان في المحمية.

2. توظيف قصة النمر العربي في المناهج الدراسية: وهذا ما دأبت عليه وزارة التربية والتعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة، حين سعت إلى توظيف قصة النمر الأرقط للكاتبة الإماراتية نادية النجار، فصار ضمن دروس اللغة العربية المطروحة لتعليم طلبة الصف الرابع الابتدائي.
3. استلهام النمر العربي في الرسم والتشكيل والنحت أو عبر اللوحات المرسومة بالذكاء الاصطناعي.
4. إقامة ورش رسم أو كتابة القصص القصيرة للأطفال، حيث يكون مضمونها مركزاً على النمر العربي.
5. إقامة مسابقة رقمية للاحتفاء بيوم النمر العربي (10 فبراير) موجهة للأطفال واليافعين، لإكمال قصة قصيرة وفقاً لنموذج معد مسبقاً من قِبل وزارة الثقافة، على أن تدور أحداث القصة عن النمر العربي وأهمية الاحتفاظ به، وتعزيز مكانة موطنه الأصلي في الجزيرة العربية ■

باحثة وروائية إماراتية

الشارقة تتصدر مراكز الإكثار العربية بـ (34) نمراً

التدخل الجيني يُنقذ النمر العربي من الانقراض

أماني إبراهيم ياسين

كشفت دراسة حديثة أن التدخل الجيني يفتح باب الأمل لبقاء النمر العربي، وحمايته من خطر الانقراض، وذلك بعد تناقص أعداده بشكل مخيف منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي، حيث قدّر تصنيف الاتحاد الدولي لصون الطبيعة أعداد النمر العربي الموجودة في البريّة بأقل من (120) نمراً، منها: (50) نمراً في سلطنة عُمان، و(50) نمراً في اليمن، وأقل من (20) نمراً في المملكة العربية السعودية. بالإضافة إلى (64) نمراً إضافياً في مراكز الإكثار العربية، تتصدرها إمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة بـ (34) نمراً.

مسار الانقراض

ذكرت دراسة كبيرة عن النمر العربي بعنوان «هل يمكن للإنقاذ الجيني أن يساعد في إنقاذ آخر قطة كبيرة في الجزيرة العربية؟»[1]، نشرت في مجلة «التطبيقات التطورية Evolutionary Applications»، وهي مجلة علم الأحياء التطورية مفتوحة الوصول، أن «التباين القسري يزيد من خطر الاختناقات السكانية، والآثار الضارة لزواج الأقارب، وفقدان التنوع الجيني، وانخفاض الإمكانات التطورية يمكن أن تقلل من اللياقة البدنية على مستوى الفرد والمجموعة، وهو ما يزيد من قابلية الإصابة

بالأمراض، ويرفع معدل الوفيات، وتتفاقم الضغوط على المجموعات الصغيرة أو المتناقصة بسبب الآثار المستمرة والمتزايدة لتغير المناخ، وغالباً ما تتفاقم المشكلة بسبب التنافس مع السكان البشريين على الموارد المحدودة أو المتناقصة، ما يؤدي إلى الاضطهاد المباشر، وهذه الدوافع السلبية تدفع وتجبر المجموعات المجزأة، والأنواع في نهاية المطاف، على مسار الانقراض».

الجينات هي الحل

الدراسة التي استعرضها موقع Scienmag المتخصص في نشر الأبحاث المتطورة تمت بتعاون دولي بقيادة علماء من معهد دوريل للحفظ والبيئة (DICE) في جامعة كينت، وجامعة إيست أنجليا (UEA)، وكلية لندن الجامعية ((UCL، وجامعة نوتنغهام ترينت (NTU)، وديوان التراث الملكي. وضمّ الفريق البحثي كلاً من: هادي الحكماني، وكوك فان أوسترهوت، وتوماس بيرلي، وجيم لابيسكو، وهازل أ. جاكسون، وأندرو سبالتون، وسيمون تولنجتون، وجيم جي جرومبريدج.وكشفت الدراسة عن أن التدخل الجيني يمكن أن يكون حلاً لمواجهة مشكلة انقراض النمر العربي، مشيرة إلى أن إطلاق الحيوانات التي ربيت في مراكز الإكثار، والتي تمّ اختيارها بعناية لجيناتها يمكن أن يسهم بشكل كبير في نجاح استعادة أعداد الحيوانات البرية المتضائلة، ويجنب احتمال الانقراض.

قام الباحثون بدايةً بمسح سلسلة جبال ظفار النائية في جنوب سلطنة عُمان لتحديد عدد آخر القطط الكبيرة في شبه الجزيرة العربية التي بقيت على قيد الحياة. ومن خلال نشر

مصائد الكاميرا والتعرف على النمور الفردية وإجراء تحليلات الحمض النووي من فضلات النمر البري إلى جانب عينات من المجموعات في مراكز التربية، قدّر الفريق أنه يمكن أن يكون هناك (51) نمراً برياً متبقياً في عُمان، موزعة على ثلاث مجموعات فرعية معزولة وفقيرة وراثياً[2].

الإنقاذ الجيني

على الرغم من الكشف عن مستويات منخفضة للغاية من التنوع الجيني في مجموعات النمور البرية في عُمان، اكتشف الفريق مستويات أعلى من التنوع الجيني في النمور في مراكز التربية في جميع أنحاء المنطقة، ولا سيما بين العديد من النمور التي تنتمي إلى اليمن المجاور، والتي ساعدت في العثور على مجموعات تتكاثر في المراكز اليوم. واكتشف الباحثون أن هذا المورد الجيني المهم يتمتع بإمكانية القيام بدور رئيسي في نجاح استعادة النمر العربي.

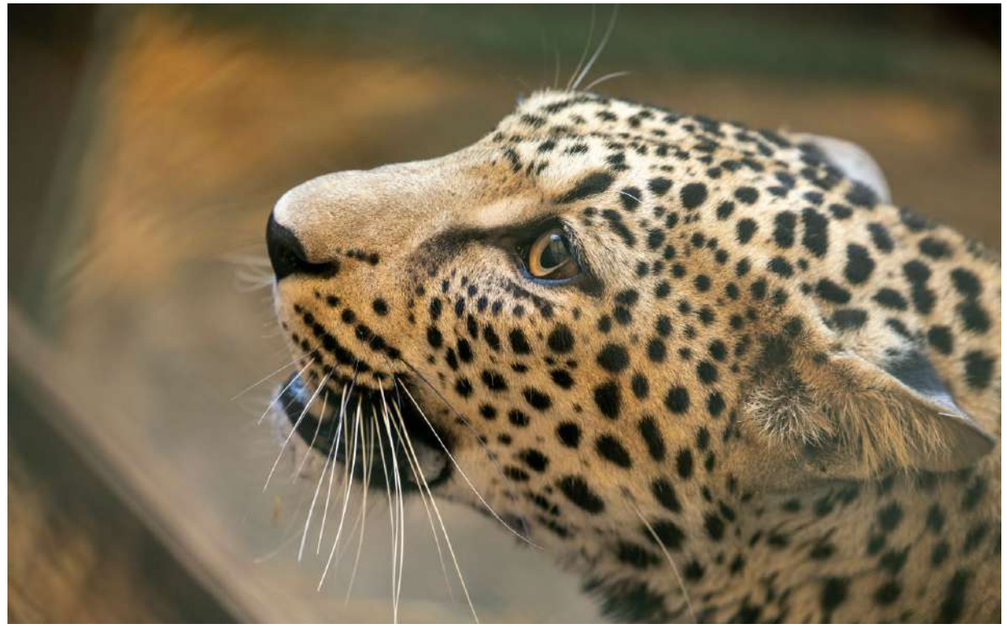

أدرك الفريق البحثي أن أعداد الحيوانات البرية الإقليمية المتضائلة، يمكن استعادتها بشكل أكثر فعالية من خلال «الإنقاذ الجيني Genetic rescue»، أي إدخال ذرية من النمور التي ربيت في الأسر - والتي تؤوي أكبر قدر من التنوع الجيني - إلى المجموعات البرية.

ويهدف الإنقاذ الجيني إلى (إعادة) «إدخال آليات جديدة في مجموعة سكانية فقيرة وراثياً، مما قد يخفف من تأثيرات زواج الأقارب، ويزيد من قدرة النمور على البقاء، ويمكن أن يؤدي الإنقاذ الجيني أيضاً إلى تقليل الحمل المحقق للطفرات المتجانسة، عن طريق جعل هذه المواقع متغايرة الزيجوت «البويضة المخصبة». وقد يساعد الإنقاذ الجيني في إخفاء بعض العبء الجيني وزيادة اللياقة البدنية، ويمكن أن يزوّد النمور التي تم إنقاذها بتنوع جديد للاستجابة التكييفية (أي الإنقاذ التطوري). ومع ذلك، تشير توقعات الباحثين إلى أنه من أجل استخدام الإنقاذ الجيني لتحديد المجموعات الأكثر قدرة على الحياة من خلال إعادة إدخال النمر، يجب تقييم الفائدة التي يمكن أن تجلبها الجينات الجديدة بعناية، خاصة أن النمور الأسيرة قد تكون قد تم تربيتها بالفعل.

تحليل ومحاكاة

ذكرت الدراسة، أن «التحليل الوراثي للحفظ» في مركز DICE، وعمليات المحاكاة الحاسوبية المتطورة التي تم تطويرها في جامعة إيست أنجليا، والعمل الميداني المكثف في عُمان، لفحص الحمض النووي للنمر العربي عن كثب، وتقييم خطر الانقراض في المستقبل، وكذلك التنبؤ بكيفية تأثير الجينات

على النمر العربي. يمكن أن تضمن قدرة النمر على البقاء، ويقول المؤلفون إن النتائج التي توصلوا إليها يمكن أن تساعد الأنواع الأخرى من الحيوانات المهددة بالانقراض.

دراسة الحمض النووي

وأوضح البروفيسور جيم جرومبريدج، الذي قاد البحث في مركز كينت دايس، كيف تم إجراء التحليل الجيني، وقال: «بالتعاون مع ديوان البلاط السلطاني في عُمان، قمنا بتتبع فضلات النمر وجمعها من جميع أنحاء سلسلة جبال ظفار، واستخرجنا الحمض النووي، ثم قمنا بتحليلها باستخدام علامات الحمض النووي الدقيقة لقياس التنوع الجيني». وتابع قائلاً «باستخدام المعلومات الجينية، تمكّنا من تحديد عدد النمور المتبقية في البرية، حيث أمكننا بعد ذلك مقارنة مستويات التنوع الجيني بين مجموعات النمر البرية وتلك الموجودة في الأسر».

مصائد الكاميرا

وصف الدكتور هادي الحكماني، قائد الحفاظ على النمر العربي في الهيئة الملكية لمحافظة العلا في المملكة العربية السعودية، الدافع وراء هذه الدراسة، وقال: إن «النمر العربي يعد واحداً من أندر الحيوانات آكلة اللحوم في العالم، وهو بعيد المنال للغاية لأسباب مختلفة، منها طبيعته الانعزالية، والطريقة الوحيدة لمراقبة هذه النمور في البرية هي نشر مصائد الكاميرا في أعالي سلاسل الجبال حيث تعيش النمور، وجمع المخلفات التي تتركها وراءها على الممرات الجبلية، لتحليل الحمض النووي».

وقال توماس بيرلي، باحث دكتوراه في جامعة إيست أنجليا، الذي أجرى عمليات المحاكاة الحاسوبية للإنقاذ الجيني: «باستخدام المعلومات الجينية من المجموعات البرية من النمور في مراكز التربية، تمكّنا من التنبؤ بأفضل خطة للإنقاذ الجيني لضمان قابلية البقاء على المدى الطويل لهذه القطة الكبيرة المهددة بالانقراض».

توازن دقيق

وكشف البروفيسور كوك فان أوسترهوت، من كلية العلوم البيئية في جامعة إيست أنجليا، عن أن «المشكلة هي أن جميع أفراد النمور مرتبطة بطريقة أو بأخرى بعضها ببعض، فهم أحفاد الأسلاف القلائل الذين تمكّنوا من النجاة من الانهيار السكاني الكبير، ومن ثمّ، يصبح من المستحيل تقريباً إيقاف زواج الأقارب، وهذا يكشف عن طفرات «سيئة»، وهو

جامعة إيست أنجليا، المملكة المتحدة

ما نسميه الحمل الجيني، وهذا بدوره يمكن أن يزيد من معدل الوفيات، مما يسبب المزيد من الانهيار السكاني».

وقال: إن «العبء الجيني يشكّل تهديداً خطيراً، ولكن يمكن تخفيفه عن طريق الإنقاذ الجيني، وقد توقعت دراستنا أفضل طريقة للقيام بذلك». وأكد أوسترهوت أن (المجموعات البرية تحتاج إلى «إنقاذ جيني» من النمور الأكثر تنوعاً وراثياً والتي يتم تربيتها في الأسر، حيث يمكن أن تساعد في تقليل مستوى زواج الأقارب والحمل الجيني، ومع ذلك، هناك خطر يتمثل في إمكانية إدخال طفرات سيئة أخرى من المجموعات الأسيرة إلى البرية، لذلك سنحتاج إلى توازن دقيق). وذكرت الدراسة أن الخطوة التالية المهمة في تعافي النمر العربي تكمن في التحقق من صحة هذه الاستنتاجات تجريبياً، وتنفيذ ومراقبة خطة إدارة مستنيرة بالجينوم، وتحسين استراتيجية الإنقاذ الجيني كأداة لاستعادة آخر قط كبير في شبه الجزيرة العربية

القائمة الحمراء

يذكر أن الانخفاض الكبير لأعداد النمر العربي في البرية تفاقم منذ أوائل التسعينيات من القرن العشرين، وهو ما دفع الاتحاد الدولي لصون الطبيعة لإدراجه في القائمة الحمراء للأنواع المهددة بالانقراض منذ عام 1996. ويعد القتل المباشر وفقدان الفرائس الطبيعية في البريّة وكذلك قلة الموائل الطبيعية التي كان يعيش فيها النمر العربي من أبرز التهديدات التي تواجه هذا الحيوان؛ فقد أسهمت هذه التهديدات مجتمعة في انقراض النمر العربي من فلسطين والأردن والإمارات العربية المتحدة وشمال سلطنة عُمان وأجزاء كبيرة من اليمن والمملكة العربية

السعودية، ونطاق انتشاره حالياً لا يتعدى 2% من نطاق انتشاره التاريخي في جبال شبه الجزيرة العربية. وتجدر الإشارة إلى أن النمر مدرج في التذييل الأول لاتفاقية مكافحة الاتجار الدولي بأنواع الحيوانات والنباتات البرية المعرضة للانقراض منذ عام 1975.

ويعد الاختفاء السريع للنمر العربي من مناطق واسعة من نطاق وجوده السابق في شبه الجزيرة العربية بمثابة انتكاسة كبيرة في مسيرة حفظ التنوع البيولوجي وتحقيق الاستدامة في المنطقة برمتها.

المعقل الأخير

ووفقاً للدراسة، فإن النمر العربي المهدد بالانقراض مستوطن في شبه الجزيرة العربية، ويتم تمييز هذه الأنواع الفرعية بعيدة المنال من الناحية الشكلية عن الأنواع الفرعية الأخرى من خلال لونها الشاحب وحجم جسمها الأصغر، ومن خلال تحليل التطور الجزيئي، وتم العثور على النمر العربي تاريخياً في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، ولكنه اختفى من معظم موطنه السابق. وأضافت أن «النمر العربي اليوم موجود في مجموعات صغيرة ومجزأة في جنوب عُمان واليمن فقط، وربما مع أفراد عدة في المملكة العربية السعودية»، مشيرة إلى أن أحدث تقدير عالمي بري لعدد النمر العربي هو أقل من 100 - 120 نمراً. وأوضحت الدراسة أن «عدد النمور التي تعيش في جبال ظفار في جنوب سلطنة عُمان تقدر بنحو 44 - 58 نمراً، وتتوزع هذه المنطقة على ثلاث سلاسل جبلية متجاورة، وهي: جبل سمحان، وجبل قارة، وجبل قمر، وتمتد على مسافة 250 كيلومتراً تقريباً، وتُعتبر المعقل الأخير للنمر العربي».

ورأى المستكشف البريطاني المعروف، ويلفرد ثيسيجر، النمر العربي في دولة الإمارات العربية المتحدة لأول مرة على طريق بالقرب من جبل حفيت في مدينة العين، ومن بعض المناطق التي تمت رؤية النمور العربية فيها قبيل نهايات القرن العشرين في مناطق مثل: وادي الوريعة، وجبل حفيت، وجبال الحجر[3].

مبادرات الحفظ

حظيت مشكلة النمر العربي على اهتمام دول عدة، وقادت الإمارات الجهود في هذا الصدد، «ونوقش وضع النمر العربي في ورشة عمل عقدت في الشارقة في عام 2000م، حضرها ممثلون من دول الانتشار من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان واليمن والأردن باستثناء فلسطين، وبعدها بثلاث سنوات عقدت ورشة أخرى في الشارقة نوقشت فيها حالة النمر العربي، بعد إجراء ممثلي الدول مسوحات ميدانية لتقييم الحالة في بلدانهم، وتم عرض العمل ومناقشته مع متخصصين من الاتحاد العالمي لحفظ الطبيعة IUCN، وتحديداً من المجموعة المتخصصة بالسنوريات Cat Specialist Group[4]».

وبيّنت الدراسة أن «مبادرات الحفاظ على النمر العربي بدأت في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي عندما تم إنشاء أول مجموعة متكاثرة في الأسر في العالم في عُمان من أربعة نمور برية تم أسرها في جبل سمحان، وفي التسعينيات، تم إنشاء مجموعات أخرى من النمور الأسيرة - معظمها أفراد تم اصطيادها برياً من اليمن - في مراكز في اليمن والإمارات العربية

المتحدة والمملكة العربية السعودية. وتمت تربية بعض هذه النمور مع نسل النمور العُمانية الأصلية التي تم اصطيادها في البرية للحفاظ على التنوع الجيني الموجود في المجموعات البرية، وبحلول عام 2023، كان هناك نحو (64) نمراً عربياً في ثلاث منشآت في المنطقة منها: (34) نمراً في الشارقة، «دولة الإمارات العربية المتحدة». و(27) نمراً في الطائف، «المملكة العربية السعودية»، و(3) نمور في عُمان.

علم الوراثة المحافظة

يذكر أن التدخل الجيني يلعب دوراً مهماً في الحفاظ على الكائنات من الانقراض، وهناك علم متخصص بذلك هو «علم الوراثة المحافظة» وهو العلم الذي يهدف إلى حفظ التنوع البيولوجي، ويعني فهم تركيب الجينات في الكائنات الحية لتجنب انقراضها في المستقبل، حيث يتم تطبيق طرق وراثية للحفاظ على الكائنات الحية عن طريق زيادة عدد الكائنات الحية المهددة الانقراض والحفاظ على التنوع البيولوجي ■

كاتبة وصحفية مصرية

الهوامش:

1. Can genetic rescue help save Arabia's last big cat? : https://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/eva.13701. . accsessed on 28/5/2024.
2. Genes provide hope for the survival of Arabia's last big cat : https://scienmag.com/genes-provide-hope-for-the-survival-of-arabias-last-big-cat/ . accsessed on 28/5/2024.
3. حديقة العين للحيوانات: www.alainzoo.ae. شوهد في 29/5/2024.
4. «النمر العربي.. من حافة الانقراض إلى إعادة التوطين»، أحمد البوق: www. almanwar.com. شوهد في 29/5/2024.

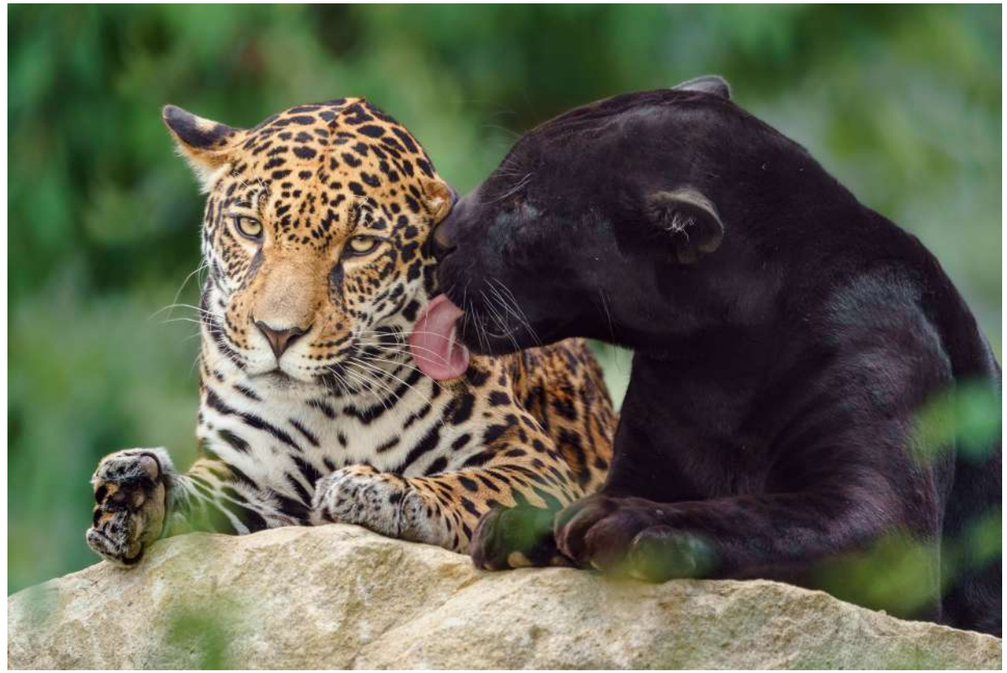

النمر العربي في حضوره اللافت

بين بيئته الجبلية وفضاء القصائد الشعرية

أحمد حسين حميدان

بسبب ما تخزنه الذاكرة الإنسانية الجماعية عن النمر وسائر الحيوانات الأخرى المفترسة، بادرت المواقف إلى اتخاذ مواقف سلبية منه ومن سائر الحيوانات التي تتمتع بقوة ضاربة لم يخفِ الإنسان خوفه على حياته منها، وهذه المواقف لم تبقَ على حالها نتيجة تقدم الوعي البشري والتكنولوجي الذي قدمت وسائله الرائية صوراً فلمية عنه تبين حياته وطرق تكاثره وعروضاً لألعاب السيرك يؤديها وبعض الذين قاموا بتدريبه، كل ذلك قدّم صورة جديدة مختلفة عن صورته السابقة وهو ما دفع إلى التساؤل عنه، مَنْ هو النمر، وأين يعيش وخصوصاً العربي منه؟.

النمر العربي ..

النمر العربي نوع من نمور متنوعة، وسمي بالنمر العربي لأن موطنه الأصلي شبه الجزيرة العربية وعبر امتدادها استوطن المملكة العربية السعودية والإمارات وسلطنة عُمان واليمن وصولاً إلى بلاد الشام حيث سوريا وفلسطين.. واسم النمر في اللغة العربية مشتق من كلمتي «نمار، ونمر»[1] التي تعني بالعلامات التي تتقاطع مع العلامات والبقع التي تتشكل على جلد النمر فسمي نمراً لوجودها مبرقعة على جلده ونسبة لها، والنمر العربي لم تطلق عليه هذه التسمية لوجوده في المناطق العربية وجبالها وحسب، بل لأنه يمتاز بصفات عدة تميزه عن النمور الأخرى، فلون جسمه فاتح جداً في حين أن غيره يميل لونه إلى الصفرة الفاقعة كثيراً، ويمتاز النمر العربي بعينين

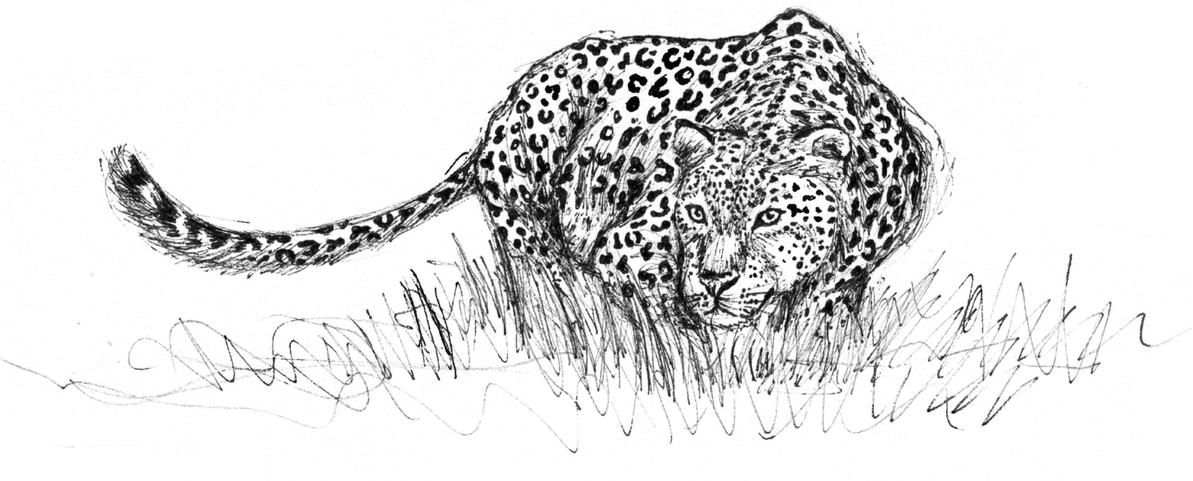

فاتحتين وأسنان حادة تساعده على الإمساك بفريسته والقضاء عليها ويفضل البقاء والعيش بمفرده، ومن حيث الحجم، فإن أنثاه تزن (20) كيلو غراماً تقريباً بينما هو يزن (30) كيلو غراماً، ومن حيث الطول فهو يبلغ من الطول ما بين (182 و203) سم، بينما تبلغ الأنثى (160 و 190) سم، إضافة إلى ذلك يتمتع بذيل طويل، ويتم تصنيفه من الثدييات وآكلي اللحوم؛ لذلك يعتبر من الحيوانات المفترسة، ويتغذى على ما يصادف من الثدييات الصغيرة والطيور وغزلان الجبال والماشية أيضاً، ولا يحتاج لشرب الماء محاولاً الاكتفاء بدماء فرائسه كي يتكيف ويتأقلم على حياة قمم الجبال؛ لأنه يحب العيش فيها بعيداً عن عيون البشر؛ ولأنه يفضلها على العيش في الصحاري والغابات، وهو يقوم بتخزين فرائسه كبيرة الحجم في الكهوف ليعيش عليها حتى يتمكن من الحصول على غيرها..

التكاثر المتناقص للنمر العربي المهدد بالانقراض

تؤكد سائر الدراسات التي عايشت حياة النمر العربي أن فترة التزاوج والتكاثر بين ذكوره وإناثه لا تختلف عن النمور الأخرى، وهي تحدث مراراً لمدة خمسة أيام، وفترة الحمل تتراوح ما بين 98 يوماً و100 يوم، والأنثى تلد من واحد إلى أربعة أشبال ومن خوفها عليها تضعها بين شقوق منعطفات الجبال وأوكار الكهوف، ورغم أن عدد هذه الأشبال المولودة لا يختلف عن عددها في ولادات إناث النمور الأخرى، ورغم انزواء النمر العربي بعيداً عن العيون كذلك، فإنه لم يسلم على حاله وعلى أشباله في الأماكن الجبلية التي يعيش فيها، وبقيت أعداده في حضوره الغائب وتواريه عن العيون في حالة تراجع وتناقص مستمرين وهو ما تؤكده آخر الإحصائيات التي وجدت بأن عدده أقل من مئتين في شبه الجزيرة العربية، حيث موطنه الأصلي والأساسي، وكذلك على امتداد المناطق العربية الواصلة إلى اليمن والإمارات وعُمان التي يعيش في سلسلة جبالها أيضاً، وهو في حالة تناقص دائم في المناطق البرية غير المحمية حتى بلغ الأمر فيه حد انقراضه، وقد تم إدراج اسمه بالقائمة

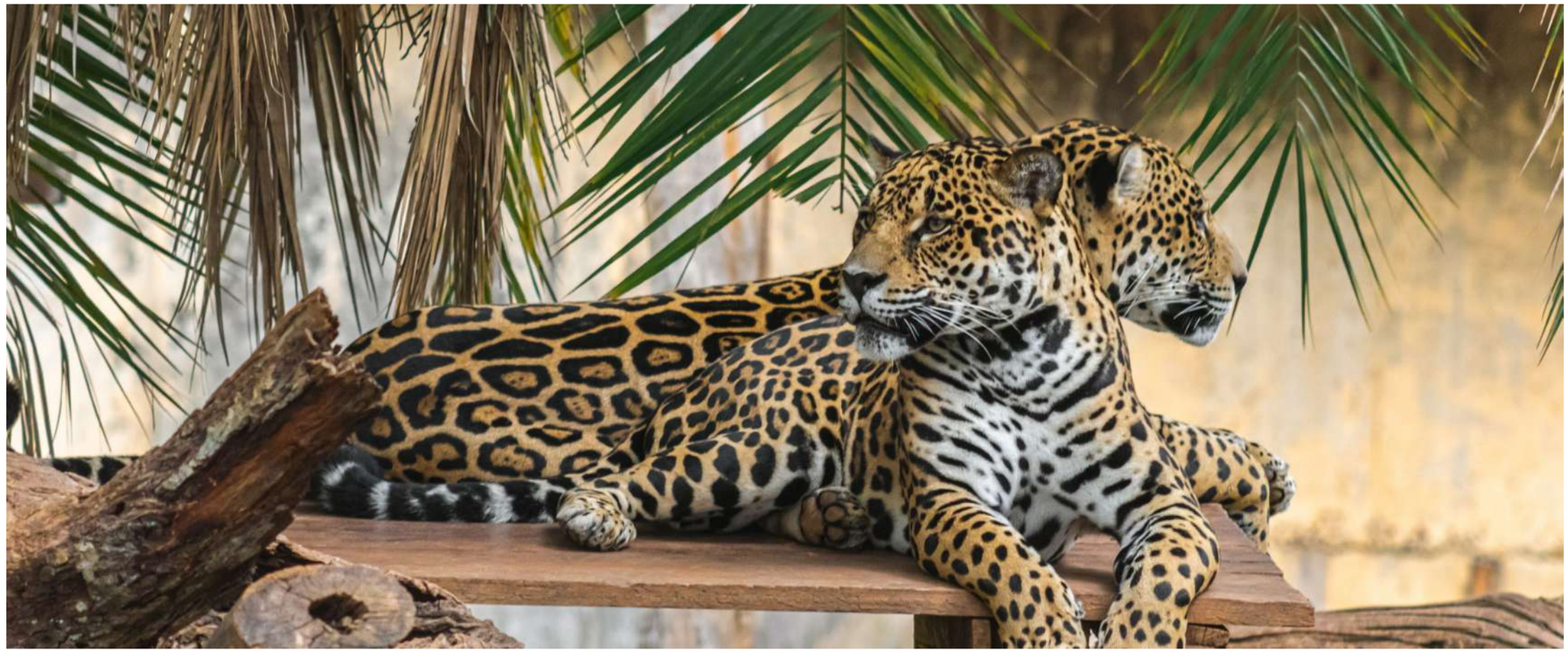

الحمراء من قِبل اتحاد الحماية العالمي، الذي يهتم بنقصان الحيوانات والنباتات في البيئة الطبيعية، والذي تبين له في آخر دراساته بأن انتشار هذا النمر العربي في المناطق العربية آخذ في التلاشي، وخصوصاً في بعض المناطق مثل جبل مدين، كما أنه تراجع كثيراً في جبال الحجاز والسروات، وفي دراسة قدمها قسم علم الحيوان في جامعة الملك سعود بعد قيامه في مسح ومراجعة أكثر من خمسين موقعاً في المملكة العربية السعودية. تبين له من خلالها بأن وجود النمر العربي فيها لا يتعدى الخمسة والستين منه، وفي هذا السياق يفرض السؤال استفهامه عن أسباب تكاثر هذا التراجع في أعداده وعلى نحو متسارع؟ وفي الإجابة على ذلك نجد أن في مقدمة هذه الأسباب يبرز العداء لهذا النمر والسعي إلى قتله ومحاولة التخلص منه بسبب ما يراود الأهالي من خوف بسببه لاعتقادهم بأنه يشكّل خطراً على حياتهم لأنه يعتبر من الحيوانات المفترسة، ويضاف إلى ذلك هجرته إلى مناطق أخرى نائية وخالية بسبب محاولة صيده في أماكن انتشاره ووجوده قرب فرائسه، وكذلك قلة موارده الغذائية أيضاً، وشق الطرق في المناطق القريبة من بيئته، وإنشاء مشاريع خدمية تؤثر سلباً عليه وتزعزع أمكنة استقراره واستقرار الحيوانات البرية التي يتغذى عليها، كل ذلك أدى إلى ندرته ضمن السلاسل الجبلية العربية التي هي مكانه الأول منذ ولادته ونشأته.

اللغة والثقافة والأدب وفضاء القصيدة مملكة النمر العربي ..

إذا كان النمر العربي في الطبيعة الجبلية التي اختارها موطناً له بات حاله فيها خَطِراً ومهدداً بالانقراض كما تؤكد التقارير المتخصصة المتابعة لحياته، فهو ليس كذلك في دنيا اللغة والثقافة وفضاء القصيدة التي تجتمع سائر مفرداتها لتؤكد أن هذا النمر بملامحه التي اكتسبها من البيئة الجبلية العربية ترك رغم ظهوره الخفي والمتواري آثاره في أوكار كهوفها وعلى المنحوتات الصخرية من حولها حتى استحال بحضوره الطاغي تاج الجبال وبطلها، وغدا رمزاً ثقافياً بدلالة مستحبة لكل من يريد أن يكسو اسمه بالثبات ويملأ قلبه بالشجاعة، لذلك جعلت لغة العرب من مقدمة إطلالة نمرهم وعَدْوه مضرب مثل في الحماية والمنعة والجلد والوثبة الشجاعة على امتداد المسافة، ولمكانته العظيمة التي حظي بها أطلقت عليه من جمال تراكيبها أسماء متعددة نذكر منها «الأبرد، والأرقط، والسّبنتي، والكَثعَم ..»[2]، وقامت بتكنيته بـ «أبو الأسود» و«أبو جعدة» و«أبو خطاف» و«أبو رقاش» و«أبو فارس»، ومن الأسماء التي أطلقتها على أنثاه: («النمرة» و«الخيثمة» و«السّبنتاة» و«العسبرة» و«الفزارة»)، وأطلقت على صغار النمر اسم «الشبل»؛ ولم تبتعد القصائد عند العديد من الشعراء عن النمر العربي، وقاربوه بالمكاشفة لشدة الأحوال التي يواجهونها ممن يتأهبون للكيد لهم. فكتب الشاعر عبد الملك بن محمد الثعالبي إلى أبي نصر بن سهل المرزبان يشكو له الشدة التي يلاقيها من بعض رجال قبيلته «كندة» واستخدم في التعبير عن ذلك جلد النمر لما له من دلالات على الشدة قائلاً في الإشارة إلى ذلك: (إن إخوتي من كندة لبسوا لي خمساً من جلد النمر) وخاطبه في أعقاب هذه الإشارة في قصيدته:

كتبـــــتُ مـــن صومعـــــــةٍ
تسمـــــــحُ بالقـــوت العَـــــسِرْ
والدّهـــــــرمـــــــن جفائـــــه
يلبـــسُ لـــــي جِلـــدَ النّمـــــرْ
فـــــــماء عيـــــش كـــــدرٌ
ونجـــــم حالـــي مُنْكـــــــدرْ[3]

واستخدم الشاعر عمرو بن معد يكرب جلد هذا النمر في مرامي تعبيرية أخرى جسّد فيها شجاعة الرجال في إقدامهم على قتال عدوهم مرتدين ثوب هذا الإقدام النمري، استعداداً إلى هذه المجابهة التي استخدم فيها الشاعر صفة القوة الحديدية التي يتحلى بها النمر، مجسداً ذلك في قوله:

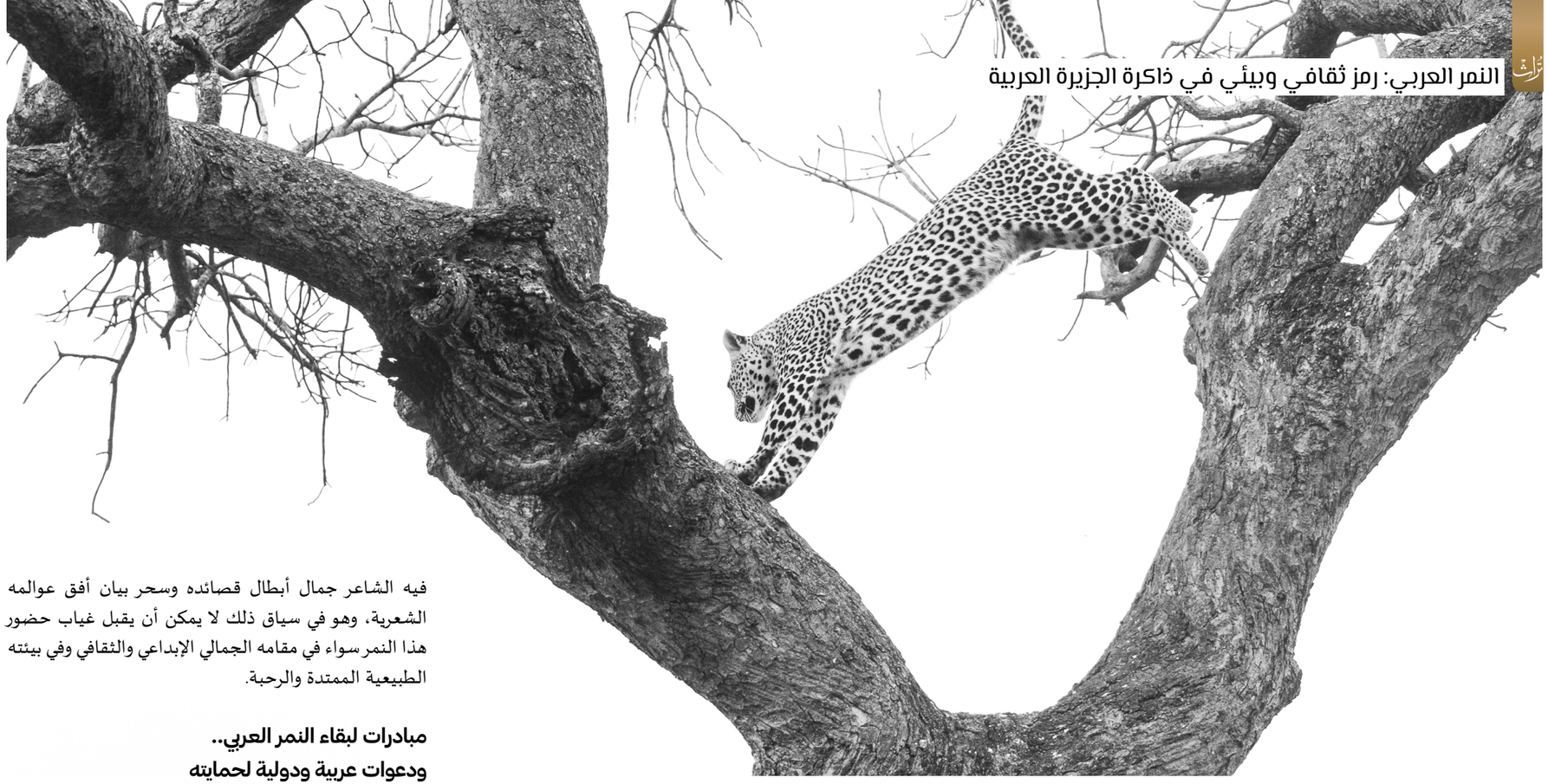

قـــــــومٌ إذا لَبِسُـــــوا الحديـــــــدَ
تَنَمَّـــــــرُوا حَلَقـــــا وقِـــــــدًّا
كـــلُّ امـــــــرِئٍ يجـــــري إلـــى
يوم الهِيـــــاجِ بمـــا استعَـــــدَّا[4]

ويمضي الشاعر الفرزدق إلى أبعد من ذلك ماحياً الشيخوخة وكبر العمر عن المتشبهين بالنمر وذلك من خلال فتاة نالها الظلم من بعض أقربائها فغضب هو لها، وخاطب مَنْ ظلمها بأن لهذه الفتاة إخوة وأعمام أشداء ولها أب فإذا غضب تحول إلى نمر وثّاب في الدفاع عنها، وجاء في تعبير الشاعر الفرزدق عن ذلك:

وَإِنَّ لَهَـــا أَعمـــامَ صِـــدقٍ وَإِخـــوَةٍ
وَشَيخـــاً إِذا شِئتُم تَنَمَّـــرَ دونَهـــا[5]

وقام الشاعر القتّال الكلابي بأنسنة النمر العربي، وذلك بعد أن اضطر إلى اللجوء إلى أحد الكهوف فقضى فيه وقتاً من الزمن رغم وجود هذا النمر فيه، ورغم ما قيل عنه من افتراس ضحاياه، فإن الشاعر القَتّال أكد على نشوء الصداقة بينهما بعد أن شاركه الطعام الذي كان معه فحفظ له هذا الوداد، وكان حديثهما يقوم على الصمت، وأكد على هذه الصحبة بينهما في قصيدته التي ابتدأها:

ولي صاحبٌ في الغـــار هـــدّك صاحبـــاً
هـــــــو الجَـــــوْن إلا أنّه لا يعـــــللُ
إذا ما التقينـــــا كان جـــلّ حديثنـــا
صمـــاتٌ وطرفٌ كالمعابـــلِ أطحـــــلُ
تضمنـــت لنـــــا الأروى بطعامنـــــا
كلانا لنـــا منهـــا نصيـــبٌ ومأكـــــلُ
فأغلبـــــه فـــي صنـــعة الـــزاد إننـــي
أميـــط عنـــــه الأذى ولا يتأمـــــلُ[6]

إن الصورة التي جسدتها قصائد الشعر للنمر العربي ارتسمت بملامح تزدهي بجمال الحضور، وتتوشى بألوان تزهو بصفات الشجاعة والثبات والإقدام، مؤكدة بأنه المثال الذي يزين فيه الشاعر جمال أبطال قصائده وسحر بيان أفق عوالمه الشعرية، وهو في سياق ذلك لا يمكن أن يقبل غياب حضور هذا النمر سواء في مقامه الجمالي الإبداعي والثقافي وفي بيئته الطبيعية الممتدة والرحبة.

مبادرات لبقاء النمر العربي.. ودعوات عربية ودولية لحمايته

لقد ظهر بجلاء ضمن الفضاء التعبيري الثقافي في مجالاته الفكرية والأدبية والفنية المكانة المهمة التي يحظى بها النمر العربي، فهو ليس مجرد جزء من ملامحها التعبيرية وحسب، بل هو مكون أساسي للبيئة الطبيعية العربية وهو أحد كائناتها الحية، وبما أن الجزيرة العربية موطنه الأصلي فقد بدأت منها المبادرات والدعوات للقيام بجملة إجراءات تساعد النمر العربي على البقاء وتسعى إلى ازدياد أعداده وحمايته من الهجرة والانقراض، وفي هذا السياق أطلقت المملكة العربية السعودية إنشاء الصندوق العالمي لحماية النمر العربي[7]، وشرعت مع الدول الخليجية إلى إصدار تشريعات بمنع صيد النمور، وإنشاء مراكز معنية بحمايتها في الطبيعة، إضافة إلى إعداد برامج علمية لدراسة النمر العربي وصونه في بيئاته الطبيعية والقيام بجهود توعوية لاطلاع المجتمع على أهميته وإنشاء محميات عديدة لرعايته وحمايته أيضاً؛ وعلى الصعيد الدولي أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن يوم العاشر من شباط / فبراير هو اليوم العالمي للنمر العربي، وفي ذلك إشارة تفيد الانتباه إلى أهمية هذا الحيوان على الصعيدين العربي والعالمي معاً، وتمت الإشارة في هذا القرار إلى الأهمية الكبيرة للنمر العربي وللنظام البيئي الذي يعيش فيه، ورحبت هيئة الأمم المتحدة بالمبادرات الإقليمية التعاونية لصونه والحفاظ عليه وعلى غيره من الأنواع المهددة بالانقراض، ولا بد أن تنتقل هذه القرارات والتوصيات إلى التطبيق العملي ليحظى هذا النمر بما يحفظ وجوده من الانقراض ■

كاتب وأديب من سوريا

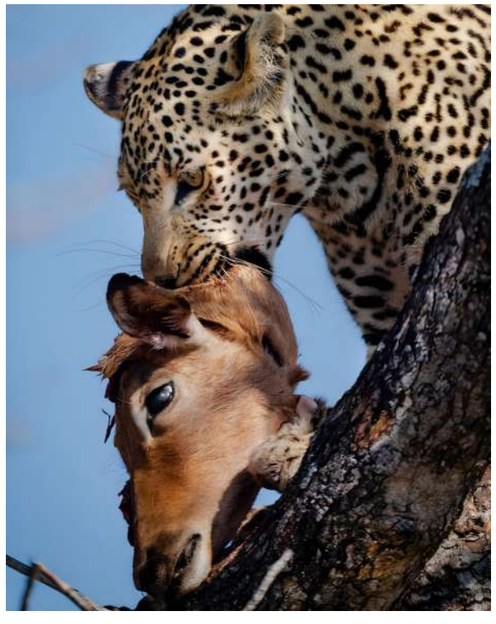

هوامش وإحالات

1. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، تحيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة.
2. المرجع السابق نفسه.
3. ديوان الثعالبي، عبد الملك أبي منصور بن محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
4. ديوان عمرو بن معد يكرب، مجمع اللغة العربية، ط 2، دمشق، 1985م.
5. ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1987م.
6. ديوان الشاعر القتّال الكلابي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، 1989م.
7. انتشار وصيانة النمر العربي في المملكة العربية السعودية، قسم علم الحيوان، جامعة الملك سعود، 2011م، ومجلة «الفيصل»، العدد 48، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1981م.

النمر العربي.. بين زمنين

سرور خليفة الكعبي

أُطلق عليه المفترس الخجول، وأُطلق عليه الكثير من المسميات التي عكست القوة والغموض اللتين أحاطتا بهذا القط الكبير، ساكن أعالي جبال الجزيرة العربية، والذي يتميز إضافة إلى الدهاء والقوة، يتميز بالخجل والانزواء والابتعاد الفطري عن البشر، في الوقت الذي يعرف عنه أنه حيوان مناطقي يحمي منطقته ويحددها برائحته ويدافع عنها بكل شراسة عند اقتحامها أو تعكير صفوها.

وقد حاك التراث العربي الكثير من القصص الخيالية حول هذا القط الكبير، ما جعله في صفوف الأشرار من الحيوانات، الأمر الذي أدى إلى تعرضها لحملة إبادة ما أدى إلى انقراض أعداد كثيرة منها في العديد من مواطن وجودها في جزيرة العرب، فعلى الرغم من أن أهل الجزيرة قد عمدوا إلى قتلها ليس من أجل فرائها وجلودها أو لحومها أو حتى تحنيطها، وإنما لهدف آخر هو القضاء على تهديدها للمواشي والأغنام، فكانوا يقتلونها عند رؤيتها مباشرة، فلم يسمع أحد، وأنا منهم، من الأقدمين عن حادثة واحدة لقيام هذا القط الكبير بالفتك بأحد السكان، لاسيما في جبال الحجر حيث موطنه القديم، ولكن اكتسب هذا العداء من نمط سائد أدى إلى دفع الكثيرين إلى ملاحقة عدد من المفترسات ما أدى إلى حدود الانقراض كالذئب العربي أيضاً.

صفات النمر العربي

يمتاز النمر العربي بجماله التكويني ورشاقته الفائقة ووزنه الذي لا يكاد يفوق الثلاثين كيلو جراماً للبالغة منها، ما يجعله مناوراً رشيقاً في الجبال حيث بيئته الطبيعية، ومتسلقاً ماهراً وبارعاً سريع الحركة، إضافة إلى قدرته الفائقة على التخفي والحركة بهدوء أقرب إلى الصمت، خصوصاً عند قيامه بالصيد، كما يتمتع بقدرة ذكاء عالية تمكّنه من نصب الكمائن للفرائس، ناهيك عن القوة العضلية الفائقة، ويساعده في ذلك لونه الباهت المتمازج مع البيئة الصحراوية والجبلية التي تمنع العين من سهولة ملاحظته في المكان، فجلده يمتاز بتدرج لوني من الأصفر الفاتح إلى البني الفاتح مع وجود بقع صغيرة على الجلد، كما يتميز بأذنين صغيرتين تمتلكان حاسة سمع تفوق قوة سمع الإنسان بخمس مرات، أما جمجمته فهي مسطحة وله أطراف قوية قصيرة ومخالب قوية معقوفة ومدببة تمكّنه من تسلق الجبال وإمساك الفرائس. يعتبر النمر العربي حيواناً خجولاً وانعزالياً يحب الانفراد بنفسه ولا يجتمع مع أنثاه إلا في أوقات التزواج القصيرة التي لا تتعدى الخمسة أيام، بينما يقضي حياته منفرداً ولا يشكل أي نوع من قطعان أو مجموعات الصيد كالأسود، أما الأنثى فتبلغ مدة حملها فترة 100 يوم، وتلد أربعة أبطن، وتقوم على رعايتها لمدة عامين تقوم خلالها بتربيتها وإطعامها وتدريبها على الصيد، وبعد هذه المدة تذهب كل منها في طريقها، ومما يميز النمر العربي كونه حيواناً ليلياً لا يخرج إلا تحت أستار الليل، كما يقوم بتخزين فرائسه في الكهوف والمغارات ليعود ليقتات عليها لاحقاً، وتتركز فرائسه على الحيوانات الصغيرة كالغزلان والأرانب والحيوانات الجبلية الصغيرة.

النمر العربي تاريخياً

علمياً ينتمي النمر العربي إلى أربع سلالات استوطنت الجزيرة العربية هي النمر السينائي الذي انقرض تماماً من الجزيرة، والنمر الفارسي والنمر الأناضولي الذي تعيش أعداد نادرة منه في الأجزاء الشمالية للجزيرة العربية، ولم يتبق في جبال الحجر إلا آخر السلالات النمرية العربية والمهددة بالانقراض، وذلك نتيجة تقلص بيئاتها الطبيعية بنسبة تزيد على 90%،

> يمتاز النمر العربي بجماله التكويني ورشاقته الفائقة ووزنه الذي لا يكاد يفوق الثلاثين كيلو جراماً للبالغة منها، ما يجعله مناوراً رشيقاً في الجبال حيث بيئته الطبيعية، ومتسلقاً ماهراً وبارعاً سريع الحركة

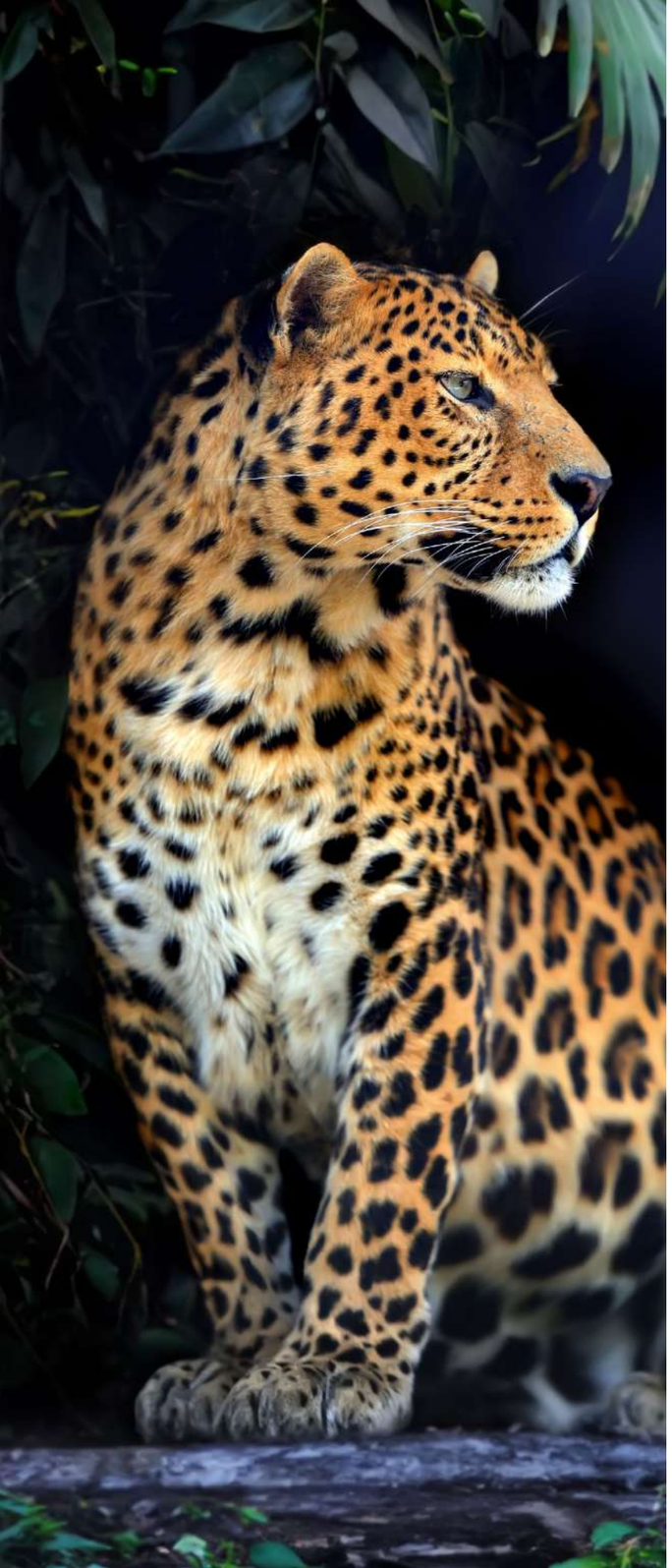

وقلة الفرائس وسنوات الجفاف الماضية، ناهيك عن الصيد الجائر عند مشاهدتها، مما يهدد بانقراضها نهائياً من المنطقة.ويحظى النمر العربي باهتمام الحكومات الخليجية بشكل كبير جداً، بالاشتراك مع صناديق الحفاظ على الحياة الفطرية العالمية، مما يتيح الفرصة للمحافظة على الأعداد المتبقية من النمور العربية ومحاولة منع انقراضها، ولعل برامج التثقيف البيئي الذي تعتمده الكثير من الدول الخليجية إضافة إلى القوانين الصارمة المحرمة للصيد لهذه الأنواع المهددة، قد يمكّن من إعادة توطين النمور العربية في بيئاتها الطبيعية، ووضعها في مخططات التطوير البيئي العام للدول، مع تبادل الخبرات مع الدول في الجزيرة العربية، لاسيما المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان واليمن، للحفاظ على هذا الحيوان وحمايته، ووقف الاعتداءات الجائرة على مواطنه المتناقصة بصورة مستمرة. وفي هذا المجال لا يمكن إغفال ما يقوم به برنامج الشارقة لإكثار النمر العربي وإيوائه، والذي يعتبر من أوائل البرامج التي اهتمت بالنمر العربي وضرورة الحفاظ عليه وحمايته من الانقراض وإعادة إطلاقه في بيئته الطبيعية.

مستقبل النمر العربي

مما لا شك فيه أن الجهود المبذولة محلياً وإقليمياً وبمشاركة دولية متخصصة، ستتيح للنمر العربي الفرصة المناسبة للبقاء والازدهار من جديد، لاسيما مع وجود البرامج الأخرى للحفاظ على الحيوانات البرية وإعادة توطينها في مواطنها الطبيعية كالغزلان التي تعتبر من أهم فرائس النمر العربي، والتي تزايدت عمليات إكثارها وإعادة إطلاقها في المناطق الجبلية والصحراوية، حيث يمكن للنمر أن يجد الطعام الذي يمكّنه من البقاء والتكاثر، مع تزايد الوعي المحلي بضرورة الابتعاد عن البيئة الخاصة بالنمر وعدم التعرض له بالقتل الجائر والعمل على دعم البرامج الحكومية لحمايته وإكثاره ■

باحث وكاتب إماراتي

من «صداقة» القتّال الكلابي إلى «سيف» نمر بن عدوان

الدلالات الرمزية للنمر في القصيدة العربية

الأمير كمال فرج

للنمر مكانة بارزة في التراث الشعبي والأساطير القديمة، والأدب الحديث، ورد ذكره في التراث، بأسماء مختلفة مثل: الأَبْرَد - الأَزْقَط - السَّبَنْتَى - الكَتْعَم - الضَّرْجَع، وكذلك مما ورد من كناه ما يلي: أبو الأسود - أبو جعدة - أبو جهل - أبو خطاف - أبو رقاش - أبو عمرو - أبو المرسال - أبو فارس. أمّا أنثى النمر، فتسميها قواميس اللغة: النَّمِرَة - الأَبْرَد - الخَيْثَمَة - السَّبَنْتَاة - العُسْبُرَة - الفَزَارَة. كما تكنيها القواميس أيضاً: أُمّ الأَبْرَد - أُمّ رِقَاش- أُمّ فارس، ومن أسماء جراء النمر في التراث: الفِزْر - الهِرْمَاس. أمّا صوته عند الغضب فيسميه العرب: الزَّمْخَرَة - النَّزَمْخُر، بينما صوته وهو نائم أو مسترخٍ، الهَرِير - الغَطِيط - الخَرِير - الخَرْخَرَة [1].

كما دخل النمر الأمثال العربية، حيث ضرب المثل «بإست النمر (أي دبره) في الحماية والمنَعة، وبجلده في المكاشفة وإبراز صفحة العداوة، كما يُضرب المثل بوثبته في الطول ويُعد المسافة. حيث يقال «أَحْمَى من أُسْتِ النمر» و«أُعَزّ من أُسْتِ النمر»، و«أَمْنَع من أُسْتِ النمر»، و«لَبسَ لهم جلدَ النمر»، و«وَثْبَةُ النمر»[2]. ودخل النمر الثقافة اللغوية العربية، ففي القاموس «نمِر؛ غضِب وساء خلقُه، وصار كالنَّمِر الغاضب «دائماً أنت متنمِّر». مُطاوع نمَّرَ: تشبَّه بالنَّمِر في لونه أو طبعه «تنمَّر بهلوان - تنمَّر مصوِّرٌ في الغابة»، تنمَّرَ لمنافسِه: تنكّر له وأوعده «تنمّر لمن سلبه حقّه»[3] وفي «البيان والتبيين» للجاحظ «سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب، عن سعد قال: كيف أميركم؟ قال: «خير أمير، نبطي في حبوته، عربي في نمرته، أسد في تامورته»[4]. و«التنمر» في علم الاجتماع هو «أحد أشكال العنف الذي يمارسه طفل أو مجموعة من الأطفال ضد طفل آخر أو إزعاجه بطريقة متعمدة ومتكررة، ويأخذ التنمر أشكالاً متعددة كنشر الشائعات، أو التهديد، أو مهاجمة المُتنمَّر عليه بدنياً أو لفظياً، أو عزله بقصد الإيذاء، وقد يكون في شكل سلوكيات معينة بهدف السخرية منه بسبب الجنس، أو العرق، أو الدين، أو الأوصاف البدنية، أو الحالة الصحية أو العقلية، أو المستوى الاجتماعي،

أحمد شوقي

نزار قباني

نمر ابن عدوان

وليام بليك

بقصد الحط من شأنه أو إقصائه من محيطه الاجتماعي»[5].

- ويوظّف «عمر بن أبي ربيعة» فعل التنمّر ويقول: إنه كلما زار حبيبته «نُعما» يتنمر عليه قريب لها:

«إذا زُرتُ نُعماً لَم يَزَل ذو قَرابَةٍ
لَها كُلَّما لاقَيتُها يَتَنَمَّرُ»[6]

أيقونة روائية

أثار النمر مخيّلة الأدباء والمؤرخين، بشكله وقوته وحتى طبيعته الانعزالية، بسبب الدلالات الرمزية التي يمثلها أيضاً، ومن الكتب التي تحدثت عنه «الحيوان» للجاحظ، و«كليلة ودمنة» لعبد الله بن المقفع، و«النمر والثعلب» لسهل بن هارون.

وفي العصر الحديث، وظّف العديد من الأدباء النمر في أعمالهم خاصة الروائية، فظهرت على المستوى العالمي العديد من الروايات التي تستلهمه في القصة بدءاً من العنوان، منها «زوجة النمر» لتيا أوبرهت، و«النمر البيض» لارفيند أديغا، و«النمر ينهض» لكيت دي كاميلو، و«نمر الليل» ليانغسي شو، و«النمر الأخير» للورين سانت جون، و«النمر ونوبات الغضب» لسو جريفز، و«الشاعر النمر» لتاكاشيما تون.

وعلى المستوى العربي، استلهمته العديد من السرديات الرمزية، منها «النمور في اليوم العاشر» لزكريا تامر، و«نجمة النمر الأبيض» لمحمد هيبي، و«النمر الجامح» لأميرة نور، و«عشق النمر» لأسيل باسم، و«النمر العاشق» لهاجر النجار، و«النمر والأنثى» لإسراء الوزير، و«جحيم النمر» لدعاء أحمد، و«غرام النمر» لجنى ياسر. ويمكن تفسير ذلك بأن الرواية بطبيعتها كنص أدبي طويل يعتمد على الخيال، أكثر قدرة على استلهام الأفكار والرموز والأساطير، حيث أمكن توظيف النمر كرمز لعدد كبير من القيم مثل: القوة والجمال والغنى والالتزام والحماية والسلطة والطاقة والوصاية والقوة والشجاعة، والثروة، والحماية والمنعة، والوحدة، والحكمة.

النمر في الشعر العالمي

وظّف الشعراء النمر واستلهموا شكله ولونه وصفاته المعجزة، فكان مادة للمجاز الموحي والتأويل المحلّق، والصور الشعرية النابضة بالقوة والحركة، ومن أهم الذين كتبوا عنه الشاعر الإنجليزي وليم بليك في قصيدته «النمر» التي بلغت شهرتها الآفاق.

- يقول وليم بليك:

«نَمِرُ، يا نَمِرُ، يا مُتَّقِداً وَهَجاً
في غاباتِ الليل
أيُّ يدٍ آبِدةٍ أو عَينٍ
تحيطانِ بتناسُقِكَ الرهيبِ؟
في أي أعماقٍ أو سماواتٍ
تشتعلُ نارُ عينيكَ؟
بأيّ جناحَينِ يجرؤُ على التحليق؟
وبأيّ يدٍ يجرؤُ أن يقبضَ على النار؟

وأيُّ كتِفٍ، وأيّ مهارةٍ
قادرتانِ أن تلويا نِياطَ قلبِكَ؟
وآنَ شرعَ قلبُكَ ينبِضُ
فيا لَها من رهبةِ يدٍ؟ ويا لَها من رهبةِ قَدَمٍ؟
بأيّ مِطْرقةٍ؟ بأيّ سلسلةٍ
وبأيّ أتُونٍ كانَ دماغُكَ؟
أيُّ سندانٍ، وبأيّ مَمْسَكٍ
يُطْبَقُ على إرعاباتهِ المُهلِكة!
آنَ ترسِلُ النجومُ رماحَها
وتُرَوّي السماءَ بدموعِها:
أتُراهُ سيبتسمُ لِمَرأى ما فَعَلَ؟
أمَن خلَقَ الحَمَلَ خَلَقَكَ؟
نَمِرُ، يا نَمِرُ، يا متّقِداً وَهَجاً
في غابات الليل
أيُّ يدٍ آبِدةٍ أو عَينٍ
تحيطانِ بتناسُقِكَ الرهيب؟»[7]

ولم يكتفِ الشاعر بتناول النمر أو استلهامه أو التعامل معه كرمز فقط كما فعل السابقون، ولكن جعله موضوعاً شعرياً، وتحدث عنه كمخلوق معجز، بأسلوب شعري فلسفي، يتجاوز الشكل المجرد ليسبر من خلاله فلسفة الخلق والحياة».

النمر في الشعر العربي

رغم الحضور الواسع للنمر في الثقافة العربية، كان وجوده في الشعر قليل، ربما بسبب طبيعته كحيوان انعزالي، يعيش في بيئات جبلية وعرة، ومعظم نشاطه يتم ليلاً، وطبيعته المفترسة التي دفعت البشر إلى تجنبه والخوف منه.

- ويصف «امرؤ القيس» من يحبهم بأنهم يسكنون رؤوس الجبال حيث يعدو النمر على شياههم. يقول:

«أَحَبُّ إِلَينا مِن أُناسٍ بِقِنَّةٍ
يَروحُ عَلى آثارِ شائِهِمُ النَمِر»[8]

- وكان لبس جلود النمور كناية عن الاستعداد للحرب، وقد عبّر ابن الرومي عن ذلك، وقال:

«سرى إليه عداةُ اللّه فانْصَلتوا
مستأسِدين عليهم جلدة النّمرِ»[9]

- وفي العصر الحديث وظّف شعراء العمودية النمر في الحكمة، ومنهم «أحمد شوقي»، ومن الأبيات المنسوبة إليه:

«إذا بالغ الناس استعاروا
للهرّ شوارب النمر»[10]

- واقتفى أمير الشعراء خطو «ابن المقفع»، بالحديث على ألسنة الحيوانات، وذلك من خلال مسرحية «شريعة الغاب» التي كتبها على ألسنة الحيوانات ليؤكد قانون الحياة وهو البقاء للأقوى. وما ورد على لسان «النمر»:

«أما أنا فلقد نشرت على جميع الأرض خوفاً
أمضي إذا نزل الظلام فأخطف الأطفال خطفاً
ولكم أتيت مظالماً لا أستطيع لهن وصفاً
هل تحسبوني مذنباً؟»[11]

- واستلهم شعراء الحداثة النمر، كرمز ودلالة، ومنهم «مريد البرغوثي» الذي استعار من هذا الحيوان قوته وسرعته وطيشه أيضاً، واستحضر صوراً شعرية جديدة مثل «على ظهره فضةُ الليل والرغبةِ الغامضة»، و«يشغل الجاذبية عن شغلها»، يقول:

«كسّر البرق بلورة في الأعالي
وأفلت من دغله نمر طائش اللونِ
رنّت على ظهره فضةُ الليل والرغبةِ الغامضة
كأنّ الصواعقَ تعدو على جسمه وهو يعدو ويعدو ويعدو
ويعلو عن الأرض
حتى لَيوشِكَ أن يشغلَ الجاذبيةَ عن شُغلِها»[12]

- ومن الشعراء الذين وظّفوا النمر باقتدار، وقدّموا صورة معاكسة للنمر، نراها أحياناً في المجتمع، وهي القوة الزائفة الشاعر «نزار قباني» في قصيدته «اعترافات نمر من ورق» التي يقول فيها:

«سيخيب ظنك
من بطولاتي كثيراً.. يا جميلة
وستعرفين بأنني نمرٌ خرافي
وأني لم أكن بطلاً حقيقياً
ولكن
كنت أخترع البطولة
لا تطلبي مني الصهيل
فإن خيلي من زمان مستقيلة
إني حصان قد أُحيل إلى المعاش
وصرت أخشى
من مواجهة السباقات الطويلة»[13]

صداقة النمر

وأجمل ما قيل في وصف النمر قصيدة القتّال الكلابي، وهو من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، عندما كان عليه دم، ففرّ من قبيلته إلى جبال المدينة المنورة، ودخل إلى غار ليستريح، ففوجئ بوجود نمر فيه. ووصف الشاعر ببراعة هذا الموقف الدرامي الصعب، وكيف تعامل هو مع النمر، وكيف تعامل النمر معه، حيث كان الصمت المتبادل والخوف

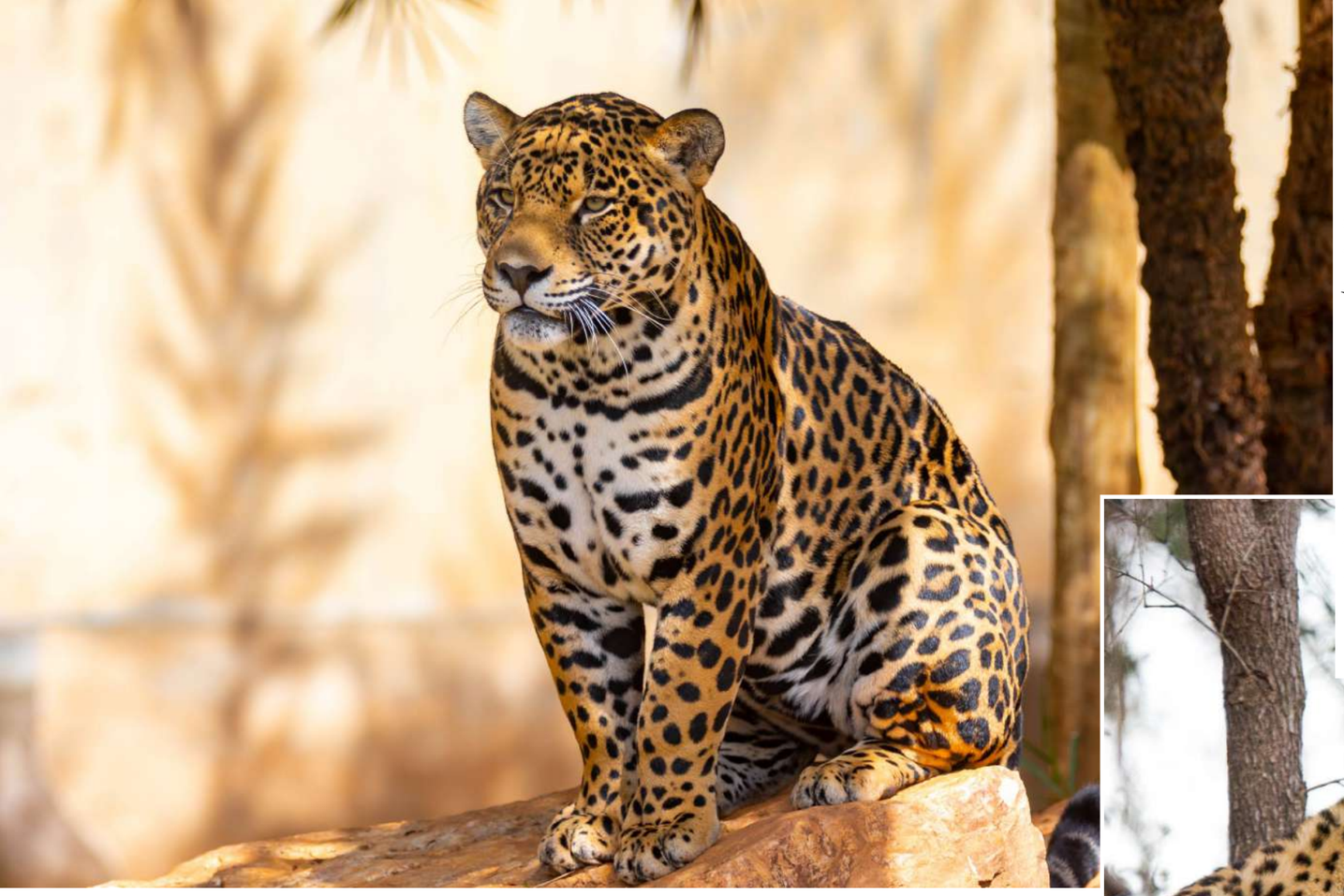

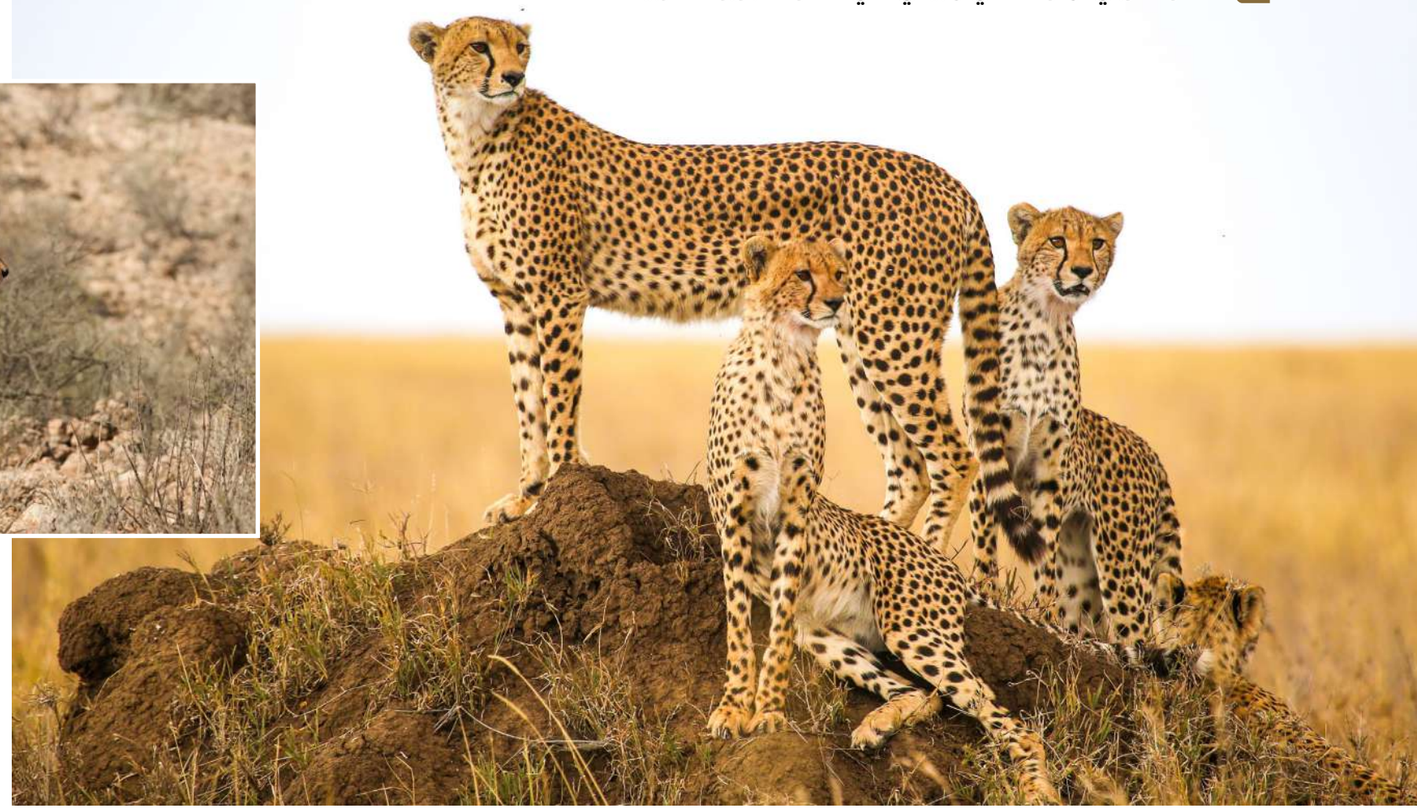

المشترك، وبدأ في وصف النمر وصفاً دقيقاً بليغاً كشف عن قدراته الشعرية العجيبة، فقال إن لونه «جون» وهو بين الأبيض والأسود، رغم أن الغالب هو السواد، وعيونه «طحلاء» وهو اللون الترابي المائل للصفرة، يقول:

«وَلي صاحبٌ في الغارِ هَدَّكَ صاحِباً
هُوَ الجَونُ إِلّا أَنَّهُ لا يُعَلَّلُ
إِذا ما اِلتَقَينا كانَ جُلَّ حَديثِنا
صِماتٌ وَطِرفٌ كَالمَعابِلِ أَطحَلُ»[14]

- ويصف الكلابي كيف أصبح هو والنمر أصدقاء، وشاركه في طعامه (الأروى) أنثى الوعل، وكيف تحوّل خوفه من الحيوان المفترس إلى استئناس ومحبة متبادلة، يقول:

«تَضَمَّنَتِ الأَروى لَنا بِطامِعِنا
كِلانا لَهُ مِنها نَصيبٌ وَمَأكَلُ
فَأَغلِبُهُ في صَنعَةِ الزادِ إِنَّني
أُميطُ الأَذى عَنهُ وَلا يَتَأَمَّلُ
وَكانَت لَنا قَلتٌ بِأَرضٍ مَضِلَّةٍ
شَريعَتُنا لِأَينا جاءَ أَوَّلُ
كِلانا عَدُوٌّ لَو يَرى في عَدُوِّهِ
مَحَزّاً وَكُلٌّ في العَداوَةِ مُجمِلُ»[15]

النمر في الشعر الشعبي

ورد النمر كثيراً في القصائد النبطية، مرة عندما استلهموا هذا الحيوان بما يتسم من صفات أسطورية تثير مخيلة الشعراء، ومرة في شكل قصص حقيقية للشعراء مع النمور حافلة بالإثارة. ومن أبرز الشعراء النبطيين الذين ارتبطوا بالنمر «نمر بن عدوان» والرابط لم يكن بالاسم فقط، ولكنه قتل نمراً بالفعل، حتى قيل إنه «الشاعر الذي قتل النمر وأخذ اسمه»، ففي يوم كان الشاعر ضيفاً على نسيبه «فلاح السبيله» وعندما خرج نسيبه لتفقد إحدى الإبل التي فقدها وتأخر، قلقت ابنته «وضحا»، فخرج «نمر ابن عدوان» للبحث عنه، وفي الطريق

وجد نمراً يدق رقبة الناقة، فأخذ موقعه بشكل قرفصاء واستلّ سيفه ونادى على النمر، وقال:

«هذا سميك يا نمر واحذر الموت يا شيب
لا تقول جاك (النمر) بالغدر والبوق
يا بايق البوقان يا مقمن العيب
خليتنا ع الدار نرحل بلا نوق
هذا قصاص اللي تعدى على النيب
لعين وضحا الكاملة العقل والذوق»

فوثب النمر على ابن عدوان، فعاجله الشاعر بشجرة الزعرور في بطنه، وأكمل عليه بضربة سيفه فمزّعه، ومات»[16].

- وفي قصيدة نبطية غزلية طويلة يعدّد «محمد بن راشد آل مكتوم» السمات التي يريدها، وبعد أن يعدّد عشرات السمات الجميلة، يستعير من النمر غضبته، ويرى في هذه السمة تعبيراً عن قوة الشخصية والغضب في الحق، ويقول:

«وأباها مثل رأسْ المالْ عنْ ربحي وخسراني
وأباها العاقلْ الفاهمْ وأباها الطِّفل لي زعلانْ
وأباها في رضاها الليلْ ساكنْ دونْ سكاني
وأباها في غضبها النمرْ ومكشرْ عنْ النيبانْ»[17]

- ويكثر الشعراء الصحراويون من ذكر النمر، يقول المطرب «خليفي أحمد» في إحدى القصائد مشبهاً الحصان بالنمر:

«النمر اللي منقط كي نهمزو إنطط
مثل الغراب يشطح دلال تالفة
انزيدهم ثلوبة تتلف كي النوبة
شتاو في الحطيبة دواي كي جليبة
يدوني شور طيبة»

- ويذكر «محمد رابحي» النمر ويعدد صفاته، ويقول:

هذا فهد أولاد عيسى يتمطوح
مستخفي ويبان للي هو جراح
الليث منو يتمحمح
هدو عز أولاد نايل وقت ان ماح
يخزر في اللي فات من سعد المقرح
يبني فيه وخانتو سيسان صحاح»[18]

وتكشف هذه الشواهد الشعرية مكانة النمر في المجتمع العربي، وحضوره القوي في الثقافة الشعبية، وكذلك قيمته الرمزية والدلالية التي ألهمت الشعراء وأثرت القصيدة العربية، ومن المؤسف أن يكون هذا الحيوان الغامض القوي المهيب والملهم عرضة للانقراض، لذلك من المهم تكثيف المبادرات لإنقاذه. ولا شك أن للشعر دوراً مهماً في جهود إنقاذ النمر، ليس عن طريق التوعية العامة فقط وهي إحدى رسائل الشعر، ولكن بتجديد حضوره التاريخي في الشعر أيضاً، كما أن للنقد دوراً في دراسة شعره، وما يتضمّن من جماليات وقيم وصور فنية مبدعة ■

صحفي وباحث مصري

الهوامش:

1. موسوعة مقاتل من الصحراء: www.moqatel.com.
2. المصدر السابق نفسه.
3. قاموس المعاني: www.almaany.com.
4. كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ص 44.
5. تعريف التنمر: www.unicef.org.
6. ديوان عمر بن أبي ربيعة: www.aldiwan.net .
7. قصيدة «النمر» وِلَيْمُ بْلَيْك (1757-1827) ترجمة: سعدي يوسف: www. saadiyousif.com.
8. ديوان امرؤ القيس: www.aldiwan.net .
9. ديوان ابن الرومي: www.aldiwan.net .
10. ديوان أحمد شوقي: www.aldiwan.net.
11. المصدر السابق نفسه.
12. مريد البرغوثي: www.aldiwan.net .
13. الأوراق السرية لعاشق قرمطي، نزار قبّاني، منشورات نزار قباني، 1993.
14. ديوان القتّال الكلابي.
15. المصدر السابق نفسه.
16. ابن عدوان.. الشاعر الذي قتل النمر وأخذ اسمه، علي المسعودي: www.asa6een.blogspot.com .
17. مطاليب. محمد بن راشد آل مكتوم: www.sheikhmohammed.ae.
18. النمر في التراث الشعري والأسماني في منطقة الجلفة: www.turath.djelfainfo.dz .

النمر العربي.. بين الانقراض والاستدامة

مريم سلطان المزروعي

النمر العربي ذلك الكائن الفريد الذي يزخر تاريخه بالجمال والقوة، ارتبط وجوده منذ القدم بثقافة شبه الجزيرة العربية وجمهورية مصر العربية وحضارتيهما، تاركاً أثراً عميقاً في التراث والفولكلور. فالنمر بشكل عام اسم قد أُطلق على أنواع خاصة من فصيلة القطط، وهو من الثدييات المفترسة التي تتميز بسحرها الطبيعي وأهميتها البيئية، التي تختلف أحجامها تبعاً لمنشئها وبيئتها. فالنمر يعيش في غابات آسيا وأفريقيا، ويمتاز بقدرته الفائقة على التسلل في خلسة وهدوء، ويلجأ إلى الحيلة والمكر، كما أنه صياد ماهر يقضي على فريسته بقفزة مباغتة، وتعّد النمور مخلوقات غامضة ترتبط بالظلمة والسحر، وفراؤها الرائع المدهش والزاهي الذي يساعده على أن يندمج بصورة كاملة وصامتة مع عالمه، كأنه شبح، يظهر من بعيد، ولا يمكن تصوره إلا عبر الخيال في أحلامنا[1]. وأقدم الإشارات عن النمر في الشعر العربي ما قاله امرؤ القيس (ت 540 م) عندما وصف من يحبهم بأن مساكنهم رؤوس الجبال، حيث يعدو النمر على شياههم:

أحبُّ إلينـا من أُناسٍ بقنَّةٍ يروحُ على آثار شائهم النَمِر[2]

فهو يتربع على قمة الهرم الغذائي كأكبر مفترس مازال باقياً بجماله وجلاله اللذين حوّلاه إلى رمز للقوة والغموض والنفوذ، كما أن تفرده بالشكل والحجم والبيئات التي يشغلها، عن غيره من النمور، فهو مهدد بالانقراض بسبب صيده الجائر لبيع فرائه؛ فهو يمتاز بلون جلده الباهت الذي يميل إلى الأبيض المرقط ببقع سوداء على الجسم، كل ثلاث أو أربع بقع تعطي شكل الوردة مقارنة بباقي النمور، وبسبب فقدان موائله وقلة فرائسه وهجمات الرعاة عليه قل عدده كثيرا وقارب على الانقراض فعدده لا يتجاوز 250 نمراً، أما عن صفاته الجسمية فطول ذيله يتراوح ما بين 660 - 814 ملم، والذيل طويل ينتهي بطرف أسود مستدق، ولا توجد هناك أي خطوط في وجهه، وهذا ما ساعده على الاندماج بصورة أفضل مع الطبيعة الصحراوية في موطنه الطبيعي، كما يمتاز بصغر حجمه، إذ يتراوح وزن الذكور ما بين 35-30 كيلوجراماً، بينما الإناث فيتراوح وزنها ما بين 25-20 كيلوجراماً، فهو يعادل تقريباً نصف حجم النمور الأفريقية والآسيوية المماثلة له في التصنيف على مستوى النوع. والنمور العربية من الحيوانات التي تحب الخروج ليلاً، فنادراً ما يتم رؤيتها نهاراً، وهي تجيد السباحة بطريقة جيدة وتفضل الفرائس الصغيرة كالأرانب والطيور، إلى المتوسطة كالقوارض وتقوم بتخبئتها في الكهوف أو العرين، وغالباً ما تترك فرائسها فوق هذه الأشجار حتى تستطيع أن تعود إليها وتتغذى عليها من وقت إلى آخر، كما تهوى تسلق الأشجار. والنمور العربية عادة تعيش بشكل انفرادي وتحب التجول بحثاً عن الفرائس، كما وتحب الاسترخاء والاستمتاع بدفء حرارة الشمس، ويصعب تحديد نطاق معيشتها ونشاطها، لكن موطنها الأصلي هو شبه الجزيرة العربية وعادة ما يجدونها في شبه جزيرة سيناء في مصر، لأنها تجمع ما بين كونها منطقة جبلية إلى جانب أنها تضم السهول المنفتحة وصحراء جافة وأراضي ساحلية منخفضة، والمعلومة المثيرة بأن المستكشف البريطاني «ويلفرد ثيسيجر» هو أول من رأى النمر العربي في دولة الإمارات العربية المتحدة لأول مرة على طريق بالقرب من جبل حفيت في مدينة العين[3]. وعلى الرغم من جماله صُنّف بأنه في درجة أكثر ندرة تحت نوع مهدد بالانقراض بشكل حرج، فعدده لا يزيد على 250 نمراً بالغاً، كما وقد انحسر انتشاره إلى 1% فقط من نطاق توزيعه الجغرافي التاريخي.

تعزيز الجهود لحماية النمر العربي

هناك جهود مكثفة للمحافظة على النمر العربي من الانقراض. فقد أمر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم الشارقة، بإنشاء جمعية للرفق بالنمر العربي التي أسهمت في تحقيق إنجازات مهمة على صعيد حماية هذا الحيوان النادر، كما وجّه سموه أفراد المجتمع بشرائحه كافة - وخصّ الشباب بها - بضرورة الابتعاد عن ممارسة الأنشطة غير الرشيدة في البيئة الصحراوية، والحرص على حماية التنوع الحيوي في المناطق البرية. وبذلت السلطات المعنية جهوداً كبيرة للحفاظ على النمور العربية وبيئتها الطبيعية، من خلال تربية بعض النمور في المحميات الطبيعية، بهدف إبعادها عن الخطر وعمن يحاولون قتلها لحمايتها من الانقراض[4]، لذلك من الضرورة حماية الحياة البرية وتنميتها في الدول العربية والخليجية، وتأسيس محميات طبيعية عالية المستوى تتأقلم مع الحياة البرية لمواطن النمر العربي، كما ولابد من التنسيق ما بين الدول لحماية هذه النمور وإبقائها وضمان تكاثرها، وكذلك

تطوير حدائق الحيوانات الصحراوية المخصصة للحياة النباتية والحيوانية لتكون مركزاً مناسباً للحيوانات البرية، ومناقشة قضايا صون التنوع الحيوي والحفاظ على نظم البيئات الطبيعية وإقامة شبكة من المحميات الطبيعية وتنفيذ منظومة من البرامج العلمية في إكثار الحيوانات المهددة بالانقراض. وفي 20 أغسطس 2023 تولت دولة الإمارات العربية المتحدة أولوية قصوى للحفاظ على التنوع البيولوجي وحماية الأنواع المهددة بالانقراض وإكثارها وإعادة توطينها في مناطق انتشارها الطبيعية داخل الدولة وخارجها، التي تم تصنيفها في القائمة الحمراء وفقاً لتصنيف الاتحاد الدولي لصون الطبيعة، وضمان استدامتها تحت حملة «استدامة وطنية» التي تم إطلاقها، مؤخراً، تزامناً مع الاستعدادات لمؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ «COP28»، وقد اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 10 فبراير من كل عام «اليوم الدولي للنمر العربي»، للاحتفال بالنمر العربي، وهذا القرار دعا إلى تعزيز الجهود التي تبذلها دول المجموعة العربية وأصحاب المصلحة المعنيين، فالاحتفال بهذا اليوم الدولي يعزز الاهتمام الذي تشتد الحاجة إليه للخروج من المحنة التي يعانيها النمر العربي المعرض للانقراض، واستعادة وجوده وتكاثره بوصفه نوعاً برياً رئيسياً يمثل الاستدامة في منطقته الأصلية. ودعت جميع الدول الأعضاء ومؤسسات منظومة الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية والإقليمية الأخرى والمجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية والإدارية وغيرهم من ذوي المصلحة بالاحتفال بهذا اليوم. وتقول معالي مريم بنت محمد المهيري: «إن الحفاظ على التنوع البيولوجي المحلي وضمان استدامته يمثل أحد الأولويات والأهداف الاستراتيجية لدولة الإمارات العربية المتحدة، لذا حرصت على إيجاد منظومة شاملة تدعم تحقيق هذا الهدف تشمل اعتماد بنية تشريعية متكاملة، تشمل قوانين لحماية الأنواع البرية وطبيعة التعامل معها»، كما وقد أشارت إلى أن مشروع القائمة الحمراء للأنواع المهددة بالانقراض يأتي مواكبة لتوجيهات الدولة وتوجيهات القيادة الرشيدة، ويمثل قاعدة رئيسية، يمكن عبر ما يوفره من بيانات وإحصاءات ودراسة، وتقييم حالة الأنواع البرية وتطوير واعتماد خطط وبرامج مستقبلية من أهدافها وأهم أدوارها تعزيز حماية التنوع البيولوجي المحلي وضمان استدامته ■

باحثة من الإمارات

المراجع والمصادر:

1. «النمر: التاريخ الطبيعي والثقافي»، سوزي غرين، ترجمة: معين الإمام، سلسلة الحيوان، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة)، كلمة، 2015.
2. «دراسة: النمر العربي.. من حافة الانقراض إلى إعادة التوطين»، أحمد البوق، مبادرة المنورة للأبحاث الثقافية، نوفمبر 2022.
3. الموقع الإلكتروني لحديقة الحيوان في مدينة العين.
4. الموقع الإلكتروني لوكالة أنباء الإمارات «وام».

النمر أو السبنتي في التراث الأدبي

قمر صبري الجاسم

يزخر تراثنا العربي على العموم وتراثنا الأدبي على الخصوص بمخزون وافر لكل جزيئيات الحياة وتفاصيلها، وكل مكوناتها.. الأشياء والأسماء والطيور والحيوانات والنجوم والأفلاك، ويعتمد تناولها على الكثير من العوامل منها الزمان والمكان، لذا يقال إن الفنون مرآة كل عصر. وقد أسهمت وتسهم في تطوير حياتنا، وتحوّلت مع الوقت إلى رموز، ويعتبر النمر من الرموز الثقافية والبيئية والجمالية الكثيرة في ذاكرة الجزيرة العربية إلى جانب الخيل والإبل.

النمر في مجمع الأمثال

جاء في كتاب مجمع الأمثال: لَبِسْتُ لَهُ جِلْدَ النَّمِرِ، يضرب في إظهار العداوة وكَشْفها، عن أبي عبيد، ويقال للرجل الذي تَشَمَّر في الأمر لبس جِلْدَ النَّمِرِ. وقال معاوية ليزيدَ عند وفاته: تَشَمَّرْ كلّ التَشَمُّرِ، والْبَسْ لابن الزبير جلد النمر[1]. كما جاء: أَحْمَى مِنَ أَسْتِ النَّمِر؛ لأن النمر لا يَدَعُ أن يأتيه أحدٌ من خلفه ويَجْهَدُ أن يمنعه[2]. وحين يأتي بدل أحمى أمنع: أَمْنَعُ مِنَ اسْتِ النَّمِرِ يضرب للرجل المَنِيع. وذلك أن النَّمِرَ لا يتعرض له، لأنه مكروه في القتال[3]. وجاء أَعَزُّ مِنَ اسْتِ النَّمِرِ[4].. أما «شَمِّرْ وأْتَزِرْ والْبَسْ جِلْدَ النَّمِر». فيضرب لمن يؤمر بالجد والاجتهاد[5].

ويقال سَبَنْتَاةٌ في جِلْدِ بَجَنْدَاةٍ. والسبنتي: النَّمِرُ، وألفه ليست للتأنيث ويقال للمؤنث: سَبَنْتَاة، والجمع سَبَانِت، ومنهم من يقول سَبَانيت، وبعضهم يقول: سَبَاتٍ، ويضرب للمرأة السَّلِيطة الصَّخَّابة[6].

كما يقال: أَرِينِهَا نَمرَةً أُرِكْهَا مَطِرَةً. والهاء في "أرنيها» راجعة إلى السحابة: أي إذا رأيت دليلَ الشيء علمتَ ما يتبعه، يقال: سحاب نَمِر وأنمر، إذا كان على لون النمر[7].

الشاعر والنمر

وإذا بحثنا في تراثنا الشعري الضخم، لأن الشعر ديوان العرب ووسيلة إعلامه سنجد تلك الرموز اعتمد عليها الشعراء في التشبيه، فحين أراد المتنبي أن يصف حالته وصف الحصان بأنه كان قلقاً فشعر كما لو أنه يمتطي الريح لا الحصان بقوله:

عَلَى قَلِقٍ كَأَنَّ الرِيحَ تَحتي

وحين أراد الفرزدق الحديث عن الغدر في قصته مع ابنة عمه استخدم الذئب لأنه رمز للغدر وسميت القصيدة بالشاعر والذئب فقال:

تعشَّ فإن عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
أخَيَّيْن كانا أرضِعا بِلَبان

ومازالت القصيدة ترمز للغدر، بينما لم تذكر كثيراً قصة قُرّان) بن يسار الفقعسي) مع النمر، حيث يروى عنه أنه خرج مرة حتى سند في أبان الأبيض، وهو جبل بين بني أسد وقيس وهو كثير الأروى وضروب الوحش والماء. فجعل يتبع الوحش فيرميها ويقتلها ويأكل من لحومها ويشرب من ذلك الماء. فبينا هو كذلك ذات يوم إذا هو بالنمر قد طلع عليه فتعرض له كأنه يريده، فانتزع نبله فأراه إياها، فبسط النمر أظفاره فأراه إياها، فاستل قران سيفه فكشّر النمر عن أنيابه، ثم أغمد قران سيفه، فخرج/ النمر مولياً، ومضى قران، فأتبعه النمر، فلما نظر إليه قران رجع النمر فمضى قران فرجع النمر في أثره، فالتفت إليه قران، فولى النمر، فعرف قران أنه يدعوه وقران يومئذ جائع قد أخفق من الصيد قبل ذاك، فأتبعه قران والنمر يمشي قدامه، فوجد أروية قد دق النمر عنقها، فذبحها قران والنمر ينظر حوزة منه، ثم اقتدح قران ناراً، فاشتوى، وقطعها، وجعل يلوح على النار منها، ويرمي بها إلى النمر، ثم قدد بقيتها، فكانا كذلك، إذا اصطاد قران شيئاً أطعم منه النمر، وإذا قتل النمر شيئاً أرشد إليه قران. وكان لهما ردهة يردانها، فإن ورد النمر تأخر قران حتى يلغ من الماء ويتمرغ فيه، ثم يخرج فيصدر، ويرد قران، وإن ورد قران قبله تأخر النمر عنه حتى يشرب قران ويغتسل. فقال قران في ذلك، وكان لقران أخ بالشأم يقال له الجون بن يسار، وهو يصف النمر:

خليلاي! لا تجري الحرابة بيننا
شريعتنا لأيـنا جاء أول
توكلت الأروى لنا بطعامنا
كلانا له منها شواء مرعبل
ولي صاحب في الغار هدّل صاحبا
أخي الجون إلا أنه لا يعلل

كلانا عدو لو يرى في عدوه
مهزاً وكل في العداوة مجمل
إذا ما التقينا كان أعلى كلامنا
صمات وطرف كالمعابل أطحل[8]

أما الشاعرة الخنساء فقد قالت في رثاء أخيها صخر فيما قالت وهي تصفه:

يا صَخْرُ وَرّادَ ماءٍ قد تَنادَرَهُ
أهلُ الموارِدِ ما في وِرْدِهِ عارُ
مشَى السَّبَنْتي إلى هيجاءَ مُعْضِلَةٍ
لهُ سلاحانِ: أنيابٌ وأظفارُ
وما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطيفُ بِهِ
لها حَنينانِ: إعْلانٌ وإسْرارُ

والسبنتي: النَّمِرُ. ومما ورد في التراث من أسماء النمر أيضاً: الأَبْرَد، والأَرْقَط، والكَنْعَم، والضَّرْجَع.

ولأن قتال النمور أصعب من قتال الأسد لخفتها وبعد ثباتها، وهي تدخل في الغارات والمحاجر كما تدخل الضباع، كما جاء في كتاب «الاعتبار»، وأن النمر دون سائر الحيوان يقفز إلى فوق أربعين ذراعاً[9]. جاء ذكره في سينية ابن زيدون الرائعة حين قال:

إن قَسا الدَهرُ فَلِلماءِ
مِنَ الصَخرِ انبِجاسُ
وَلَئِن أَمسَيتُ مَهبوساً
فَلِلغَيثِ احتِباسُ
يَلبُدُ الوَردُ السَبَنتي
وَلَهُ بَعدُ افتِراسُ

وفي قصيدة أخرى قال ابن زيدون:

لا يَسْلَمُ الشّـــرفُ الرّفيـــعُ مـــنَ الأذَى
حتّـــى يراقَ على جوانبِـــهِ الـــــدّمُ
فـــرقٌ عوَتْ، فـــزأرتَ زأرَةَ زاجـــرٍ
راعَ الكليبَ بهـــا السَّبنتـــي الضّيغَـــمُ

التنمر في التراث الشعري

ونجد في الآونة الأخيرة انتشار مصطلح التّنمر، وحين نبحث عن معنى المصطلح نجده في لسان العرب لابن منظور يقَالُ للرجل السيئ الخُلُق: قَدْ نَمِرَوتَنَمَّرَ. ونَمَّرَوجهَه أي غيَّره وعَبَّسَه. تَنَمَّرَلَهُ أي تَنَكَّروتَغَيَّرَوأَوعَدَه لأَن النَّمِرَلَا تَلْقَاهُ أَبداً إِلا مُتَنَكِّراً غضْبَانَ. وقول الشاعر عَمْرِوبْنِ مَعْدِيكَرِبَ:

وعلِمْـــــتُ أَنِّـــي يـــومَ ذاكَ
مُنـــازِلٌ كَعْبـــاً ونَهْـــــدا
قَـــــوْمٌ، إِذا لبِسُـــوا الحَدِيـــدَ
تَنَمَّـــرُوا حَلَقـــاً وقِـــــدَّا (10)

وقد استخدم المصطلح في الكثير من قصائد الهجاء، كقول الشاعر نهار بن توسعة وهو شاعر من العصر الأموي:

تنمر وشمريا قـــتيب بـــن مسلـــم
فـــإن تميـــماً ظالـــم وابن ظالـــم
ولا تأمنـــن الثائريـــــن ولا تنـــم
فـــإن أخـــا الهيجـــاء ليـــس بنائـــم

والشاعر هَمَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق من العصر الأموي قال أيضاً:

كَتَبتُـــم زَعَمتُـــم أَنَّهـــا ظَلَمَتكُـــم
كَذَبتُـــم وَبَيتِ اللَـــهِ بَل تَظلِمونَهـــا
فَإِلّا تَعُـــدّوا أُمَّهـــا مِـــن نِسائِكُـــم
فَإِنَّ اِبنَ لَيلـــى والِـــدٌ لَـــن يَشينَهـــا
وَإِنَّ لَهـــا أَعمـــامَ صِـــدقٍ وَإِخـــوَةٍ
وَشَيخـــاً إِذا شِئتُـــم تَنَمَّـــرَ دونَهـــا

أما الشاعر الحكيم أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي، في العصر العباسي استخدم المصطلح للمديح، وجاءت تنمّر أي صار كالنّمر في غضبه ولم يعد يهمه أن يكون قاتلاً أو قتيلاً بقوله:

شديـــــد الخنزوانـــة لا يبالـــي
أصـــاب إذا تنمّـــر أم أصيبـــا

وهناك الكثير الكثير من الأمثلة في استخدام المصطلح في المديح، نختم بما قاله الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري من

العصر العباسي:

نَهَيـــتُ حُسَّـــادَهُ عَنهُ وَقُلـــتُ لَهُـــم
السَيـــلُ بِاللَيلِ لا يُبقـــي وَلا يَـــذَرُ
كُفّـــوا وَإِلّا كَفَفتُـــم مُضمِـــري أَسَفٍ
إِذا تَنَمَّـــرَ فـي إِقدامِـــهِ النَمِـــرُ
أَلوى إِذا شابَـــكَ الأَعـــداءَ كَدَّهُـــمُ
حَتّـــى يَروحُ وَفـــي أَظفـــارِهِ الظَفَـــرُ

شاعر وإعلامية سورية

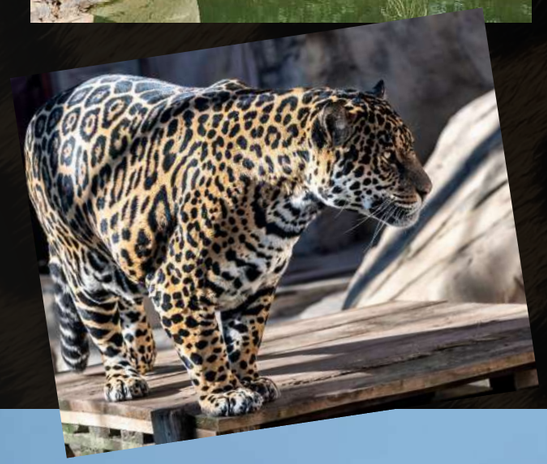

المراجع:

1. مجمع الأمثال، الجزء الثاني، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518 ه)، الناشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 180.
2. المصدر السابق نفسه، ص 222.
3. المصدر السابق نفسه، ص 323.
4. المصدر السابق نفسه، ص 53.
5. المصدر السابق نفسه، ص 362.
6. المصدر السابق نفسه، ص 344.
7. المصدر السابق نفسه، ص 294.
8. المحبر، المؤلف: أبو جعفر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت 245 ه)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن - الهند. عام النشر 1361 هـ - 1942 م، فصل فتاك الإسلام، ص 216 217-.
9. الاعتبار، المؤلف: أسامة بن منقذ (ت 584 ه)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
10. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ ص 235.

إعادة إدخال النمور العربية إلى البرية

مع الاستعادة الشاملة للبيئة الطبيعية بالعلا في المملكة العربية السعودية

محمد فاتح صالح زغل

في خطوة مهمة نحو الحفاظ على البيئة، أعلنت الهيئة الملكية لمحافظة العلا (RCU) عن ولادة سبعة أشبال نمور عربية في المملكة العربية السعودية. ويؤكد هذا الإنجاز الملحوظ التزام الهيئة الراسخ بالحفاظ على التنوع البيولوجي وحماية النمور العربية، وهو نوع على وشك الانقراض. وقد ظهرت أشبال النمر لأول مرة في مركز الأمير سعود بن فيصل لأبحاث الحياة البرية في محافظة الطائف خلال الأشهر الخمسة الماضية، وهي شهادة على نجاح جهود المحافظة على البيئة التي تبذلها الهيئة الملكية لمحافظة الطائف. وبهذا يصل العدد الإجمالي للنمور العربية تحت رعاية الهيئة الملكية لمحافظة العلا إلى 27 نمراً، مما يمثل مضاعفة ملحوظة لأعدادها منذ بدء مشروع الفهود العربية في عام 2020. ولا تهدف الاستراتيجية الحكيمة لهيئة التنسيق الإقليمية إلى حماية النمور العربية فحسب، بل تهدف إلى المواءمة مع الأهداف الأوسع لرؤية السعودية 2030 أيضاً. ومن خلال إعادة تأهيل النظم البيئية ومناصرة قضية الأنواع المهددة بالانقراض، وتلعب هيئة التنسيق الإقليمية دوراً محورياً في المساهمة في تحقيق الأهداف الوطنية، بما في ذلك المبادرة الخضراء السعودية الطموحة. وتهدف هذه المبادرة إلى تخصيص 50% من أراضي العلا كمحمية طبيعية، مما يعزز التزام المملكة بالاستدامة البيئية والحفاظ على التنوع البيولوجي.

سبعة أشبال جديدة

وُلدت الأشبال في مركز التربية المحافظة على البيئة التابع للهيئة الملكية لمحافظة العلا في الطائف في المملكة العربية السعودية وتعتبر الولادات علامة فارقة حاسمة للمبادرة، التي تهدف إلى إزالة حالة السلالة المهددة بالانقراض ما يمثل إنجازاً كبيراً في برنامج تربية الحفظ الخاص بها كما حددها الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة. وقد بلغ عدد النمور في المركز 27 نمراً وهو ما يقرب من ضعف العدد الـ 14 الموجود عندما بدأ مشروع الحفاظ على البيئة في عام 2020.

وتشير التقديرات إلى أن هناك أقل من 200 نمر بري متبقي في شبه الجزيرة العربية، مما يضعها بقوة على القائمة الحمراء للاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة. وقد حددت الأمم المتحدة يوم 10 فبراير من كل عام باعتباره اليوم العالمي للنمر العربي تقديراً لأهمية الحفاظ على هذا النوع. وفي العام الماضي رحب برنامج التربية المحافظة على البيئة بثلاثة أشبال جديدة، لذا فإن سبعة أشبال يعد تقدماً كبيراً. ومن بين الوافدين الجدد، تتم حالياً رعاية خمسة من قِبل أمهاتهم دون أي تدخل من موظفي المركز، الذين يحافظون على مسافة بينهم لضمان تعزيز رابطة الأمومة القوية. ويتولى موظفو RCU رعاية الشبلين المتبقيين بعد أن تخلت عنهما والدتهما، وهذا أمر طبيعي ومتكرر سواء في الأسر أو في البرية، فقد تم نقل الأطفال حديثي الولادة على الفور من حظيرتهم ومراقبة سلوك الأم عن

كثب. وهذا يحدث مع الأمهات الجدد في بعض الأحيان، بسبب نقص الخبرة. في البرية، إذا يمكنها أن تتركها لتموت.

إن الأشبال التي تتم تربيتها يدوياً لا تقل أهمية عن تلك التي تربيها أمهاتها. إذ يجب أن يتم تعريفها مرة ثانية بالنمور الأخرى، الأمر الذي يتطلب تدريباً خاصاً والكثير من الصبر. وبعد خمسة إلى ستة أسابيع تتم إعادتها إلى القفص لبضع ساعات كل يوم لإعادة دمجها. وكذلك نقلها في التغذية من الحليب إلى الطعام الصلب وهي عملية شاقة ولكنها توضح مدى أهمية إنقاذ كل شبل. وقد يلحقها بعض الضرر نتيجة تعلقها بأمهاتها مما يزيد بشكل كبير من فرص بقائها على قيد الحياة أيضاً خلال المراحل الأولى من حياتها أثناء نقلها لحضانة خاصة بمتابعة مباشرة من أحد الخبراء المتخصصين بتربية الأشبال والبقاء معها والنوم بالقرب منها وإطعامها كل ساعتين بما يتماشى مع بروتوكولات الحفظ الصارمة، كما تتم مراقبة الفهود على مدار الساعة من قِبل فريق خبراء متخصص عبر كاميرات CCTV أيضاً.

شراكة تاريخية

تجدر الإشارة إلى أنه منذ عام 2019، دخلت (بانثيرا) والهيئة الملكية لمحافظة العلا (RCU) في شراكة تاريخية لاستعادة النمر العربي المهدد بالانقراض بالإضافة إلى مجموعات الفهد في جميع أنحاء العالم. وقد خصصت الهيئة الملكية لمحافظة العلا مبلغ 20 مليون دولار أمريكي للحفاظ على النمور في المملكة العربية السعودية وفي جميع أنحاء العالم على مدى العقد المقبل من خلال مبادرات عدة، بما في ذلك:

- البحوث العلمية في تربية الأسر الفهودية وفق أساليب وتقنيات حديثة.
- استعادة الموائل ومجموعات الفرائس داخل المحميات الطبيعية.
- مواجهة التهديدات التي تواجهها هذه القطة المهددة بالانقراض وخطط إنقاذها

- حملة «قفزة الأمل» التي تم إنشاؤها خصيصاً لليوم العالمي للنمر العربي 2024، حيث تواصل الهيئة الملكية لمحافظة العلا توسيع مهمتها طويلة المدى لحماية النمر العربي وتدعو الأفراد والمنظمات والخبراء في جميع أنحاء العالم إلى لعب دورهم.
- إطلاق تجربة ألعاب «البحث عن الأمل» على منصتي Roblox وDecentraland الافتراضيتين، والتنشيط الرقمي في بكين ولندن ونيويورك وباريس، والعديد من المبادرات التي تجري في جميع أنحاء العالم.
- تأسيس صندوق النمر العربي كجزء من الاستراتيجية الشاملة المصممة لدعم رؤية المملكة العربية السعودية 2030. وتهدف هذه الرؤية إلى تعزيز الاستدامة البيئية.
- تنسيق الاستراتيجيات وخطط العمل والشراكات الفعالة عبر مجموعة النمر العربي، وتبادل المعرفة وأفضل الممارسات، وتمكين الإجراءات الفعالة لدعم الحفاظ على النمر العربي على المدى الطويل.
- إنشاء (منحة النمر العربي) خاصة بالأفراد والمنظمات التي تدعم هدف الحفاظ على النمر العربي. وستقدم هذه المبادرة الخاصة 50 منحة دراسية للشباب المقيمين في العلا المتفانين والمستحقين، مما يسمح لهم بالتعمق في مجموعة من التخصصات والمساعي الأكاديمية التي تتماشى مع متطلبات وتحديات حماية النمر العربي. ومن خلال هذه المنح الدراسية، سيتمكن الجيل القادم من المضي قُدُماً بهذه المهمة الحاسمة بنجاح وتميز.
- إجراء دورات تدريبية كجزء من الشراكة الاستراتيجية مع أكاديمية «Durrell Conservation Academy»، التي تمنح شهادة الدراسات العليا لإدارة الأنواع المهددة بالانقراض (DESMAN) من DURRELL. وتزويد المتدربين بمجموعة شاملة من المهارات لتعزيز فعاليتهم في إدارة مشاريع الحفاظ على البيئة أو المشاركة فيها عبر أحدث النظريات والممارسات المتعلقة باستعادة الأنواع المهددة بالانقراض ويزودهم بمجموعة واسعة من المهارات في التيسير والإدارة والقيادة.

أفلام وثائقية

ضمن برنامج المبادرات تم إطلاق العديد من الأفلام الوثائقية عن الحياة البرية والبحرية والجبلية الطبيعية في المملكة العربية السعودية، فقد فاز الفيلم الوثائقي السعودي «أفق» بـ «جائزة هيرميس العالمية" وهي جائزة أمريكية دولية انطلقت منذ 27 عاماً، وتعتبر من أقدم وأكبر المسابقات الإبداعية العالمية، واستطاع فيلم «أفق» أن ينجح بهذه المسابقة وقدّم عرضاً موثقاً عن التنوع البيئي في المملكة العربية السعودية، والتعريف بالمناطق الجغرافية الفريدة، والجهود المبذولة لحماية الحياة البرية والحفاظ على الأنواع النادرة فيها، فضلاً عن تعريف العالم بكنوزها المتنوعة، من خلال إظهار الطبيعة الخلابة. التي تزخر بالحياة النباتية والحيوانية المتنوعة وتثير الوعي. وكلها تصور ثراء أرض المملكة. ويُظهر الفيلم، الذي أنتجته مبادرة «كنوز» التابعة لوزارة الإعلام بالشراكة مع المركز الوطني لتنمية الحياة البرية، مجموعة متنوعة من الكائنات البرية، مثل أبقار البحر أو حورية البحر، والدلافين، والنمر العربي الرشيق، وأنواع الغزلان. والمها. وتحرص المملكة العربية السعودية على الاهتمام بالقطاع البيئي باعتباره أحد

برامج وأهداف رؤية 2030. كما يعرض الفيلم أكثر من 10000 كائن فريد يتكيّف مع بيئاته. وقد استغرق التصوير أكثر من 200 يوم، وشارك فيه طاقم متخصص يتكون من 50 شخصاً سافروا لمسافة تزيد على 4700 كيلومتر عبر 28 موقعاً. بالإضافة إلى ذلك، أسهم 13 باحثاً سعودياً في الحياة البرية. يتوقع أن يكون لهذه المبادرات تأثيرات بعيدة المدى، وتمكين الأفراد من المساهمة بشكل كبير في جهود الحماية والحفاظ على النمر العربي وغيره من الأنواع المهددة بالانقراض ■

باحث وأكاديمي في التراث الخليجي

المصادر والمراجع:

1. النمر العربي يعود إلى موطنه في «العلا».. وبرامج لحمايته، الشرق الأوسط، 20 أكتوبر 2020.
2. عودة النمر العربي إلى بيئته الطبيعية. انظر:
https://www.experiencealula.com/.
3. ملكية العلا في السعودية.. ولادة 7 من صغار النمر العربي. انظر:
https://www.arabiaweather.com/.
4. السعودية تعلن عن خطتها لإعادة توطين «الفهد الصياد» لإعادة التوازن البيئي والمحافظة على الحياة الفطرية.. ، الشرق الأوسط. انظر:
https://aawsat.com/home/article/4309866/.
5. الهيئة الملكية لمحافظة العلا تعلن عن ولادة 7 من «هراميس» النمر العربي. انظر
https://www.prnewswire.com/ae/ar/news-releases.
6. صحيفة «مكة» ولادة 7 من صغار النمر العربي في العلا. انظر:
https://makkahnewspaper.com/article/1600790.

النمر العربي رمز ثقافي مهدد بالانقراض

فاطمة سلطان المزروعي

لقد استوطن النمر العربي منطقة الجزيرة العربية منذ أكثر من 500 ألف عام وكان يتغذى على الفرائس الموجودة في المنطقة مثل الأرانب والوعول والغزلان، لكن أعداده بدأت بالتناقص في الفترة الأخيرة نظراً للصيد الجائر وقلة الموارد الطبيعية التي كان يتغذى عليها، ليصنفه الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة من ضمن الأنواع المهددة بالانقراض في البرية. والنمر العربي نوع صغير وحجمه نحو نصف حجم النمور الهندية والأفريقية الأكثر شهرة منه. وفيما قد يصل وزن الذكر إلى 35 كيلوغراماً في بعض الأحيان، فإن متوسط وزن الأنثى يصل إلى نحو 25 كيلوغراماً، كما أن لونه أصفر أشهب خفيف جداً مقارنة بالنوعين الآخرين وعليه بقع سوداء على شكل الوردة مع نقطة بنية في المركز، أذناه مدورتان وذيله طويل، أسود عند آخره. ويتمتع بتمويه ممتاز يمكّنه من النجاة بسبب لون جلده الذي يتناسب مع لون جبال حجر الموجودة في شبه الجزيرة العربية وتغطي جزءاً كبيراً من شمال سلطنة عُمان وبعض الأجزاء من المنطقة الشمالية في دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث لم يبق فيها سوى القليل جداً من الفرائس لتقتات عليها. وقد تعلمت هذه النمور كيف تعيش على القلة وأخذت تأكل أي شيء مهما صغر شأنه، لذلك لا تستطيع العيش بلا ماء ولهذا فهي تتردد بانتظام على ما تبقى من برك ماء دائمة قليلة تختفي عن العيون بين الوديان والشعاب البعيدة.

كان النمر العربي موزعاً على نطاق واسع في الجبال على طول سواحل البحر الأحمر وبحر العرب في المملكة العربية السعودية حتى أواخر الستينيات من القرن الماضي، كما يُقدّر أن موطن النمر قد انخفض بنحو 90% منذ بداية القرن التاسع عشر من بين 19 تقريراً تم الحصول عليها بين عامي 1998 و2003، وأكدت أربعة تقارير فقط بما في ذلك المشاهدات في مكان واحد في جبال الحجاز وثلاثة مواقع في جبال عسير، مع أحدث سجل في عام 2002 جنوب بلجراشي ولم يتم تسجيل أي نمر خلال المسح الذي أجري مابين عامي 2002 و2003. وعلى الرغم من أن النمر محمي رسمياً في البلاد، فإن نطاقه المتبقي لا تشمله المناطق المحمية.

أما في عُمان فكانت هناك بعض النمور العربية التي تعيش في المركز السلطاني المتخصص بتربيتها وقد استطاع المركز حتى الآن أن يربي مجموعات عدة من النمور الصغيرة. كما تم تحديد 17 نمراً بالغاً بين عامي 1997 و2000 كذلك شوهدت النمور في شبه جزيرة مسندم، ويقدر نطاق موطن النمور العربية في هذه المحمية تقريباً بنحو 350 كيلومتراً (140 ميلًا مربعاً) للذكور، و250 كيلومتراً (97 ميلًا مربعاً) للإناث، وتعتبر سلسلة جبال ظفار أفضل موطن للفهد في البلاد حيث توفر هذه التضاريس الوعرة الملاجئ والظل والمياه المحاصرة، وتؤوي مجموعة واسعة من أنواع الفرائس، ولا سيما في الجرف والوديان الضيقة. كما سجل فريق مشروع صون النمر العربي في مكتب حفظ البيئة في سلطنة عُمان أول توثيق علمي لوجود النمر العربي في منطقة هرويب شمال جبل القمر في محافظة ظفار، وفقاً لما ذكره مكتب حفظ البيئة في حسابه الرسمي.

أما في اليمن فقد شوهدت النمور في جميع المناطق الجبلية في البلاد، بما في ذلك المرتفعات الغربية والجنوبية شرقاً إلى الحدود مع عُمان. ومنذ أوائل التسعينيات من القرن الماضي، تعتبر النمور نادرة وقريبة من الانقراض بسبب الاضطهاد المباشر من قِبل السكان المحليين واستنزاف الفرائس البرية

لذا فالنمر العربي مهدد بالانقراض نتيجة فقدان الموائل وتدهورها وتجزئتها؛ واستنزاف الفريسة الناجم عن الصيد غير المنظم؛ ومحاصرة التجارة غير المشروعة في الحياة البرية والقتل الانتقامي دفاعاً عن الماشية.

لقد انخفض عدد النمور بشكل كبير في الجزيرة العربية، حيث يقتل الرعاة والقرويون النمور انتقاماً من الهجمات على الماشية. بالإضافة إلى ذلك، فإن صيد أنواع فرائس النمر من قِبل السكان المحليين وتجزئة الموائل، وخاصة في جبال السروات داخل شبه جزيرة العرب، جعل استمرار بقاء مجموعة النمور والفهود غير مؤكد. كما أن هناك أسباباً أخرى لقتل النمور والفهود هي الرضا الشخصي والفخر والطب التقليدي والجلود وقد تقتل بعض النمور عن طريق الخطأ عند تناولها جثثاً مسمومة مخصصة للذئب العربي والضبع المخطط.

وفي الخمسينيات من القرن الماضي، بدأ عدد النمور العربية بالتناقص بالفعل بشكل كبير وملحوظ بسبب تدهور الموائل وتجزئتها، وقتل النمور وأنواع الفرائس وقد أدى الصيد المكثّف في أوائل التسعينيات من القرن العشرين إلى إطلاق برامج عدّة للحفاظ على هذه النمور وعلى مسكنها الجبلي وعلى جميع أصناف الحياة البرية التي تقطن هذه الأماكن. يبلغ عدد النمور العربية ما بين 15 و 18 نمراً في صحراء النقب ووادي عربة في فلسطين، وقرابة 200 نمر في شبه الجزيرة العربية بأكملها وخصوصاً على امتداد جبال مدين والحجاز والسروات حتى اليمن وكذلك في شرق الإمارات، ولا تزال الأعداد تتناقص في المناطق البريّة غير المحمية بسبب اضطهادها وصيدها على اعتبار أنها من الحيوانات المفترسة المضرّة والمؤذية. وتفيد الدراسات الحديثة بأن انتشار النمر العربي في المنطقة العربية أصبح محدوداً جداً، وقد اختفى في العديد من بعض المناطق مثل جبال مدين، بينما تضاءل وُجوده كثيراً في مناطق أخرى مثل جبال السروات والحجاز عموماً، وقتل آخر فرد منه في جبال الطويق عام 1970م. وفي عام 2006، توصلت دراسة من قسم علم الحيوان في جامعة الملك سعود قامت بمسح

أكثر من 50 موقعاً في السعودية إلى وُجود 65 نمراً فقط من النمر العربي في المناطق كافة التي مسحتها عبر جبال الحجاز

ولذلك اهتمت المملكة العربية السعودية بالمحافظة على النمر العربي وحمايته من الانقراض عبر مبادرة «صندوق النمر العربي»، الذي تبنّته الهيئة الملكية للعلا، بالإضافة إلى تخصيص يوم العاشر من فبراير (شباط) من كل عام من قِبل مجلس الوزراء، يوماً للنمر العربي لنشر الوعي بالحفاظ عليه.

وتهدف «مبادرة صندوق النمر العربي» إلى الحفاظ على البيئة والسعي لنشر التوعية على مستوى المنطقة، وتلفت المبادرة انتباه العالم إلى المخاطر التي يتعرض لها هذا الكائن النادر، وتسلط الضوء على الخطط بعيدة المدى لإنقاذه، حيث تُنظم مبادرة يوم النمر العربي يوم 10 فبراير من كل عام فعاليات وبرامج للتوعية والحفاظ عليه وحمايته تتماشى تماماً مع التزام السعودية والهيئة الملكية لمحافظة العلا تجاه حماية النمر العربي، لما له من أهمية وطنية وإقليمية. ويعد النمر العربي أصغر أفراد عائلة النمور، ويبلغ أقصى وزن له 35 كيلوغراماً تقريباً، أي ما يعادل نصف وزن نظيره الأفريقي، ولكن بسبب انتشار التصحر على مدى قرون، أصبح النمر الوحيد القادر على التأقلم مع ظروف الصحراء. في الماضي كان طعام النمر العربي يشمل الوعل النوبي، وهو نوع من الماعز الجبلي، والطهر العربي الذي يشبه الماعز أيضاً، وحيوان الوبر الصخري الصغير وعندما لا يعثر عليها، يصطاد الحجل والأرانب البرية والقنافذ وحتى النيص. وعلى عكس الفهد الصياد الذي يعتمد على السرعة، يعتمد النمر في افتراسه على الانقضاض والمطاردة، وبفضل البنية النحيلة لجسمه الممدود، وأرجله القصيرة القوية، وذيله الطويل، والنمر يعتمد على هذه المواصفات لتحقيق التوازن، ما يجعله صياداً مثالياً في الجبال، حيث ينطلق لمسافة بضعة أمتار من مكمنه قبل أن ينقض على فريسته. وتمكنت الهيئة الملكية لمحافظة العلا في المملكة العربية السعودية من إطلاق عدد من البرامج والأنشطة لنشر الوعي عن النمر العربي، وتسعى الهيئة إلى تحقيق عدد من الأهداف؛ من أهمها ضمان وجود مجموعة مناسبة من النمور العربية قابلة للحياة وللمداومة بشكل مستدام، مع توفير فرائسها البرية في مواطنها الطبيعية، وضمان تعايشها مع المنطقة، وذلك تمهيداً لعودتها بشكل سليم لبيئتها الطبيعية من دون حدوث مشاكل. وتحرص الهيئة على تبنّي وتطبيق التشريعات المناسبة لحماية النمر العربي وفرائسه ومواطنه، وتخفيف العوامل الرئيسية المسببة لانخفاضه في المواقع القائمة والمحتملة. كذلك تحرص على التعاون الفعال بين الدول والوكالات ذات الصلة والشركاء الدوليين، لتوفير مخزن وراثي وديموغرافي يساعد على بقاء النمر العربي من خلال التربية في الأسر، والعمل على المستوى الدولي لتوحيد الجهود، وهو بمثابة أداة تمكين، من أجل توفير البيئة المناسبة له في أماكن وجوده وحمايته وتحسين النظرة المستقبلية لهذه الأنواع المهددة بالانقراض، كما وقّعت الهيئة الملكية لمحافظة العلا وصندوق النمر العربي، مذكرتي تفاهم مع مؤسسة «كاتموسفير»، بهدف تعزيز الجهود الإقليمية لحماية مستقبل النمر العربي المهدد بالانقراض. وتهدف الاتفاقية إلى التأسيس لإطار عمل قائم على التعاون الاستراتيجي بين الطرفين، وتضمنت المذكرة تنفيذ العديد من البرامج والأنشطة المهمة المصممة لزيادة الوعي في أهمية حماية القطط الكبيرة، مع التركيز على النمر العربي بشكل خاص كما قامت بإطلاق سلسلة من الأنشطة والمبادرات التوعوية المستدامة والمبتكرة، إضافة إلى إجراء البحوث العلمية الشاملة، من أجل ضمان حماية مستقبل النمر العربي الذي يمثل أحد رموز الفخر في السعودية والعديد من دول المنطقة. وكانت مؤسسة «كاتموسفير» قد أطلقت حملة توعوية عالمية، لأول مرة في 6 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021، تحت اسم «كات ووك» التي أقيمت بالشراكة مع الهيئة الملكية لمحافظة العلا، وتمكّنت من استقطاب ما يزيد على 27.000 مشارك في مسيرات مشي جماعية نُظمت في 102 دولة، قطع المشاركون فيها مجتمعين مسافة زادت على 150.000 كيلومتر وذلك تضامناً مع ضرورة إكثار هذه النمور وحمايتها وتوفير البيئة المناسبة لها.

وشارك أهالي وسكان العلا في المملكة العربية السعودية بالمسير في محمية شرعان الطبيعية لدعم جهود حماية النمر العربي، في إشارة واضحة تدل على انتشار الوعي في المحافظة بمكانة وأهمية وقيمة النمر العربي في طبيعته وتضاريسه التي يعيش فيها، وإدراك أهمية حماية مستقبل هذا الكائن.

في فبراير 2019 وبرئاسة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ولي العهد، أطلقت الهيئة الملكية لمحافظة العلا في المملكة العربية السعودية الصندوق العالمي لحماية النمر العربي، وجاء ذلك ضمن إطلاق مشروع محمية شرعان الطبيعية. وقد أسهم الصندوق في الحفاظ على النمر العربي وعلى بعض أنواعه المهددة

بالانقراض، التي تنتشر في جبال العلا سابقاً، حيث بلغ عدد النمور العربية في المملكة أقل من 250 نمراً، وفي 23 إبريل 2021 أعلنت الهيئة عن ولادة أنثى جديدة من النمر العربي لتنضم إلى مجموعة النمور العربية التي ضمن برنامج الإكثار في مركز الأمير سعود الفيصل لأبحاث الحياة الفطرية.

قدمت السعودية نموذجاً مميزاً على مستوى العالم لحماية النمر العربي، والسعي لحفظ سلالته من الانقراض، وضمن هذه الجهود يأتي صدور قرار مجلس الوزراء مؤخراً بتحديد العاشر من شهر فبراير من كل عام يوماً للنمر العربي، وقد وضعت الهيئة الملكية لمحافظة العلا استراتيجية للمحافظة عليه عبر مجموعة متنوعة من المبادرات، بما في ذلك التوسع في برنامج الإكثار من خلال افتتاح مركز النمر العربي وفق أعلى المعايير الدولية في محمية شرعان الطبيعية. وتعمل السلطات السعودية عبر مركز «النمر العربي» على حماية هذا النوع من الثدييات ومحاولة إعادة توطينها في خمس محميات في المملكة، إن المركز العالمي لحماية النمر العربي الذي أنشأته السعودية سيكون البادرة الأساسية لإعادة إطلاقه في البرية للحفاظ على التوازن البيئي، كونه أصغر النمور في قارة آسيا وأفريقيا.

لقد أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 10 شباط/فبراير من كل عام يوماً عالمياً للنمر العربي لإذكاء الوعي بشأن هذا النوع البري المهدد بالانقراض كما استحوذ الاهتمام بحماية النمر العربي من الانقراض والحفاظ عليه على اهتمام المسؤولين في دولة الإمارات العربية المتحدة، وعلى رأسهم صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم الشارقة، وذلك بإنشاء جمعية للرفق بالنمر العربي الأمر الذي أسهم في تحقيق إنجازات مهمة على صعيد حماية هذا الحيوان النادر، وإصداره المرسوم الأميري الذي كان وراء شرعية وجود الجمعية، وتوفير المكان الملائم والخاص بالحيوانات البرية العربية المهددة بالانقراض وهو مركز حماية وإكثار الحيوانات العربية المهددة بالانقراض. كما أعلن سموه عن إطلاق «مبادرة صندوق النمر العربي» في بيئات شبه الجزيرة العربية... وهذه المبادرة تهدف إلى دعوة الباحثين والمهتمين والمنظمات العالمية لحماية النمر العربي في موائله الطبيعية القليلة التي لا يزال موجوداً فيها وإنقاذه من الحالة الحرجة التي وصل إليها تمهيداً لإعادة إطلاقه لاحقاً في موائله الطبيعية في شبه الجزيرة العربية... ■

رئيس قسم الأرشيفات التاريخية - الأرشيف الوطني

المصادر والمراجع:

1. https://www.alarabiya.net.
2. https://www.albayan.ae.
3. https://www.alkhaleej.ae.
4. https://wam.ae.

النمر العربي في التراث والثقافة وتحدّيات الانقراض

أماني محمد ناصر

يحتل النمر العربي مكانة مهمة في التراث العربي والثقافة المحلية في شبه الجزيرة العربية. ويتمتع بوجود قوي في الشعر والأدب والتراث الشفهي للمنطقة، حيث يُذكر باعتباره رمزاً للشجاعة والقوة، وتعتبر رؤيته شيئاً مميزاً ونادراً، ما يجعله جزءاً من الهوية الثقافية للجزيرة العربية.

من أسمائه في التراث العربي: الأَبْرَد، الأَرْقَط، السَّبَنْتَى، الكَثْعَم، الضَّرْجَم، ويُطلق على صغيره اسم «هرماس»، أمّا أنثى النمر فتُعرف بأسماءٍ مُختلفة، مثل: كعثم، وعسبرة، وخنيمة، وأم فارس.

ويكنّى بـ: أبو جعدة، أبو جهل، أبو رقاش، أبو المرسال، أبو فارس، أبو عمرو، أبو خطاف، أبو الأسود، ويقال في جمعه: نُمُر، أنمار، نُمر بتسكين الميم، أُنمر، نمور، نمارة، ونمار، وأُنمر.

ومن أسماء أشبال النمر أيضاً: الفِزر، الهِرماس.

وتسمى أنثاه: العُسبُرة، السبنتاة، النَمِرة، الخنيمة، الفزارة.

وتكنى الأنثى بـ: أم فارس، أم الأبرد، أم رقاش.

ويقال عن صوته وهو غضبان: التزمخر والزمخرة.

بينما صوته وهو نائم أو مسترخٍ: الهَرِير - الغَطِيط - الخَرِير - الخَرْخَرَة.

ويُجمع النمر على:

أُنْمُر، نُمُور، نُمُورَة، نُمُر، أَنْمَار، نُمُر، نِمَار، نِمَارَة.

الأهمية الثقافية والتراثية للنمر العربي

النمر العربي، وباعتباره أحد الكائنات الحية النادرة التي تعيش في مناطق شبه الجزيرة العربية، يُعتبر رمزاً ثقافياً مهماً لهذه المنطقة، ويحمل معه قيمة ثقافية وتاريخية كبيرة. فعندما نتحدث عن الأهمية الثقافية له، فإننا نشير إلى الدور الذي يلعبه هذا الحيوان في تعزيز الهوية الثقافية والوعي البيئي للمجتمعات في منطقة شبه الجزيرة العربية. واحتفاظ هذه المنطقة بنوعية فريدة من النمور يمتلك خصائص مميزة، يعكس ارتباطها العميق بالتراث الثقافي والبيئي للمنطقة.

تاريخياً، كان النمر العربي جزءاً لا يتجزأ من ثقافة الشعوب العربية، وكان يُعتبر رمزاً للقوة البدنية والجمال والشجاعة والحرية، ويمتلك النمر العربي تصميماً فريداً، حيث يتميز بوجهه المميز وخطوطه الجميلة، ما يجعله محط اهتمام الفنانين والشعراء والكتّاب. قد تجد النمر العربي مصوراً على العديد من اللوحات الفنية والتماثيل، ويُذكر في قصص وحكايات التراث الشعبي العربي، فهو موجود في مخيلة سكان المناطق التي يعيش فيها منذ آلاف السنين.

وقد ورد النمر في كتاب «كليلة ودمنة» لعبد الله بن المقفّع، في باب «الفحص عن أمر دمنة: «قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد حدثتني عن الواشي الماهر المحتال، كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين. فحدثني حينئذٍ بما كان من حالة دمنة وما آل أمره إليه بعد قتل شتربة، وما كان من معاذيره عند الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأيه في الثور، وتحقق النميمة من دمنة، وما كانت حجته التي احتج بها؛ قال الفيلسوف: أنا وجدت في حديث دمنة أن الأسد حين قتل شتربة ندم على قتله، وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته، وأنه كان أكرم أصحابه عليه. وأخصهم منزلةً لديه، وأقربهم وأدناهم إليه؛ وكان يواصل له المشورة دون خواصه. وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر، فاتفق أنه أمسى لنمر ذات ليلةٍ عند الأسد؛ فخرج من عنده جوف الليل يريد منزله، فمرّ على منزل كليلة ودمنة. فلما انتهى إلى الباب سمع كليلة يعاتب دمنة على ما كان من»[1]،.. إلخ.

والنمر هو أحد أنواع فصيلة السنوريات وأصغر السنوريات

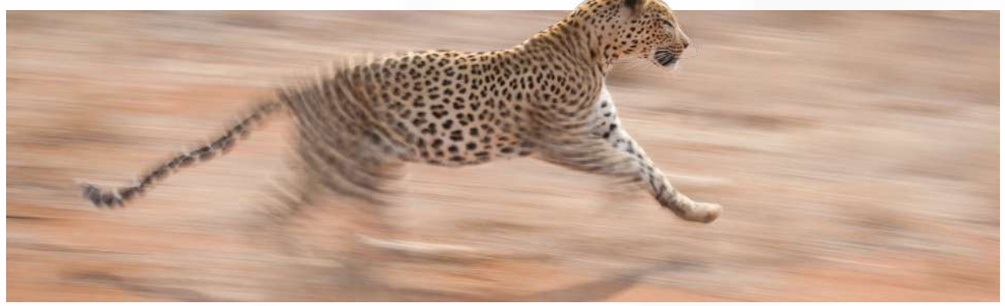

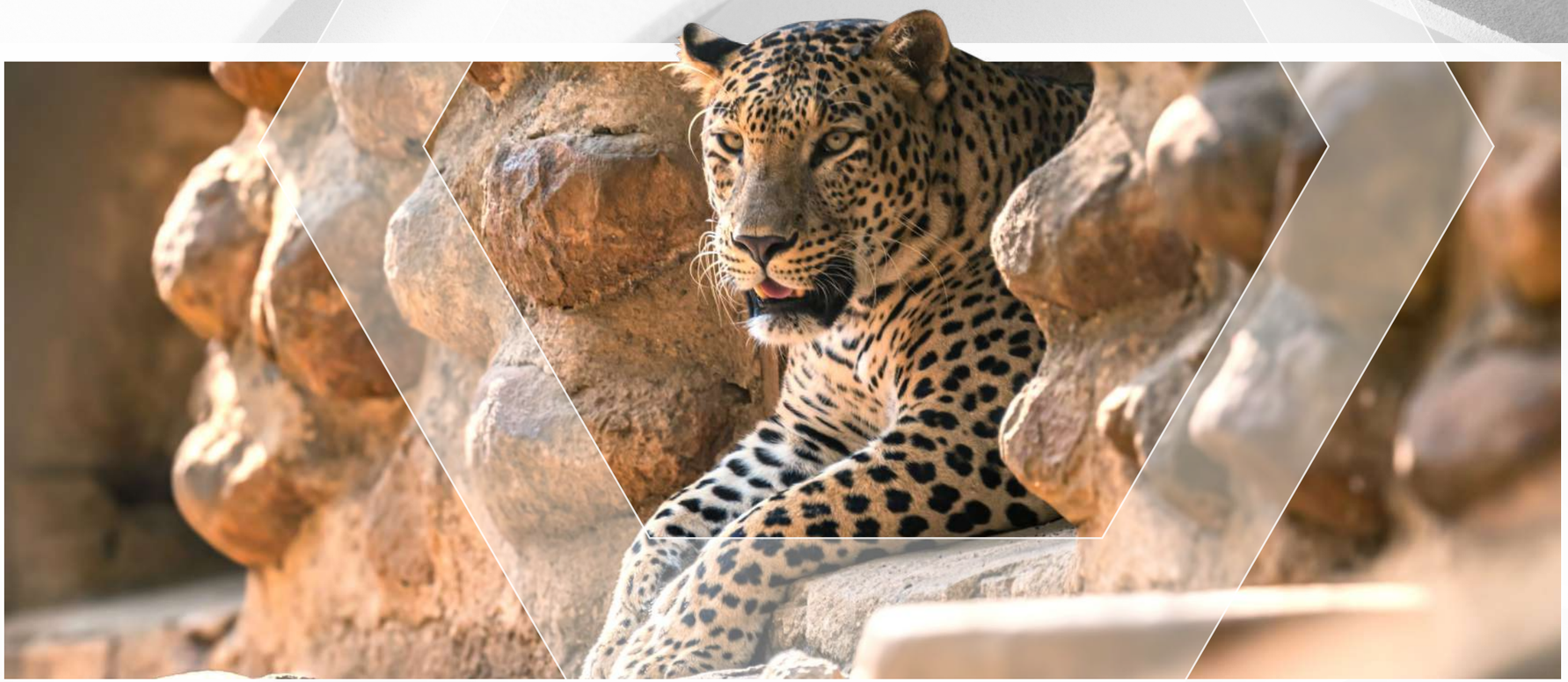

الأربعة الكبرى المنتمية لجنس النمور حيث يُعد كل من الببور والأسود واليغور والفهود أكبر منه حجماً. وتنتشر النمور اليوم بشكل رئيسي تقريباً في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وبعض المناطق في آسيا الجنوبية والشرقية، حيث توجد منها جمهرة متجزئة في باكستان، والهند، وإندونيسيا، وماليزيا، والصين، وجنوب شبه الجزيرة العربية، بعد أن كان موطنها في السابق يشمل جميع الدول الممتدة من شبه الجزيرة الكوريّة حتى جنوب أفريقيا، أي مناطق آسيا الشرقية، والجنوبية، والوسطى، والشرق الأوسط، وتركيا، وجميع أنحاء أفريقيا[2].

والنَّمِرُ العَرَبي من الحيوانات الثديية اللاحمة آكلات اللحوم والتي تتبع فصيلة السنوريات (كما ذكرنا)، وهو نوع فرعي من النمر موطنه شبه الجزيرة العربية الذي يشمل اليوم جنوب سوريا، وفلسطين، والسعودية، والإمارات، واليمن، وعُمان[3].

ومن المعلومات المثيرة للاهتمام هو أن المستكشف البريطاني المعروف «ويلفرد ثيسيجر» هو من رأى النمر العربي في دولة الإمارات العربية المتحدة لأول مرة على طريق بالقرب من جبل حفيت في مدينة العين[4].

إضافة إلى أنّه حيوانٌ مُتوسّط الحجم يعيش في مناطقَ مُختلفةٍ من الصّحراء العربيَّة الكُبرى وجنوب آسيا، وهي حيواناتٌ رشيقةٌ بارعةٌ في الصيد، ومعنى اسمه في اللغة العربية مشتق من كلمة «نمار» و «نُمر» بمعنى علامات، وقد جاءت من وجود علامات على جسده، فسمي بالنمر.

النمر في الشعر العربي القديم

إنّ صفات النمر من القوّة والقدرة البدنية، والسرعة والرشاقة، والتكيف والذكاء، والجمال والأناقة في ألوانه، وأهميته البيئية جعلت الشعراء يكتبون عنه، إذ قال الثعالبي (عبد الملك بن محمد):

تَسْمَحُ بالقُوتِ العَسِرْ
كَتَبْتُ مِنْ صَوْمَعَةٍ
يَلْبَسُ لي جِلْدَ النَّمِرْ
والدَّهْرُ مِنْ جفائِه

وقال ابن الرومي في هجاء قوم:

أُميطُ الأَذى عَنْهُ ولا يتأَمَّلُ
فَأَغْلِبُهُ في صَنْعَةِ الزادِ إنّني
شرِيعَتُنا لأيّنا جاءَ أوّلُ
وكانتْ لنا قَلْتٌ بأرضٍ مضلَّةٍ
مَحَزّاً، وكلٌّ في العداوَةِ مُجْمِلُ
كِلانا عَدُوٌّ لو يرى في عَدُوِّهِ

وقال القتّال الكِلابيّ منذ 1350 عاماً ذاكراً مصاحبته للنمر:

هو الجَوْنُ إلاّ أنّهُ لا يُعَلَّلُ [7]
ولي صاحِبٌ في الغارِ هَدَّكَ صاحباً
صِماتٌ وطرْفٌ كالمعابِلِ أَطْحَلُ
إذا ما التَقَيْنا كان جُلَّ حديثنا
كِلانا لَهُ منها نصيبٌ ومأْكَلُ
تضمَّنتِ الأَزْوى لنا بِطعامِنا
ونَجْمُ حالي مُنْكَدِرْ [5]
فماءُ عَيْشِ كَدِرْ

وقال ابن الرومي في هجاء قوم:

يَرْعَوا لَهُ حُرْمَةَ القُرْبَى ولا الإصَرِ
وبارَزُوا اللهَ في قُرْبَى النبيّ ولَمْ
مِنْهُ بِحَبْلٍ ضعيفٍ واهنِ المِرَرِ
بَرُّوا ذليلاً وعقُّوا اللهَ واعْتَصَمُوا
مُسْتَأْسِدينَ عليهِمْ جِلْدَةَ النَّمِرِ [6]
سَرَى إليهِ عُداةُ اللهِ فانْصَلَتُوا

النمر في الأمثال العربية

لَبِسْتُ لَهُ جِلْدَ النَّمِرِ يضرب في إظهار العداوة وكَشْفها، وكان ملوك العرب إذا جلسوا لقتل إنسان لبسوا جلود النمور ثم أمروا بقتل من يريدون قتله. وهكذا إذا اشتد المرء وترك الملاينة والمداراة وعزم على البطش بمن أساء إليه قيل إنه لبس له جلد النمر، ويقال للرجل الذي تَشَمَّر في الأمر لبس جِلْدَ النَّمِرِ. وقال معاوية ليزيدَ عند وفاته: تَشَمَّرْ كلَّ التَشَمُّرِ، والْبَسْ لأبن الزبير جلد النمر[8]. وإذا خرج أحد عن طاعة غيره وناصبه العداء قالوا: (تنمر له) أي صار مثل النمر لا يخاف ولا يفر، لابن الزبير جلد النمر). وكذلك قال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد عند وفاته وقد رآه يبكي: (إذا أنا مت فشمّر واتزر والبس جلد النمر)[9]؛ أي كن عنيفًا مع أعدائك ولا تلن لمخالفيك.

التحديات التي تواجهها النمور العربية أمام انقراضها:

يعود السبب وراء تراجع أعداد النمور بشكل سريع إلى الصيد وفقدان المسكن كنتيجة للتمدن المتواتر في موائله ذات الكثافة السكانية العالية بالغالب. يُصنَّف النمر من قِبل الاتحاد العالمي للحفاظ على الطبيعة على أنه قريب من خطر الانقراض بسبب المخاطر السالف ذكرها، إلا أنه على الرغم من ذلك فإنه لا يزال أكثر عدداً من باقي أنواع السنوريات المنتمية إلى جنس النمر التي تواجه جميعها مخاطر أكبر من تلك التي تواجهها النمور[10]. هذا وقد استحوذ الاهتمام بحماية النمر العربي من الانقراض والحفاظ عليه على اهتمام المسؤولين في دولة الإمارات العربية المتحدة، وعلى رأسهم صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم الشارقة، وذلك بإنشاء جمعية للرفق بالنمر العربي الأمر الذي أسهم في تحقيق إنجازات مهمة على صعيد حماية هذا الحيوان النادر. وفي إطار جهود حماية النمر العربي وما تم حتى الآن في هذا الشأن

أصدرت أماريا جوتفبليد خبيرة الحياة البرية، ومؤسسة جمعية الرفق بالنمر العربي كتاباً يوثق ما تم تحقيقه في هذا الإطار بفضل تضافر جهود المتطوعين والأعضاء والراعين والخبراء والفنانين والسلطات.. وأشارت إلى أنّ بعض الأجانب الزوار لدولة الإمارات العربية المتحدة أظهروا اهتمامهم بالجمعية وظهرت بعض المقالات حول الجمعية واشتركت بعد ذلك هيئات عدة في رعاية الجمعية، مثل: بنك الاتحاد الوطني، والكاثي باسيفيل فورث أنترناشيونال، وذا بورت شوب، وشركة موبيل أبوظبي، ومجلة كوسترا، وبروموشنز، ومجلة لايف ستايل، ومدرسة دبي للمتحدثين بالإنجليزية، ومجموعة دبي للتاريخ الطبيعي، والمجمع الثقافي بأبوظبي، وذلك من

الناحيتين المادية والمعنوية[11]. وعند الحديث عن أسباب تدهور أعداد النمور العربية، يتعين علينا أولاً أن ندرك أن النمور تعتبر من أبرز الكائنات الحيّة التي تواجه تهديداً جماعياً في المنطقة العربية وعلى الرغم من أنها تُعد جزءاً لا يتجزأ من تراثنا الثقافي والطبيعي، فإنها تواجه العديد من التحديات والمشكلات التي تؤدي إلى تدهور أعدادها. وفيما يلي بعض الأسباب الرئيسية لتدهور أعداد النمور العربية:

1. **فقدان المواطنة الطبيعية:** تتأثر المواطنة الطبيعية للنمور بشكل كبير بسبب فقدان وتدهور المواطن الطبيعية التي تعد بيئتها الطبيعية المثلى، فقد تقلصت مساحات الغابات والمناطق البرية المتاحة للنمور بشكل كبير نتيجة للتوسع العمراني، ونتيجة للزراعة والتغيرات في استخدام الأراضي، ما أدى إلى تشتت النمور وتقلص مجالات وجودها.

2. **الصيد غير المشروع:** يعتبر الصيد غير المشروع والصيد الجائر أحد أهم العوامل التي تؤدي إلى تدهور أعداد النمور العربية، حيث يتم اصطياد النمور بغرض الاتجار غير القانوني بأجزائها، مثل: الجلد والعظام والأنياب، وكذلك لأغراض الصيد الرياضي غير المشروع، مما يؤدي إلى خفض عددها وتهديد استمراريتها.

3. **نقص التوعية والحماية:** تعاني النمور العربية من نقص التوعية العامة والحماية القانونية. ما قد ينجم عن ذلك ضعف الجهود المبذولة للتعريف بأهمية الحفاظ على بيئتها الطبيعية. كما قد يكون هناك نقص في تنفيذ تشريعات الحماية وتطبيق القوانين المتعلقة بمكافحة الصيد غير المشروع وحماية المواطن الطبيعية.

4. **التغيرات المناخية وتلوث البيئة:** يعد تغير المناخ وتلوث البيئة عاملين مهمين يؤثران في أعداد النمور. وقد يؤدي التغير المناخي إلى تغيرات في الموارد الطبيعية وتقلص المساحات المناسبة للنمور، مما يؤثر في وجودها وتكاثرها، وعلاوة على ذلك، يمكن أن يؤدي التلوث البيئي إلى تلوث مصادر المياه والغذاء، مما يؤثر سلباً في صحة النمور وقدرتها على البقاء والتكاثر.

5. **التدخل البشري في التوازن البيئي:** يعتبر التدخل البشري في التوازن البيئي عاملاً آخر يؤدي إلى تدهور أعداد النمور العربية. وقد يتضمن ذلك تقليص المفاصل الحيوية للنمور، مثل: تدمير الممرات الحيوية وتجزئة المساحات الطبيعية المتصلة. كما يمكن أن يؤدي التدخل البشري إلى توسيع

> يحتل النمر العربي مكانة مهمة في التراث العربي والثقافة المحلية في شبه الجزيرة العربية. ويتمتع بوجود قوي في الشعر والأدب والتراث الشفهي للمنطقة، حيث يُذكر باعتباره رمزاً للشجاعة والقوة، وتعتبر رؤيته شيئاً مميزاً ونادراً، ما يجعله جزءاً من الهوية الثقافية للجزيرة العربية

المزارع والمراعي على حساب المواطن الطبيعية للنمور، مما يقلل من مساحات وجودها ويحد من تنوع الحياة البرية.

6. **الصراعات والاضطرابات السياسية:** تشهد بعض المناطق في العالم العربي صراعات واضطرابات سياسية، وهذا يؤثر سلباً في الحفاظ على النمور والمواطن الطبيعية المحيطة بها. هذه الاضطرابات ونقص الاستقرار يجعل من الصعب تنفيذ جهود الحماية والمراقبة، مما يترك النمور عرضة للصيد غير المشروع وتدمير بيئتها.

7. **الطب الشعبي الآسيوي:** الذي يعتبر أكبر تهديد لحياة النمور في البرية، حيث يعتقد كثير من الآسيويين أن أجزاء محددة من جسد النمر يمكن أن تستخدم لشفاء بعض الأمراض. فلأكثر من ألفيّ سنة استخدم الأهالي النمور لعلاج مجموعة كبيرة من الأمراض، مثل: حصوات المرارة، وحب الشباب، والتشنجات ■

المراجع:

1. ابن المقفّع، عبد الله: كتاب كليلة ودمنة، مجلد 1، باب الفحص عن أمر دمنة، الأدب والبلاغة، ص 154.
2. Breitenmoser, U., Breitenmoser-Wursten, C., Henschel, P. & Hunter, L. (2008). Panthera pardus. 2008 IUCN Red List of Threatened Species. IUCN 9 October 2008.
3. مجلة «الفيصل»، العدد 48، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1 مايو 1981، ص 148.
4. النمر العربي، موقع حديقة الحيوانات بالعين، www.alainzoo.ae/ar/استكشف/الحيوانات/الثدييات/النمر-العربي.
5. أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (1965): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، ص 398.
6. حسن بسج، أحمد، ديوان ابن الرومي، دار الكتاب العالمية، بيروت، ج 2، ص 165.
7. موفق الدين أبي البقاء يَعيش بن علي بن يَعيش الموصلي (2001): شرح المفصّل للزمخشري، دار الكتب العالمية، الجزء الثاني، ص 239.
8. الميداني، أبو الفضل (2004): كتاب مجمّع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج 2، دار المعرفة، بيروت، ص 180.
9. الميداني، أبو الفضل المرجع السابق، ص 362، وقد ورد أيضاً في كتاب «من أمثال العرب» لمؤلفيه محمد عبد الغني حسن وعبد السلام العشري، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف (1958). كما ورد وفي الطبري 8/85: المجسر بن مزاحم السلمي، وفي ابن الأثير 4/571: المجسر وفي ابن الأعثم 7/238 المحسن.
10. Breitenmoser, U., Breitenmoser-Wursten, C., Henschel, P. & Hunter, L. (2008). Panthera pardus. 2008 IUCN Red List of Threatened Species. IUCN 9 October 2008.
11. إشادة دولية بجهود الدولة في حماية النمر العربي، صحيفة «البيان» الإماراتية، 11 نوفمبر 2011.
12. www.albayan.ae/across-the-uae/2001-11-11-1.1238466

النمر العربي ذلك الرمز التراثي الجميل

محمد نجيب قدورة

من فيض الخاطر الثقافي

أذكر كتاباً قرأته بعنوان (نمور من ورق) ورواية كانت مقرراً دراسياً لكاتب هو تود هنري بعنوان (ترويض النمور).. قد أكون حزنت على مصير النمور في الكتاب وفي الرواية.. أجل ربما ذلك لأن النمر في مفهومنا الثقافي رمز قوة لا يضاهيه إلا ملك الغابة من السباع، ثم تجلت صورة النمر الطيب في كتاب (كليلة ودمنة) حيث قام النمر ببيان حقيقة ما حدث بين الأسد والثور على أن دمنة الشرير هو الفتّان الموقع بين الأسد والثور، أقول: في لساننا العربي سمعنا عبارة يستأسد ويستكلب ويستنمر أي يشبه حاله بحال أخرى أو يكتشف النقيض السلوكي في قول الشاعر:

أســـد علـــيّ وفي الحـــروب نعامـــة

فتخـــــاء تنفر مـــن صفيـــر الصافـــر

وإنما تضرب الأمثال لبيان أن النسور حول الجيف لا عكس ذلك عندما تذكر السباع، فالمقابل قلب أشد في الافتراس وأقسى قلباً من الصخر فالأمر حيث الأمر جلل، لا سيما إن كان الحديث عن السيطرة، أما في النمر فالنسق ما بين الحيلة والجرأة وسرعة الريح. قالت نفسي: كنت معجباً بخارطة جلد النمر وأنت تراقبه في حركاته وسرعة عدوه وانقضاضه على الغزلان والتماسيح.. هل عندك تفسير لإعجابك بالنمور فتجعلها مبعث سرور في حين منظر النمر القناص لم يهز شعرة من بدنك. قلت: لم يُغش على بصري، ألا تعتقدين معي أن كل مخلوق ميسر لما خلق له، إنها سلسلة بيئية، فلا تجعليني أتخيل الكائنات من بشر وحيوانات وحشرات جالسين على أرائك في عرائش آمنات.

الرمزية النمرية

خرجت نفسي من المشهد بعد أن انهالت علي سيول الأسئلة: أَوَضعت في اعتبارك أن عنوانك هو (النمر العربي) الحامل لصفات رمزية؟ أتعرف ماذا حلّ بنمرك الذي اصطاده رجل من قريتكم في فلسطين اسمه (علي السعيد) بعد أن كوّخ للنمر عند (عين علياء) فصار رمزاً للجرأة مع أن سيرته في القرية سيرة خجولة لا يؤبه لها. عادت نفسي تسألني: أتعتقد أن ذكر النمر العربي وهو يتسلق مدارج الجبال دليل على صفاء الذهن وأن بقاءه إلى الآن يجعل الحكمة ملقاة على عاتقك في تصوير حكاية النمر في التراث العربي. قلت: لقد ذكر العرب الحيوان ووصفوا الأنيسات والوحشيات فنطق شعر بها ونحن نعرف أن الوحشيات إنما تكون في حكايات البداوة، لذلك كان للذئب والأسد والنمر نصيب، أهل البراري يفهمون سلوك الضواري كما يفهمون سلوك الطيور والحشرات، ولا مبالغة إذا قلنا سلوك عيالهم من ضروب الأصوات ومخارجها، ولعل البدو وأهل الجبال تعلموا نظرهم الثاقب من سائر الحيوان، لكن السؤال: هل تختلف السباع التي منها النمر؟ والجواب لله في خلقه شؤون، أجل قد تختلف فمنها ما لا يأكل الجيف، ومنها ما يستطيب ذلك، بل منها ما لا تراه الأعين إلا في مواسم

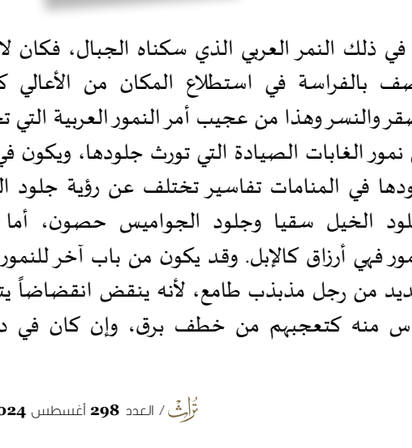

بما في ذلك النمر العربي الذي سكناه الجبال، فكان لابدّ أن يوصف بالفراسة في استطلاع المكان من الأعالي كرمزية الصقر والنسر وهذا من عجيب أمر النمور العربية التي تختلف عن نمور الغابات الصيادة التي تورث جلودها، ويكون في رؤية جلودها في المنامات تفاسير تختلف عن رؤية جلود الخيل، فجلود الخيل سقيا وجلود الجواميس حصون، أما جلود النمور فهي أرزاق كالإبل. وقد يكون من باب آخر للنمور رمزية لتهديد من رجل مذبذب طامع، لأنه ينقض انقضاضاً يتعجب الناس منه كتعجبهم من خطف برق، وإن كان في دلالاته

كالفهد في الرعاية فيقال له (أبا الشبل)، وربما والله أعلم امتداد المسمى إلى التراث الصومالي، فكان اسم النمر (الشبيل) ومنه أخذ مسمى نهر الشبيلي في ولاية جنوب غرب الصومال، الذي يشير إلى أن الحيوانات المفترسة تكاد تنقرض جرّاء الصيد غير الشرعي على خلفية أتون الحروب الأهلية.

النمر النمر يا ناس

قالت نفسي: الانقراض، الانقراض، هذا المصطلح مخيف، ذلك أن أي انقراض في الكائنات يؤدي إلى استفحال أمر كائنات أخرى وهذا ما يخلّ بالتوازن الطبيعي من حيث السلسلة الغذائية، فالنمر النمر يا ناس، ها نحن نتتبع آثار النمر العربي لا لنصطاده بل لأن في وجوده ومسماه استئناساً بمسمى (النمر) للأشخاص والقبائل ومعاني النبل وأنا هنا لا أتحدث عن نمر خرافي، فالنمر العربي كالأسد لا يأكل من فرائس غيره. قلت لنفسي: ذكرت لك أن الأسود والنمور تكون مضرب مثل في الأمان. (إذا تمّ العدل ووقعت الأمنة في الأرض يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان في الحيّات ..) كما في قول مأثور وهذا يحصل في صالات (السيرك) وبيوت بعض البياطرة والنبلاء. قالت نفسي: وبم تفسر رمزية المسلسل الذي تحدّث عن النمر والفهد والأسد فكان النمر (شيروخان) هو المرعب للفتى (ماوكلي) وهو في أرض السباع، كما عاش (أورسوس) اليوناني في وادي الأسود أو حكاية دانيال في أجمة مع أسد ولبوة أيام الملك (بختنصر) فحرسته السباع وهو طفل ثم فسّر رؤيا (بختنصر) فأعجبه وأكرمه. ومن أمثال العرب احذر غضب النمر وفتك الأسد. قالت نفسي: أراك تبحث في السطور عن حكايات النمور ثم تتحدث عن السباع، قلت: السباع اسم شامل للمفترسات حتى عندما قالوا (بئر السبع) فاستعمل السبع للتمثيل، ثم لا ندري أكان السبع أسداً أم نمراً أم فهداً، وفي الخليج العربي الوصية كن أسداً في الشجاعة ونمراً في الهيبة حتى تقول أعجب مِنْ أمر مَنْ وضع قطعة من جلد نمر في بيته دون أن تعي أن للجلد مضادات للسوس والأرضة، فإذا لبس جلده كان واقياً من البرد ومخيفاً للأعداء. قالت نفسي: لا تحدثني عن النمر الوردي ولا على نمر (شيروخان)، نحن الآن في حمى النمر العربي، قلت: هو كذلك.

النمر العربي في الوعي البيئي

صديقي الصومالي عمر حدثني أنه عام 1991 هاجم نمر بلدة (ونلوين) الواقعة في محافظة شبيلي السفلى في ولاية جنوب غرب الصومال، وأصاب سبعة من أهل البلدة بينهم أطفال في هجومه الأخير- بالطبع تتبع أهل البلدة النمر للانتقام منه وقتلوه رمياً بالرصاص. أقول هكذا سمعت أن واحداً من هذه القطط النمرية شوهد بالقرب من جبل حفيت لأول مرّة من قِبل المستكشف البريطاني (ويلفرد ثيسيجر) في مدينه العين، وكنت أعرف عندما كنت في ليبيا أن النمر يوجد جنوب الصحراء الكبرى، صحيح أنه لا توجد إحصاءات لعدد النمور التي لا تزال على قيد الحياة لكن الحقيقة الماثلة للعيان أن النمر العربي مهدد بالانقراض مما دعا المخططين الاستراتيجيين إلى المبادرة للحفاظ على النمر العربي في شبه الجزيرة العربية النادر أصلاً من الفصائل السنورية من جنوب سوريا إلى اليمن.. وسمعت وقرأت أيضاً عن جهود حثيثة من قِبل إمارة الشارقة والهيئة الملكية في محافظة (العلا) السعودية، وربما الأمر رسخ بتأسيس المحميات وتأسيس برنامج صندوق النمر العربي، فكان يوم العاشر من فبراير من كل عام يوماً للنمر العربي كخطوات أولى لإعادة تأهيل النمر العربي في الطبيعة التي يعتمد عليها كموئل له بعد سنوات وسنوات من الصيد الجائر أو الزحف العمراني الذي يدمر المواطن الأصلية للكائنات التي يعتبر وجودها ضمن سلسلة يجب ألا تقهر لنبقي التوازن البيئي، ولا يتم ذلك إلا بإطلاق الغطاء النباتي والشجري وتوفير جميع ما يضمن للنمر الحياة المستدامة لما له من دور في استقرار الوجود البشري أصلاً، وإن إعادة تشكيل الأماكن والعرائن والشقوق والكهوف يؤمن سلامة النمر العربي وأشباله قالت نفسي: وبم يتميز النمر العربي عن سواه من نمور أفريقيا وآسيا، قلت: لون ذهبي مصفر بالبقع وعيون زرق وحجم أصغر. الذكور أكبر من الإناث وللنمر قدرة على التسلق وهو يعزف على الذيل الطويل.. المهم يا عزيزتي النمر العربي جبلي لا غابي.

أجل يا نفسي، لو سألت الأماكن لحدثتك عن نمور جبل حفيت وجيس في الإمارات وعن جبال السروات والحجاز ومحافظة ظفار امتداد إلى حاسك وصولاً إلى صلكوت.. وإلى الآن لا يزال أمر اكتشاف النمور العربية تسجيلاً تراثياً لهذا الحيوان (الأرقط) (الأنمر)، وفي الإمارات يقال في العلم العسكري المدرعة (نمر جيس) تنسب إلى جبل جيس كرمز وطني، وهذا ما سمعته من أهالي شمل وشعم أن النمر كان من حيوانات المنطقة كصورة من صور نمور الجبال، وربما كان الجوع يدفع النمور الجائعة للاقتراب من الإنسان وهذا ما يثبت وجود النمر العربي في ديرة الإمارات ولا يختلف هذا الخبر عن النمر العربي في جبال عسير، وهو يشاهد كالماعز الجبلي يقفز بحركة انسيابيه خطيرة رائعة تجعل صورته في المشهد التراثي رمزاً للحيوية والقوة والجمال، لذا لا عجب إن قرأنا عن حفريات ونقوش في الصخور والكهوف تجسّد ارتباط الإنسان بكائنات المكان في كل معانيها سواء كانت في سحر الجمال أم طقوس الحياة البيئية، وأزيدك دغدغة فكرة أن وجود عائلة (النمر) توثق وجود النمر من جهة ومن جهة أخرى تحمل المعاني الرشيقة الشجاعة الوثابة في الجبال صعوداً وهبوطاً ورباطة جأش ولسنا بحاجة إلى من يتنمر على نمر في قول الشاعر:

فغـــضّ الطـــرف إنـــك مـــن (نميـــر)
فـــلا كعـــباً بلغـــــت ولا كلابـــا

أليس أمثال العرب تقول (لا أحمى ولا أعز ولا أمنع من النمر)، قالت نفسي: والنمر يشبه به العربي بالمهابة والفراسة وهبّ الريح ووثبة النمر ■

أديب وباحث فلسطيني

النمر العربي ذلك الرمز الثقافي والبيئي

النمر المتواري بين سطور الشعر وأوراق الأدب

نوزاد جعدان

استُحضر النمر كثيراً منذ القدم في الشعر العربي الكلاسيكي لرمزيته الواضحة في القوة والشجاعة. فالشعراء، على سبيل المثال، كانوا يصفون أنفسهم وأبطالهم بأنهم «نمور» ليبرزوا شجاعتهم وقدرتهم على التغلب على الصعاب. هذا التمثيل يمكن رؤيته في أسماء بعض الشعراء القدامى ومنهم: النمر بن تولب، وشيبان بن دثار النمري.

والنمر حيوان انعزالي يعيش بمفرده، ولا يلتقي الذكر بالأنثى إلا في موسم التزاوج، وينفصلان بعد ذلك. ومعظم نشاطه ليلاً وربما لهذا السبب قلت مشاهداته، فقل وجوده في الشعر، وإن ذكر فهو رمز للقوة والبطش. أما صوته عند الغضب يسمى الزمجرة وعند الاسترخاء والراحة فيسمى الهرير والغطيط والخرير. مع العصر الحديث ظهر مصطلح التنمر ليدل على سوء المعاملة والتوحش فيها، وكذلك إسباغ صفات النمور على الأشخاص من كمال المدح. عيون النمر (طحلاء)، وأن طعامهم يتناوبون عليه لأن النمر لا يأكل فريسته كاملة. يقول مؤلف كتاب «حياة الحيوان الكبرى»، كمال الدين الدميري، في وصف النمر «أما النمر وهو أخبث من الأسد، لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أن يقتل نفسه».

كذلك استفادت الأمثال الشعبية من صورة النمر في التعبير عن الحكمة المستخلصة من الطبيعة، فعلى سبيل المثال: «The Leopard can't change his skin"، ومعناه الحرفي أن النمر لا يستطيع تغيير جلده، ولكن يقصد به أن الإنسان لا يغير من طبعه فالطبع غلاب إشارة إلى الثبات على الطبع والصفات، كما يشير إلى أن الشخص الذي يكون قوي الطبع لا يتغير بسهولة أيضاً.

في كتاب «كليلة ودمنة» للفيلسوف الهندي بيدبا، والذي نقله إلى العربية ابن المقفع يذكر مقطع عن النمر يصفه فيها إذ تقول الحكاية: «إنّا وجدنا في كتب خبر دمنة أن الأسد لما قتل شتربة ندم على معالجته بالقتل وتذكر حرمته. وكان من جنود الأسد وقرابته نمر كان من أكرم أصحابه عليه، وأخصّهم عنده منزلة، وأطولهم به خلوة بالليل والنهار. وكان الأسد بعد قتله شتربة يطيل مسامرة أصحابه ليقطع عنه بحديثهم بعض ما قد داخله من الكآبة والحزن بقتله الثور. وإن النمر لبث في سمره ذات ليلة حتى مضت هدأةٌ من الليل. ثم خرج من عنده منصرفاً إلى منزله. وقد كان منزل كليلة ودمنة قرب منزل الأسد، فدنا النمر من منزلهما ليصيب قبساً يستضيء به وكانا مترافقين. فسمع النمر محاورتهما ونصت لهما حتى سمع كلامهما كله، ووجد كليلة قد أقبل على دمنة يعذله ويقبّح له رأيه وفعله، ويُعظّم له جرمه ويوبّخه بغدره. وكان فيما أنبه به أن قال: إن الذي هيّجت بين الأسد والثور من العداوة بعد المودة والفرقة، بعد الألفة والشحناء، بعد السلامة بسخافة عقلك، وقلة وفائك لمظهر أمرك، ومطلع طلعه، ولازمك من بغيه ما تستحق عاقبته وتستمر مذاقته. فإن الغدر وإن لان عاجلُه واستحليت فروعه مرّ العاقبة بعيد المهواة وخيم المزلقة، وإني باجتنابك وترك مقارنتك والاقتداء بك لحقيق، فلست بآمن على نفسي من معرّتك وشرهك وغدرك... فلما سمع النمر ذلك من كلامهما انصرف خفيّاً مسرعاً حتى دخل على اللبوءة أم الأسد فأخذ عليها عهداً ألا تفشي سرّه إلى الأسد ولا إلى غيره. فعاهدته على ذلك فأخبرها بالقصة على وجهها من قول كليلة وإقرار دمنة."

ولا غرو أن نرى الكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس يحب النمور وحلم بها منذ صغره حتى تساءل بحسرة «لماذا لم نُخلق كلنا نموراً ؟!!»؛ لذلك كانت وثبته على ميراث الأدب الإنساني وثبة رشيقة وضارية كوثبة نمر جائع على فريسة انتهكت مجاله المحظور بغتة، وصدر قبل أعوامٍ عدةٍ عن اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات كتاب شعري بعنوان «النمر الآخر.. خورخي لويس بورخيس»، ترجمة الشاعر المصري الراحل محمد عيد إبراهيم

ولم يغفل الأدب عن استخدام النمر كرمز، ولكنه قد يتوسع في الدلالات ليشمل فكرة النضال والصراع أيضاً، سواء كان صراعاً اجتماعياً أو فردياً. فالنمر قد يمثل الفرد الذي يقاوم الظلم أو المجتمع الذي يسعى إلى تحقيق العدالة.

في الروايات الحديثة، قد يظهر النمر كشخصية رمزية معقدة، قد يرمز إلى قوة الطبيعة أو قوة الإنسان الكامنة. يمكن أن نرى هذا في الأعمال التي تُستلهم من التراث العربي وتعيد تقديمه في سياقات معاصرة، فالنمر في الأدب العربي يحمل معاني

غنية ومتنوعة، تعكس رؤية العرب للطبيعة والحياة والصفات الإنسانية، واستخدامه عبر العصور يُظهر كيف يمكن للرموز الحيوانية أن تكون أدوات فعالة للتعبير عن القيم والمفاهيم المختلفة في الأدب. كما يُعد النمر رمزاً قوياً أيضاً وله دلالات متعددة تتنوع بين الشجاعة والقوة والغموض والخطر. ظهوره في الأدب الغربي يمكن أن يُتَتَبَّع عبر العديد من النصوص الأدبية والشعرية والروائية، حيث يُستخدم لتعميق الفهم النفسي للشخصيات أو لتجسيد صراع الإنسان مع الطبيعة أو مع نفسه.

واحدة من أشهر القصائد التي تتناول النمر هي قصيدة «النمر» للشاعر الإنجليزي ويليام بليك، التي نُشرت في مجموعته الشعرية «أغاني الخبرة» عام 1794. في هذه القصيدة، يعبر بليك عن النمر كرمز للغموض والقوة المدمرة للطبيعة، ويطرح أسئلة فلسفية عن الخلق والوجود: النمرُ! النمر! أيها القط البري / يا من تشتعلُ بهاءً / في الغاباتِ الليلية / أي أيد وعيونٍ أبدية / شكّلت هذا الجمال البري / في عذوبةٍ وعفوية؟ من أشعلَ النارَ /في تلكَ العيونِ العسلية؟ وبأي أعماقٍ أو سماواتٍ علوية / شكّلت هذا الجمال / وأي جناحٍ يجرؤ أن يتمنى أو يختار/ وأي يدٍ يمكنها أن تصطاد النار؟.

كما يظهر النمر كرمز للقوة والمقاومة، في رواية «حياة باي» للكاتب الكندي يان مارتل، يُمثل النمر، الذي يحمل اسم «ريتشارد باركر»، تحدياً كبيراً للبطل ويسهم في تطوير قصة البقاء على قيد الحياة في عرض البحر. النمر في هذه الرواية ليس مجرد حيوان مفترس، بل يُعبر عن النضال الداخلي للبطل وعن الصراع بين الإنسان والطبيعة.

النمر في الثقافة الشعبية الغربية يظهر في الكتب والأفلام والقصص المصورة أيضاً. على سبيل المثال، في سلسلة الكتب المصورة «كالفن وهوبز» للكاتب بيل واترسون، يكون هوبز هو النمر المحشو الذي يرافق كالفن في مغامراته ويعكس جوانب من خيال الطفل ورؤيته للعالم.

في بعض النصوص الفلسفية، قد يُستخدم النمر لتقديم تأملات حول طبيعة الحياة والقوة والبقاء. يمكن أن يمثل النمر

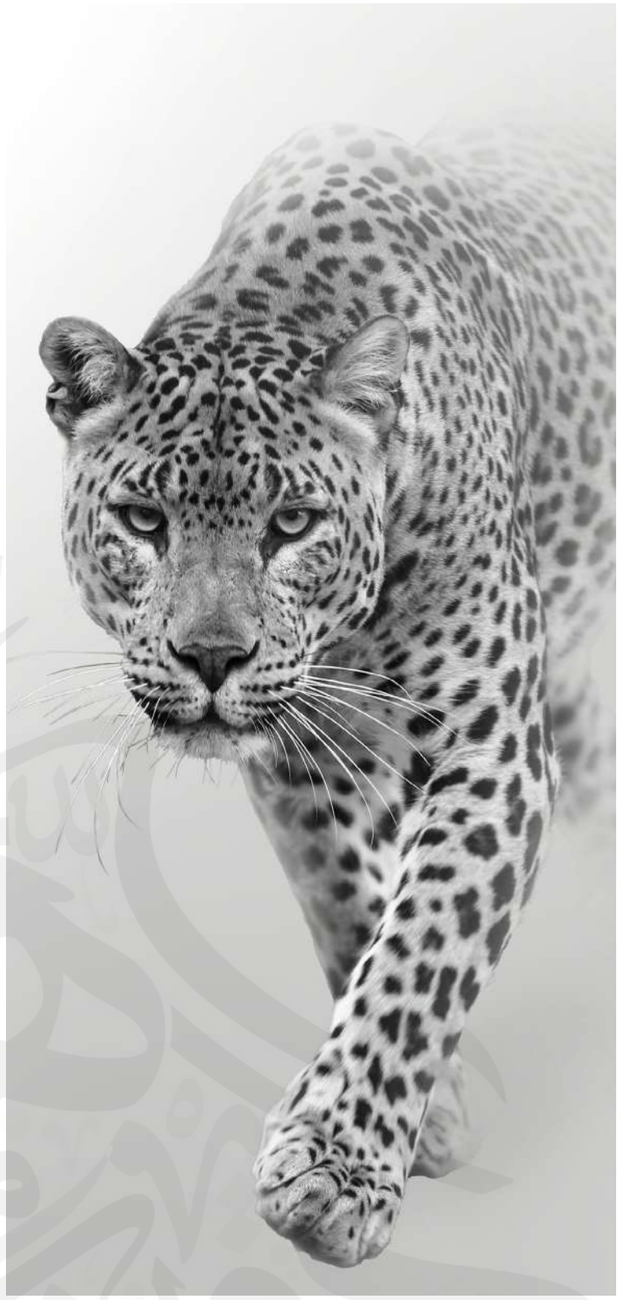

التحديات الوجودية التي يواجهها الإنسان ومحاولته للتغلب عليها. في الشعر النبطي يحمل النمر دلالات قوية ومشابهة لتلك الموجودة في الأدب العربي الكلاسيكي، حيث يُعتبر رمزاً للشجاعة والقوة والجرأة. الشاعر قد يشبه نفسه أو غيره بالنمر ليبرز القوة والإقدام، في الحروب والمعارك، يمكن أن يكون النمر رمزاً للمحارب القوي الذي لا يُهزم، كما يُستخدم للإشارة إلى السيطرة والهيبة أيضاً، حيث يعبّر عن القوة والقدرة على فرض النفوذ إضافة إلى أنه من الممكن أن يكون رمزاً للرجل القوي في قبيلته أو المجتمع. في السينما ظهرت أفلام عدة تحمل اسم النمر أو تشبيه البطل بالنمر كما في الفيلم المصري «النمر» من إنتاج عام 1952، بطولة أنور وجدي ونعيمة عاكف وزكي رستم وفريد شوقي، وإخراج وإنتاج حسين فوزي الذي يحكي عن درويش هو عامل في كازينو، يبدو رجلاً طيباً في الظاهر، لكنه في الأصل رئيس عصابة لتهريب المخدرات تحت اسم حركي هو «النمر»، ويتصرف بوحشية مع رجاله وخصومه، يُكلّف صلاح الشرطي بمهمة معرفة حقيقة النمر فيتنكر بمهنة صحفي ويتردد على الكازينو ويقع في غرام فاتن ابنة النمر، هناك فتاة أخرى هي هدى تعمل في الصالة، يحاول أخو هدى يحيى إبلاغها بحقيقة النمر، إلا أن هذا الأخير يقوم بقتله، وتسعى هدى إلى كشف حقيقة النمر انتقاماً لأخيها، فتحاول الانتقام لأخيها من النمر. وجرى استحضار صورة النمر أيضاً في فيلم «النمر والأنثى» من بطولة عادل إمام، وآثار الحكيم، ومن تأليف إبراهيم الموجي، ومن إخراج سمير سيف عام 1987. وبعيداً عن الأدب وملاعب الفن إلى الساحرة المستديرة حيث يلقب النجم الكولومبي فلاديمير فالكاو بـ «النمر» نظراً لشراسته في الهجوم وبنيته القوية ■

كاتب سوري

الأبواب الخفية

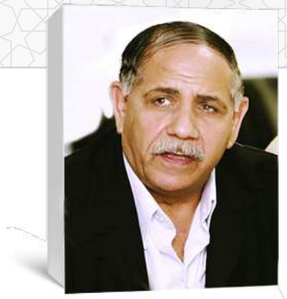

عبد الفتاح صبري
روائي وناقد مصري

الباب هذا الساحر العظيم.. الحارس الأمين.. واجهة البناء الفخم ودليل القادم للولوج إلى الأعماق.. ومفتاح الرائي للتعامل السلس مع مفردات المكان أو المبنى.. هو بداية الدخول الآمن ونهاية الخروج المطمئن من المكان. بديله وللغرابة سيكون في الظروف غير الآمنة أو الاستثنائية الشباك.. النافذة التي لها وظيفة مختلفة عن الباب فهي المختصة بدخول الشمس والهواء للمكان لتجديد البيئة بعافيتها الصحية داخل أروقة المبنى، تتحول في حالة الاضطرار إلى باب وبالتأكيد ستكون الظروف مختلفة كما في حالة الهروب أو في حالة الدخول لغير المسموح لهم أو المشمولين للولوج من المدخل الشرعي الباب.

ففي حالات السرقة والدخول لأغراض سيئة أو مشبوهة يفكر صاحب هذه الحالة في النافذة كباب محتمل للدخول المشبوه أو الذي يتم في غفلة من أهل المكان؛ لأن الباب الحارس الأمين لن يتواطئ مع لص أو ماكر عليه فيصدهما ويصير عصياً على الفتح والولوج منه لأغراض تدنس المكان، ولص يحاول الدخول للسطو والسرقة وإفشاء أسرار المكان المادية والمعنوية. هنا تتحول النافذة التي يمكن خداعها والتحايل عليها وتحويل وظيفتها النبيلة وغايتها البيئية إلى وظيفة تحل فيها محل باب آمن حريص منيع فيتمكن اللصوص أو المشبوهين من فتحها عنوة أو خلسة من مزاليجها والقفز منها إلى عين المكان لقضاء سيئ يبغونه أو سرقة لأشياء المكان الثمينة. لكن الإنسان عبر التاريخ وخاصة في المباني الملكية أو القصور العظيمة أو القبور الفرعونية التي ما زالت عصية على فهم أسرارها حرص على إخفاء أبواب هذه القبور التي ليس لها شبابيك كبديل محتمل للدخول إلى عمق القبور.. فمثلاً: أهرامات الفراعنة التي خلفوها في مصر وهي أكثر من 100 هرم وبعضهم يذكر أنها 200 هرم.. وأشهرها الأهرامات الثلاثة المعروفة أهرام خوفو وخفرع ومنقرع وفي إحدى النظريات أنها قبور - أي إن كل هرم هو قبر لصاحبه - كل هذه الأهرامات، وبغض النظر عن فساد هذه النظرية أو صحتها، فإن الهرم لم يكن له باب وأنه أُخفي عن أعين الرائين حتى لا يتمكنوا من الدخول إليه وسرقة المحتويات الثمينة والكنوز الذهبية الموجودة مع الجثة.. علماً أن الباب للهرم الأكبر ليس هو الباب الرئيسي، ولكنه باب حفره اللصوص في زمانهم ليدخلوا إلى عمق الهرم ويسرقوا محتوياته. وإلى الآن ومع غموض عمارة الهرم والغرض منه يضاف غموض وخفية بابه الرئيسي أيضاً.. هؤلاء العظام تمكنوا من إخفاء الباب لمزيد من الحماية ومزيد من الطمأنينة والأمان لداخله ومَنْ فيه.

في القصور يتم استخدام هذه التقنية المعمارية لإخفاء باب يودي أو يفضي إلى حجرة خاصة مكتنزة بمحتوياتها أو أنها مخدع سري لصاحب المكان أو هو مكان آمن يمكن الهروب إليه ساعة الخطر، فيتم إخفاء الباب بطرق احتيالية كأن نرى الباب وكأنه دولاب أو صيوان أو صورة ضخمة تزين المكان - أو رف عليه تحف للزينة وتزيين للمكان. وفي الحقيقة إنه باب لا يعيه إلا صاحبه فقط أو صاحب المكان الذي أسهب في خداع الآخرين من خلال هذا التخفي للباب وتحويله إلى تحفة أو صورة أو صيوان.

هذه الأبواب تستخدم في الأماكن العسكرية ومعسكرات الحرب أيضاً، حيث إن الرائي لن يرى حتى المعدات الضخمة التي تختبئ تحت الأرض المموهة. وإن أبواب الملاجئ التي تعج بالجنود والقادة غير واضحة إلا للجنود والعسكر الذين يعرفونها والموجودين في المكان، وسنرى هذه التقنية في قيادات الجيوش والخلفيات العسكرية وغرف العمليات التي تقود الجيوش في المعارك البعيدة خفية عن الأعين غير المدربة أو العارفة، حتى إنه مثل هذه الغرف تكون في قلب المدن داخل مراكز مدنية ومباني مدنية تعج بالمدنيين وهم لا يدركون أن هناك أبواباً في المكان تفضي إلى غرف قيادة ومراكز تحكّم عسكرية يقود منها القادة الكبار مقدرات الجيوش والحروب. هذه عظمة للأبواب وقدرتها - تضاف إلى وظائفها الأخرى المتعددة والتي يصعب حسابها أو تعدادها - إذا أضفنا إليها الوظائف المعنوية والأخرى الخفية.

في قصص ألف ليلة وليلة سترى صوراً متعددة بالعشرات لنوعية هذه الأبواب التي تخيلها وذكرها المخيال الشعبي كأن يذهب البطل إلى مكان مبهم أو مجهول، أو يدخل مغارة ليكتشف باباً مجهولاً أو مخفياً يفتح على عوالم خرافية من النعيم والخضرة وعوالم السعادة وجنات الرحمن.. أو العكس على أماكن مفزعة وخطرة ومملوءة بالوحوش، هذا الإخفاء للباب في مثل هذه القصص الشعبية العظيمة مقرونة دوماً بالمفاجأة غير المتوقعه ثواباً أو عقاباً ربما للبطل أو المغامر أو الداخل. وفي مثل هذه القصص أيضاً سنرى هذه الأبواب الخفية عادة ما تكون متراكبة لأغراض الإثارة والمتعة كأن أبواباً تفتح من أبواب وكل باب يؤدي إلى النقيض أو غير المتوقع ومن أشهر الأبواب في هذه الملحمة الشعبية التراثية العظيمة هي أبواب قصة علي بابا.. تلك العصابة التي كانت تغير على المدن والقصور والبلدان، وتأتي بخيرات سرقاتها إلى مغارة مكتنزة بما لا عين رأت من زمرد وياقوت ومرجان وذهب وفضة وملابس ثمينة من الحرير والقشيب، واللافت للانتباه أن المغارة طبقاً للقصة جزء من الجبل الساكن الذي لا تبدو عليه أمارات الغنى من الداخل، وحين تصل العصابة إلى الجبل يتم فتح الباب بواسطة زعيم العصابة بشيفرة تفوق الشيفرة الإلكترونية الآن أو الشيفرة الكهربائية، هي شيفرة صوتية فقط اِفتح يا سمسم فيتحرك الباب الخفي، صخره تتحرك بقدرة وإمكانية الشيفرة الصوتية.

اِفتح يا سمسم لتتحرك الصخرة العظيمة من الجبل الصامت والساكن وينفتح باب ضخم يتسع للخيول وللركب العظيم بالدخول على مكان ساحر غامض مكتنز بكل ألوان وأشكال الكنوز، هذا الخيال الشعبي يضفي سحر الإحكام بأبواب خفية على كنوز عظيمة إنها عظمة الإخفاء للأبواب، الأبواب الخفية مازالت في عالمنا الآني موجودة أيضاً لأغراض الأمن ومزيد من الإخفاء والتمويه لعدم الاختراق أو الولوج إلى أماكن فيها من الأسرار ما يجب حمايتها والحفاظ عليها بكل سرية وأمان تتعدى تحصين الباب وتصفيحه وزيادة مغاليقه ومتاريسه ومفاتيحه بإخفاء الباب ذاته حتى يحتار الرائي المتقصد أو الباحث عن بابٍ لمكان يعلم أنه يحتاج أسراره أو الإطلاع على ما فيه لأغراض دنيئة أو مشبوهة أو مطلوبة لعدو أو مغير.. فمثلاً هذا ما تفعله الجيوش والمؤسسات العسكرية في إخفاء أبواب بعض المخازن المهمة أو غرف العمليات فإن الأمن الوطني الداخلي يستخدم التقنية نفسها أيضاً في اللجوء إلى هذه الأبواب السحرية أو المخفية. ففي غرف التحقيق المهيأة لاستقبال أعداء الوطن أو عتاة المجرمين والجواسيس للتحقيق معهم، ناهيك عن أساليب تهيئة الغرفة ذاتها كوضعية الكراسي ونوعها وطبيعة الأثاث وشكل الغرفة بالعموم للتأثير، وتهيئة المحقق معه نفسياً أو بث القلق في أوصاله أو التأثير في نفسيته. فإن المحقق قد يدخل عليه من باب كان بالأساس غير واضح له، الحائط العادي ينشق عن باب يدخل منه للتو الرجل المحقق وينغلق فكأن لا باب في المكان سوى الذي دخل منه المجرم، هذه المفاجأة لإلقاء الدهشة والخوف وعدم اليقين لدى الشخص المحقق معه وإرباكه، وأنه لا شيء عصي على الجهة الأمنية حتى يستسلم بهدوء والإفصاح عما لديه من معلومات. هذه الوظيفة التي يمكن أن تضاف إلى سجل الباب لتفتح لنا مكامن الدهشة من الأبواب مجال متسع من الأمن والأمان والطمأنينة، ومن المكر والخداع وإلقاء الروع في قلوب من يراد بهم ذلك أيضاً ■

عين اليونان «أثينا»

ضياء الدين الحفناوي

تمتلك أثينا أصولاً أسطورية في تسميتها وفقاً للأسطورة اليونانية، تم اختيار اسم المدينة من قِبَل الآلهة. فقد تم اختيارها بعد منافسة محتدمة بين الإلهة أثينا والإلهة وبوسيدون (أو نيبتون في الرومانية) حيث عرض كلٌ منهما هبة للمدينة فعرض بوسيدون مياهاً عذبة بينما عرضت أثينا زهرة زيتون، فاختارت المدينة هبة أثينا وهكذا سُميت المدينة باسم الإلهة أثينا وتعد المدينة مكاناً ذا تاريخ قديم وفيها آثار عظيمة وأحياء خلاّبة وهندسة معمارية حديثة ومناطق انتقائية وحياة ليلية نابضة بالحياة وشواطئ وجبال وثقافة طعام الشوارع المتجدّدة ومطاعم وفنادق فاخرة، وكل هذا تحت «ظل» صخرة الأكروبوليس، ولقد وقفت صخرة الأكروبوليس والبارثينون المقدسة بشكل مهيب في أفق سماء المدينة منذ آلاف السنين، فبغض النظر عن عدد المرّات التي يزور فيها المرء أثينا فمن الصعب الاكتفاء من رؤية هذا النصب التذكاري العظيم، فأثينا هي المدينة التي تتمتع بأطول تاريخ في أوروبا، ويبلغ عمرها 3000 سنة، وتمكّنت المدينة من أن تُصبح رائدة اليونان القديمة، ولقد وضعت بحق أسس الحضارة الغربية.

أثينا الماضي والحاضر

يبدأ تاريخ أثينا القديمة في العصر الحجري الحديث كمستوطنة على تلة قلعة الأكروبوليس وفي منتصف الطريق تقريباً بين الألفية الرابعة والثالثة قبل الميلاد كانت تلة للأكروبوليس موقعاً دفاعياً طبيعياً، وسيطرت المستوطنة من هناك على السهول المحيطة، وكانت المستوطنة تبعد نحو 20 كلومتراً عن خليج سارونيك في وسط الحوض الذي كانت تحيط به الأنهار إلى الشرق من جبل هيميتوس، بينما إلى الشمال كان جبل بنتيليكو (بنتيلي اليوم) ويعبر نهر كيفيسوس المدينة منذ العصور القديمة، وكانت أثينا القديمة تغطي مساحة صغيرة جداً مقارنة بأثينا الحديثة، بينما كانت أسوارها تحمي مساحة تبلغ نحو 2 كيلومتر، ويقع الأكروبوليس إلى الجنوب قليلاً من وسط المدينة، ومثلت أغوراها القديمة المركز التجاري والاجتماعي، وتقع على بُعد نحو 400 متر شمال الأكروبوليس حيث تقع مونستيراكي اليوم. وعلى تلة الأكروبوليس الصخرية التي تهيمن على وسط أثينا الحديثة كان هناك أهم وأبهى ملاذ للمدينة القديمة، وتمّ تخصيصه في المقام الأول للإلهة الراعية للمدينة، وترتبط بأهم أساطير أثينا القديمة والأعياد الدينية الكبرى وأقدم الطوائف في المدينة، وكذلك بعض الأحداث المميزة في تاريخها بهذا المكان المقدس، وتعد آثار الأكروبوليس التي تمتزج بشكل متناغم مع البيئة الطبيعية، من روائع الهندسة المعمارية القديمة الفريدة، التي تعبّر عن الارتباطات الرائدة بين إيقاعات الفن الكلاسيكي واتجاهاته، والتي أثّرت على الإبداع الفكري والفني لقرون عدَّة لاحقة.

ففي القرن الثامن على سبيل المثال اكتسب الأكروبوليس لأول مرة طابعه المقدس الحصري مع تأسيس عبادة أثينا بولياس. وكان للإلهة معبدها الخاص على الجانب الشمالي الشرقي من التل، وفي الوقت الذي كان فيه بيستراتوس طاغية أثينا اكتسب المعبد مكانة كبيرة وأُنشئ مهرجان باناثينايا وهو أكبر مهرجان عند الأثينيين تكريماً للإلهة، وأنشئت أولى المباني والمعابد الأثرية لعبادة الإلهة، بما في ذلك ما يسمى «المعبد القديم» ومعبد هيكاتومبيدوس، ثم تم بناء معبد برافرونيا أرتميس وتم إجراء المحاولة الأولى لتشكيل بروبيلون ضخم للموقع، وخصص المؤمنون قرابين عديدة وغنية للمعبد المقدس مثل تماثيل البنات والفرسان الرخاميين والتماثيل والمزهريات البرونزية والطينية، وكان الكثير منها مصحوباً بنقوش تشهد على أهمية عبادة الإلهة أثينا خلال العصر القديم. وفي الثامن قبل الميلاد بدأت أثينا في التطور بسبب موقعها المركزي في المنطقة اليونانية، والموقع الآمن الذي توفره أسوار الأكروبوليس وسهولة الوصول إلى البحر، ما أعطاها ميزة طبيعية على منافسيها (طيبة وإسبارطة) في هذا العصر وهكذا أصبحت دولة مدنية مهيمنة في اليونان ويحكمها الملوك. فقد كان ملوك أثينا رؤساء الطبقة الأرستقراطية التي كانت تمتلك ملكية الأرض في أيديهم وكانوا يعرفون باسم «أوباتيريد». وشكَّل الأوباتيريديون هيئة قوة تسمى «المجلس» واجتمعوا على تلة آريس تسمى "أريوس باغوس". حددت هذه الهيئة عمدة المدينة واللوردات والقائد العام للجيش، والمحكمة العليا أيضاً. وكانت أثينا بيتاً للعديد من أبرز الفلاسفة والعلماء في التاريخ، مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو، الذين أسهموا بشكل كبير في تطوير الفكر والعلوم.

وأصبحت أثينا مركزاً للأدب والثقافة، حيثُ ازدهرت الأنواع الشعرية والمسرحية والموسيقى، وشهدت تطوراً كبيراً في الفنون الجميلة، حيثُ كانت تضم العديد من المدارس والأكاديميات التي جذبت الطُّلاب والعُلماء من مختلف أنحاء العالم القديم. وخلال هذه الفترة، تمكَّنت أثينا من التحالف مع العديد من دول المدن اليونانية الأخرى، ما أدَّى إلى إنشاء تحالف كبير، وبهذه الطريقة تمكَّنت من جذب المواطنين من المناطق الأخرى الذين جاؤوا للعيش في المدينة، وبالتالي خلق

أكبر وأغنى دولة ومدينة في البر الرئيسي لليونان. واكتسب هؤلاء السكان الذين كانوا يعملون بشكل رئيسي في مجال الشحن والتجارة الراحة المالية ببطء، غير أنهم تمَّ استبعادهم من أي نشاط سياسي، فقد كان مجرد امتياز للطبقة الأرستقراطية.

وفي فترة العصور الوسطى والإمبراطورية البيزنطية تراجعت المدينة لتعود إلى الواجهة خلال الحروب الصليبية مستفيدة من التجارة الإيطالية، ثم وبعد مرور فترة من الركود جراء احتلال الدولة العثمانية، تظهر الإمبراطورية مرة أخرى في القرن التاسع عشر كالدولة اليونانية المستقلة الجديدة.

وحالياً أثينا هي عاصمة اليونان، وتقع في منطقة جنوب شرق البلاد وتقع في وسط اليونان على شبه جزيرة أتيكا ويحدُّها البحر الأيوني إلى الغرب، وبحر إيجا إلى الجنوب، ويتجاوز عدد سكان أثينا 3 ملايين نسمة، ما يجعلها أكبر مدينة في اليونان من حيث عدد السكان. وخلال العصر الحديث، شهدت أثينا تطوراً كبيراً على مدى العقود القليلة الماضية ومن بين أهم مظاهر التطور في هذه الفترة إعادة البناء بعد الحرب العالمية الثانية، فقد تعرَّضت أثينا لأضرار جسيمة خلال الحرب لكنها تمكَّنت من إعادة بناء معالمها الأثرية والتاريخية بشكل متميّز بعد انتهاء الحرب، وشهدت أثينا نمواً اقتصادياً وتحولاً صناعياً خلال القرن العشرين، مع تطوُّر الصناعات والخدمات وزيادة الاستثمارات الأجنبية، كما شهدت توسعاً حضرياً وتطويراً للبنية التحتية أيضاً مع بناء مرافق حديثة مثل المطارات والمستشفيات والمدارس والجامعات، واستمرت أثينا في أن تكون مركزاً للثقافة والفنون، مع ازدهار الأنشطة الثقافية والمعارض الفنية والعروض المسرحية، وشهدت تقدماً في مجال التكنولوجيا والابتكار، فقد أصبحت مركزاً للشركات الناشئة والابتكار التقني في مجالات، مثل: التكنولوجيا النظيفة والتكنولوجيا الطبية والذكاء الاصطناعي.

روائع أثينا

تحتضن أثينا آثاراً تاريخية مهمَّة تعود إلى العصور القديمة مثل الأكروبوليس ومعبد بارثينون إلى جانب متاحف تضم مجموعات فنية وأثرية مهمة، فتعتبر أثينا مركزاً للفنون والثقافة في أوروبا مع وجود مسارح ومعارض فنية وفعاليات ثقافية متنوعة تقام طوال العام، وتحيط بأثينا مناظر طبيعية جميلة مثل الجبال والبحر، مما يوفر فرصاً للمغامرات الخارجية والرياضات المائية، وتتميَّز أثينا بحياة ليلية حيوية، حيث توجد العديد من البارات والملاهي الليلية التي تستقطب السكان المحليين والسياح على حد سواء. وفي الواقع يتميَّز المطبخ اليوناني بالأطعمة الطازجة والصحية، ويوجد في أثينا العديد من المطاعم والمقاهي التي تقدم تجارب تذوق فريدة لا تُفوَت، ومن أهم المزارات في المدينة الأكروبوليس، ويعتبر الأكروبوليس المعلم الأثري الرئيسي في أثينا، وهو مجموعة من المعابد والمباني الأثرية القديمة بما في ذلك معبد بارثينون ومعبد إيركثيون ومتحف الأكروبوليس الذي يضم مجموعة هائلة من القطع الأثرية التي تعود إلى العصور القديمة، بما

في ذلك النقوش والتماثيل والفسيفساء والمتحف الوطني اليوناني الذي يُعتبر أحد أهم المتاحف في اليونان، حيثُ يضم مجموعة واسعة من القطع الأثرية من مختلف العصور، ومتحف بناكاس أيضاً، ويعرض هذا المتحف مجموعة من اللوحات والمنحوتات والتحف الفنية الحديثة للفنان اليوناني الشهير يورج بناكاس. وتعدُّ ساحة سينتاغما واحدة من أهم ساحات أثينا، فالزوار فيها يتمتَّعون بمشاهدة النوافير والمقاهي والمطاعم المحيطة بها وشارع إرموه حيث يعتبر هذا الشارع مركزاً للتسوق والمطاعم والمقاهي الرائعة، ويوفر تجربة تسوق ممتعة للسياح والحديقة الوطنية التي تعتبر ملاذاً هادئاً بعيداً عن صخب المدينة، ويمكن للزوار الاستمتاع بالطبيعة والمشي والاسترخاء، ومتنزه ليكابيتوس الذي يوفر إطلالات رائعة على المدينة والأكروبوليس ويعتبر مكاناً مثالياً للتنزه والتمتُّع بالمناظر الخلابة، ومن أبرز الأماكن لمحبي الفنون المركز الثقافي اليوناني ويضم هذا المركز مسارح ومعارض فنّية وفعاليات ثقافية متنوعة طوال العام. والواقع مدينة أثينا اليونانية لديها تاريخ طويل وثري من العادات والتقاليد والمهرجانات الشعبية والتراثية المتميّزة، وتُقام في أثينا مهرجانات ومعارض فنية وثقافية طوال العام، حيثُ يعرض الفنانون المحليون والدوليون أعمالهم في مجالات، مثل: الفن التشكيلي والموسيقى والأدب، وتشهد أثينا مهرجانات شعبية تقليدية مثل مهرجان «باناثينايا»، الذي يقام في شهر يونيو من كل عام، ويتضمن العديد من العروض الفنّية والموسيقية والمأكولات التقليدية، وتشتهر أثينا برقصات الفولكلور اليوناني التقليدية مثل (الزوربا)، حيثُ يشارك السكان المحليُّون والسياح في أداء هذه الرقصات في المهرجانات والاحتفالات وتعطي أثينا أهمية كبيرة للاحتفالات بالأعياد الدينية اليونانية، مثل: عيد الفصح وعيد القيامة، حيثُ يتجمع الأهالي في الكنائس ويشاركون في الصلوات والاحتفالات التي تعتبر جزءاً أصيلاً من الحياة الاجتماعية في المدينة، فسكان مدينة أثينا متنوعون ولهم صفات مميزة تميزهم عن السكان في المدن الأخرى، فيُعتبر الأثينيون ودودين ومرحبين، ويُظهرون ترحيباً بالزوار والسياح من مختلف أنحاء العالم، وسكان أثينا يفخرون بتاريخهم الغني والثقافة اليونانية القديمة، ويحرصون على المحافظة عليها وتعزيزها، ويتمتع الأثينيون بروح الحماس والنشاط، حيث يشاركون بشكل نشط في الفعاليات الاجتماعية والثقافية في المدينة. ويشكّل سكان أثينا مجتمعاً يعتمد على الإبداع والابتكار، حيث يسعون إلى إيجاد حلول جديدة للتحديات التي تواجههم دائماً، ويظهر سكان أثينا مرونة كبيرة في التعامل مع التحديات اليومية والظروف الاقتصادية المتغيرة ويظهرون قدرة على التحمّل والصمود ■

كاتب مصري

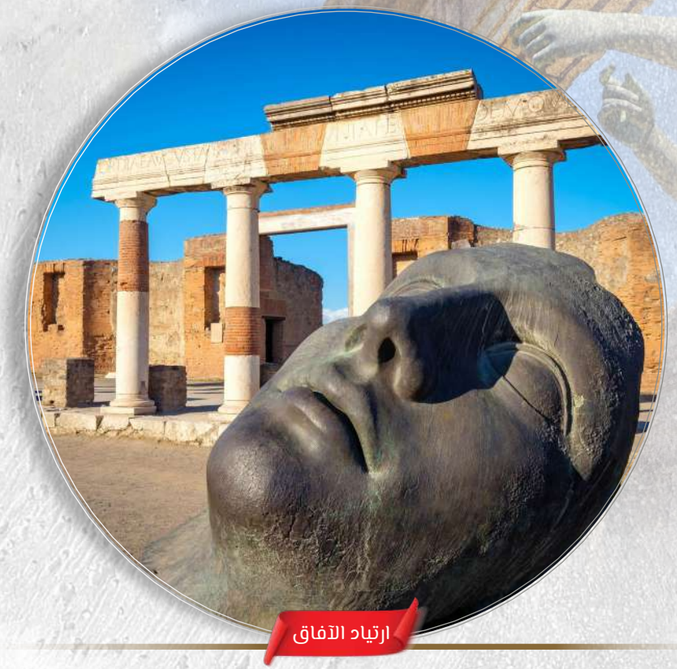

ارتياد الآفاق

رحلة بروح ساخرة
علي الدوعاجي مسافر المركب النشوان
جولة بين حانات البحر المتوسط 1933 م

محمد عبد العزيز السقا

رحلة بروح ساخرة
علي الدوعاجي مسافر المركب النشوان
جولة بين حانات البحر المتوسط 1933 م

محمد عبد العزيز السقا

في نهاية الثلث الأول من القرن العشرين، وبينما إرهاصات النازية والفاشية تتلمس طريقها إلى المسرح السياسي في ألمانيا وإيطاليا، وقبيل ست سنوات من اندلاع الحرب العالمية الثانية، جاءت تلك الرحلة التي كتبها «علي الدوعاجي» بلمسات شاعرية، مفعمة بالظرف والطرافة والعبث البريء، مزينة برسوم معبرة غير متكلفة، كاشفة عن مزاجه الرائق وروحه المرحة التي انسحبت على كامل العمل.

خبرة كتابية انتصرت للواقع على المتخيل، بحاسة رقيقة، وحدس شديد الصفاء في استقراء رياح التغيير والنفاذ إلى أعماق الأحداث والشخصيات التاريخية التي سوف ترسم التاريخ الأوربي وتقود إلى تلك الحرب التي جاءت كسابقتها بتحولات عاصفة كابدتها بلدان أوروبا وشعوبها ولم تسلم منها الأطراف، يحملنا علي الدوعاجي إلى ذاته الشاعرية، من خلال «عرض صور صادقة لا مبالغة فيها ولا خيال»، من خلاله جولته التي قام بها في فترة ما بين الحربين بين موانئ المتوسط: سردينيا، كورسيكا، نيس، مرسيليا، نابولي، بمبايي، بيره (بيريوس) أثينا، الدردنيل، إسطنبول، أزمير، ومن ثمة العودة إلى تونس، وقد نشرت الرحلة متسلسلة في مجلة «العالم الأدبي» التونسية من سبتمبر 1935 إلى فبراير 1936. وأعادت مجلة «المباحث» نشرها عام 1944م، وقد تولاها الباحث والمترجم والكاتب الأستاذ علي كنعان[1] بالتحرير والتقديم، وطبعتها سلسلة ارتياد الآفاق عام 2009م في أبوظبي، وعنوانها «مسافر المركب النشوان: جولة بين حانات البحر المتوسط»[2].

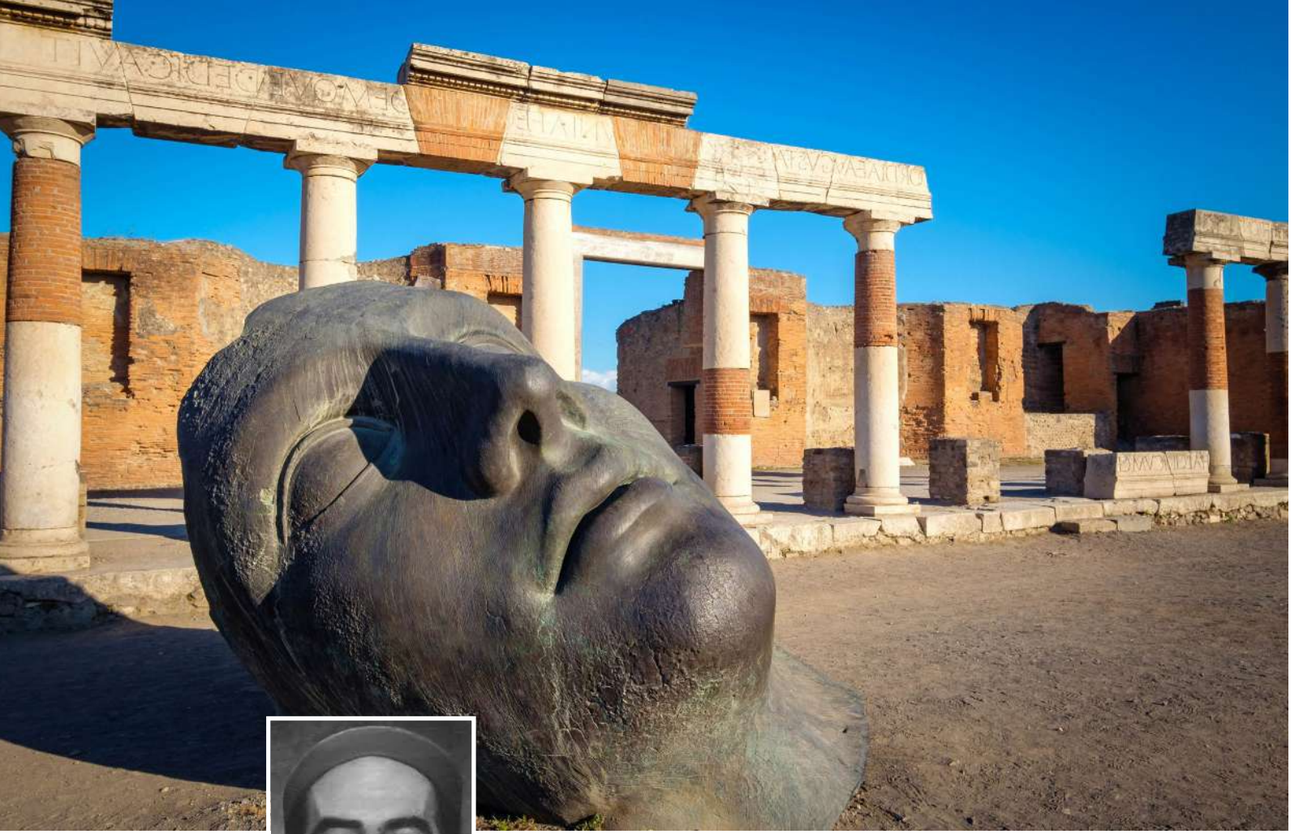

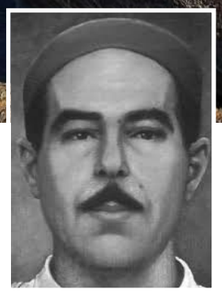

فمن هو الدوعاجي؟

شهدت سنة 1909م مولد ثلاثة أدباء تونسيين، أبو القاسم الشابي، والدوعاجي، وإبراهيم بو رقعة، وقد ولد رائد الأدب الفكاهي وأبو القصة التونسية «علي بن صالح الدوعاجي»، في العاصمة تونس، وهو كاتب وشاعر ورسام كاريكاتير وزجّال وإعلامي فقد والده في سن الثالثة، ونشأ في أسرة برجوازية صغيرة، والدوعاجي قيل من الدعاجي من الدعاء، وربما تعاطى جده هذه المهنة في المساجد أو بين يدي الأمراء، ووزنها كمثل كفتاجي وقهواجي من المعروف في الصناعات والمهن التركية. والحاصل أن عائلته تعود أصولها إلى الجنود الأتراك الذين قدموا إلى تونس إبان استنجاد مسلمي شمال أفريقيا بالدولة العثمانية لصد العدوان من السواحل الأوروبية، وأمه تدعى نزيهة بنت شقشوق خصته بمزيد من الرعاية والدلال، خاصة بعد وفاة والده وربما منحته مزيداً من الحرية، وربما كانت الداء الذي تسبب في وفاته مبكراً، تعلّم العربية والفرنسية في المدرسة العرفانية القرآنية، وانقطع عن الدراسة وهو لم يراوح الثانية عشرة، ليواصل تكوين نفسه بنفسه عبر المطالعة، فأقبل على التهام الروايات والدواوين الشعرية، واتصل بالمجالس الأدبية ومقاهي المثقفين، فالتقى بأبي القاسم الشابي والطاهر الحداد وصادق محمد العريبي، وعبد الرزاق كرباكة. تعددت مواهب الدوعاجي فهو شاعر وروائي وقاص وزجال وفنان كاريكاتير، إضافة إلى أنه كان كاتباً صحافياً ومذيعاً أنتج برامج عدة، وأسهم في تحرير مجلة «العالم الأدبي»، كما أسس جريدة «السرور» سنة 1936م وعرف بعموده الساخر فيها، «بالريشة والقلم» ويتجلى ثراء تجربة الدوعاجي في استخدامه القلم والريشة والألوان، عبر صفحات الجرائد اليومية والأسبوعية، أقاصيصه المسلسلة ورسوماته الكاريكاتيرية ضمن ثراءٍ وتنوعٍ نصي وفني عاش صاحبه حياة بوهيمية، مفضّلاً السهر والتسكع ليلاً على الخلود

في فراش وثير، يبدأ حياته الساعة الخامسة مساء، وينهيها في الثانية بعد منتصف الليل، ثم بعدها يبدأ المطالعة والإنتاج إلى الصباح وكعادة الحياة مع الساخرين منها فقد أهدى الدوعاجي الضحك وجنى النكد، توفي الدوعاجي أعزبَ، وحيداً، منسياً، مصاباً بمرض عضال في أحد مشافي تونس العاصمة، عام 1949م، متأثراً بإدمانه تدخين الحشيش «التكروري»[3]. وهو لم يتجاوز الأربعين من عمره، وقد مشى بعض خلّانه في جنازته التي صادفت يوماً مطيراً قيل إنّه حجب عنه البقية فيما اتهمهم بعضهم بالخذلان، غير أنه بقي في ذاكرة القراء طويلاً كأحد أعلام الأدب التونسي المعاصر الذي صورت قصصه التعايش مع النفس والناس وثقافة الذات والآخر وهمزة الوصل بين المقهى والأدب، والجد والهزل.

خط سير الرحلة

تبدأ الرحلة من تونس في صيف عام 1933م، إلى سردينيا، ثم كورسيكا، وصولاً إلى نيس، ثم مرسيليا، ثم نابلي، وبمبايي، وبيره (بيريوس)، وأثينا، ثم إلى الدردنيل، ثم إسطنبول وأزمير، ومن ثم العودة إلى تونس مرة أخرى.

البناء السردي والنص

لا تنقل الرحلة لنا المدن عبر ملامحها وآثارها الجغرافية والعمرانية، ولا يطنب الرجل في وصف الأماكن وذكر حقائقها التاريخية وتعديد محاسنها المعمارية وملامح مجتمعها بشكل تقليدي، هو أدب رحلة لا يسير على قضبانها، ليس سرداً ولا وصفاً، بل هو كتاب مملوء بالهزل الجميل، بوسعك مطالعته في الصيف ترتشف منه كما يرشف الرحيق كلما ضاق صدرك أو اعتراك ملل، ومؤلفها يتجاوز التقليدية الرحلية، ويعلن ذلك في كتابه صراحة إذ يقدم رحلته على أنها: «نزوة فتى في الرابعة والعشرين من عمره، يريد أن يتسلى ويروّح عن النفس في سياحة مستعجلة بين موانئ المتوسط»، في حين تنقل لنا الرحلة وصفاً تفصيلياً وانطباعات دقيقة عن تصرفات الناس وحركاتهم وأحاديثهم عبر مؤلف حاضر البديهة، دقيق الملاحظة حاد التعليق والانتقاد، وإمعاناً منه بالسخرية، فقد اختار لرحلته عنواناً ساخراً «حانات» المتوسط عوضاً عن مدن الساحل العريض وموانيه؛ معللاً ذلك بضيق الوقت قائلاً: «إننا لم نَر من هذه الموانئ إلا حاناتها ومقاهيها»! ويعود ليؤكد أن دافع تدوين رحلته هو «تسلية القراء»، لكن ما سيلحظه

القارئ الأريب للرحلة هو تلك النبرة الشاعرية التي يصف بها الدوعاجي المدن في مغامرة شيقة قلّ نظيرها في خزانة الرحلة الكلاسيكية أو المعاصرة. ولا أنكر أن الكاتب استطاع أسري بأسلوبه الخفيف ما مهد الطريق أمام عقلي للتنقل معه في سفره، وقد استطاع ببراعة أن يوظف تقنيات التكثيف والتشبيه البارع ليلصق جملة على لافتة كل مدينة، فـ«نيس» امرأة غانية مثيرة، و«نابلي» مدينة جميلة تقع تحت رحمة الله والبركان، و«بمبايي» هي مدينة فارغة، و«أثينا» مدينة أميّة كجارتها «بيره» لكن أناقة سكانها تجعلها من عواصم العالم الجميلة.

الدعابة الجادة!

حسه الساخر الذي وظفه بحنكة وذكاء فطري شديد، ليبعث برسائل بين السطور على النابه أن ينسل من بين يدي الكتاب ليتأكد أنه أمام رجل «غير بسيط» وإن بدت كتابته كذلك، أذكر للقارئ على سبيل المثال عبارة استوقفتني عند وصفه لمدينة بمبايي[4] الأثرية بالمدينة الفارغة وكيف تخلو بيوتها من السكان وشوارعها من المارة في عبارة ذات مغزى: «.. غادرنا مدينة بمبايي غير المسكونة. والعجيب أنها غير مسكونة في إيطاليا التي ضاقت بربع الإيطاليين الذين يفتشون منذ خمسة قرون عن أرض يسكنونها..»[5]. والدعابة عند الدوعاجي هي تأسيس لمبدأ الدعابة الجادة، والدعابة عنده ظاهرة أسلوبية وسردية، وهي مذهب «علي الدوعاجي» في الحياة فضلاً عن الكتابة، وهي توسل بالوقائع لسرد الأحداث، مع انتقائية تتخير اللقطات الطريفة المضحكة تتقاطع فيها ثلاثة عناصر للبنية النصية هي المكان والحدث والموقف الهزلي، فهي بسيطة عند السرد، عميقة عند التأمل والتأويل. في النهاية لم يسلم أحد من دعابته، لا رفقاء الرحلة، ولا الجنود والمارة، ولا النساء، ولا دليل الرحلة، أو المترجمين، ولا طه حسين، ولا حتى هو نفسه فهو يصف نفسه بأنه سمين ورأسه كبير.

من الرحلة

أبدع الوصف: زوجتان!

من أبدع ما وصف في رحلته عندما كانت السفينة تشق طريقها بين ضفتي المضيق وكانت على يمينه قارة آسيا وعلى شماله قارة أوروبا، وقد جلس على مقعد طويل في مقدم السفينة ينظر إلى القارتين نظرة المتزوج بامرأتين، الشرق بأسراره ورموزه بما فيه من روح سامية، بما فيه من نِحَل وديانات ومذاهب، الشرق البذخ بقصوره وجواهره ولآلئه، وقطار الفيلة

محمل بالحرير والعود والعاج والأحجار الكريمة يسير في طريق خال ناء في سلسلة جبال همالايا، واصفاً زوجته الشرقية بفتاة ممشوقة القامة، سمراء اللون، سوداء الشعر بعينين نجلاوين ساحرتين كأعين الحجازيات، ترتدي الثياب الدمشقية المطرزة بالقصب والجوهر، عليها رسوم صينية تتحلى بأنفس اليواقيت والزبرجد، ولآلي من أعماق الخليج الفارسي والمحيط الهندي وشماخات جبال منشوريا، معطرة بأشذى عطور السند، أمامها القيان يعزفن لها ألحاناً شجية ملأى بالذكريات «الثقيلة»، وهي غارقة في مطالعة الخيَّام شاعر الشرق، وأمامها منضدة من خشب الأرز المطعم بالأبنوس الأنامي والأصداف والمرجان، ونارجيلة من البلور «الإسطنبولي» تدخن من غليونها الصيني تبغ شيراز ومقدونيا، وهي هادئة الحركات لا تنقل نظرها من كتاب «الرباعيات» إلا لتلقي به على الصور المتشبعة الملونة بالألوان «الصارخة» في سجاد بخاري يكسو أو «يفرش» أرض الغرفة، أو على الآيات الكريمة المكتوبة بخط كوفي مزهر على الجليز القيشاني الذي يكسو الجدران. بينما زوجته اليسرى «أوروبا»: الغرب بمصانعه وآلاته وعدده ومداخنه التي خلقتها المادة والنظام والمطبعة والعقل الهادي تحت سماء ممطرة على أرض يكسوها الجليد تسعة أشهر في السنة، وقطار الشرق الذي يقوم يومياً من باريس إلى إسطنبول يسير بسرعة تسعين ميلاً في الساعة الواحدة، يشق في طريقه جبالاً، مخترقاً كهوفاً وبحيرات وأنهاراً على جسور قناطر من فولاذ وإسمنت، وحمولته آلات المدنية والموت الزؤام من آلات صناعة وإزهاق أرواح من أسلحة بيضاء وحمراء، وآلات تلفزة وصناديق أدوية وأحدث كتب العلم والحب، فكانت زوجته «أوروبا» شقراء جميلة بجسم رياضي، بيضاء اللون ذات عينين زرقاوين صافيتين، ترتدي فساتين السهرة الرشيقة من مصنوع نهج «لابي» منسوجة من سرير خشبي، وجوارب من حرير بلوري، وحذاء من جلد الثعابين الاصطناعي، تزين جيدها بعقود الكهرمان المطبوخ «الكيميائي»، جالسة على مقعد من جلد قوائمه من الكروم، في أفخم نزل سويسري جدرانه وسقوفه من الإسمنت المسلح، وأبوابه ونوافذه من بلور لا ينكسر، أمامها منضدة قوائمها من مسكتة ومطاط مجمد أكواب (بكاراي) ملأى بالشمبانيا المحببة، تدخن سيجار الهافان المخلوطة على الذوق الأمريكي، وهي تتسلى بالتفرج على المنزلقين على الثلج، في يدها مجلة لندنية لا تطالع منها إلا نكاتها أو صفحة المودة، وهي تود اختيار ثوب لركوب الطائرة وثوب يليق بظهورها في سباق «درباي» أو صفحة البيت لتتعلم أحدث طريقة لرقص «ادفعني..» أو أحدث طريقة لخلط «الكوكتيل»، تدير بطرف إصبعها زر المذياع لتسمع رومبا من سانت برتيلمي في جزر الأنتي أوفالز من فيينا يعزفه تخت بوهيمي به مئة وسبعون «كمان»... »

نيس بعيون الدوعاجي

مدينة نيس[6] غانية جميلة ترتدي أزهى فساتين السهرة الثمينة،

وفي جيدها عقد من أجمل العبارات والحدائق النظيفة. نيس مدينة الزهو والغرور، مدينة الشباب الجذاب المرح والكهولة المترية. نيس مدينة البذخ والرفاهية، مدينة الحب الإبليسي، مدينة الشهوة «الإنسانية»، مدينة القرار والانتحار. المرور من رصيف إلى آخر عملية يُحسب لها ألف حساب، والنظر من وجه غادة إلى أخرى عملية يُحسب لها ألف دقة قلب... وفي اليوم التالي كنا في طريقنا إلى مرسيليا، تحملنا عربتا (أوتوكار)، واجتزنا في طريقنا لشواطئ الكوت دازير[7]، مثل كان[8]، وكانيو، وبالميش، وسان رفائيل، وكل هذه الشواطئ متشابهة وكلها آهلة بحوريات يعشقن أشعة الشمس ويعرضن لها أجسامهن الناعمة ولا يخفين عن الشمس إلا ما قل ودل، والشمس بدورها ترد التحية بأحسن منها فتصبغ لهن بشراتهن بلون أسمر جذاب يزيد جمالهن ويجعل منهن تماثيل «برونزية » تصلح أن تعرض في معارض وشبابيك محلات (المودة). وبلديات الكوت دازير لا تكلف نفسها إلا وسعها ولا ترغم الناس على الاستحمام بلباس خاص كما تفعل بلدياتنا هنا، بل تترك لهم الحرية في اختيار «مودة» الاستحمام، وأكثر مودات ذلك رواجاً إنما هي «مودة حواء».. مع طرح ورقة الكرم التي كانت تتستر بها أمنا الخجول. وهذه مناظر لا تحكى إنها ترى..».. ويمكن للسائح أن يمشي مئات الكيلومترات بين نيس ومرسيليا راجلاً، ولا يحتاج إلى أن يحمل معه أي شيء من ضروريات المعيشة. إذ إن الطريق كله متلاصق البنيان والعمران وعدد المطاعم والأنزال يفوق عدد المساكن الخاصة.

المعكرونة لا تدخل الفم!

مقارنته في سياق الطعام ومكونات المائدة لم تخلُ من الطرافة، فيحكي لنا قصته مع المعكرونة[9] صعبة المنال فيقول: «المقرونة (هكذا يكتبها) الإيطالية التي هي أكلة لذيذة جداً، حسبما يقولون عنها، وأحسن دعاية للفن الإيطالي الشهير لولا أن أكلها يتعب أفريقيا مثلي تعود الكسكسي. وضع أمامي طبقاً من هذه الجعاب[10] اللذيذة واحترت في كيفية لفها حول الشوكة التي ليس لي فيها أي مأرب، وبعد الدرس والفحص سألت المدرس وكان بجانبي فوجدته في مثل حيرتي

فتركته إلى جماعة من الإيطاليين كانوا على مائدة بالقرب منا، ولسوء حظي وجدتهم يأكلون بقولاً ولحماً، وحان الفرج بقدوم إيطالي «محافظ» سمعته يطلب السباجتي، وما أن وضع الصحن أمامه حتى أخذ في يمناه شوكة وفي يسراه ملعقة، وأخذ يلف الجعاب على الشوكة بالملعقة في حركة رشيقة حتى كون منها لقمة بعث بها إلى فمه في حركة البرق. أخذت أقلده وكلما أدرت الشوكة في الملعقة زادت الجعاب تشعباً وتفرعاً. وأخيراً تركت المعكرونة إلى طبق فاصولياء، أما المدرس، فإنه تركها إلى غيرها من الأطعمة، وهو يلعن المخترع لهذه الجعاب التي لا تدخل الفم!.

المآذن الطويلة البيضاء - إسطنبول

لم أكن نمت أكثر من ساعتين عندما أتى الفرّاش لإيقاظي. غادرت الفِراش آسفاً - وقلما تركته غير آسف - واغتسلت وارتديت ملابسي في حذر كي لا أوقظ رفقائي في الغرفة، وهم ممن لا يهمهم في الرحلة سوى زيارة المتاحف والكنائس والمساجد، وخرجت إلى سطح الباخرة. كنت كالمسحور أمام عظمة ذلك المنظر وهيبته: والباخرة تقترب رويداً رويداً من ميناء غالاطا. لا يُرى أفخم ولا أجمل من منظر المآذن الطويلة البيضاء القائمة كأنها الشموع تحت سماء إسطنبول في ساعة الشروق. لإسطنبول في هذه الساعة من النهار سماء خاصة بإسطنبول لا ترى في غيرها. فيها من الألوان ما يعجز الشاعر والمصور عن آدائه... وسأحاول وصفه لكم رغم وثوقي من عجز البشر عن وصف ذلك المنظر الغريب... «سماء زرقاء شديدة الزرقة، وقطع السحب موزعة فيها توزيعاً مشوشاً ولكنه جميل. والشمس تبزغ في ثوب برتقالي من خلف القباب والمآذن البيضاء. وبين أشعة الشمس البرتقالية وزرقة السماء «وصلة» من اللون البنفسجي. وهو اللون الذي عندما نراه مرسوماً في سماء لوحة زيتية نقول في هزء: «إنها مبالغة من خيال المصور». ولكنني أقسم لكم أني رأيته في سماء إسطنبول». هذي سماء إسطنبول ساعة الشروق... لا، ليست هي كما وصفتها لكم. ولكن هذا ما أمكن أن أقوله عنها وأنا معترف بقصوري من الأول. وأتهم كل البشر بالقصور عن وصفها.

باحث في أدب الرحلة

الهوامش:

(1) علي كنعان (1936) شاعر وكاتب ومترجم سوري مقيم في الإمارات، ولد في قرية البزّة بحمص، تخرج بإجازة في اللغة الإنكليزية وآدابها عام 1965م، عمل في حقلي الصحافة والإذاعة، وانتدب إلى اليابان لتدريس اللغة العربية في جامعة طوكيو وله مؤلفات وترجمات ودواوين شعرية مطبوعة.

(2) المركب النشوان/ هو مُرَكب إضافي تكرر على لسان غير واحد من الكتّاب العرب، وبالطبع هو من أشهر قصائد الشاعر الفرنسي المتمرد آرثر رامبو -1854 1891م، والقصيدة تصف الرحلة الأخيرة لمركب يترنح.. قبل أن يغرق. وقصيدة رامبو ترجمها بعضهم بعنوان المركب السكران وقال آخرون مركب السكارى فيما

ترجمها غيرهم إلى المركب النشوان أما مركب السكارى فخطأ لأن السكر وصف الشاعر به المركب لا راكبيه والنشوان أدل على تمشي حميّا الخمر والنشوة في الجسد وترنح صاحبه ترنحاً لطيفاً لا يجعله مبغضاً إلى غيره، بل قد تكون صفة محببة إلى الأدباء والشعراء، ومن القديم قول زهير: وقد أغدو على ثبة كرامٍ.. نشاوى واجدين لما نشاءُ

(3) مخدر التكروري المسموح به في ذلك الوقت في الأماكن العامة في تونس. وفي تعريف بسيط أولي هو حشيش مخدر من الصنف الخفيف ويسمى في البلاد التونسية الحديثة التكروري والدخان الأخضر والكيف، وتضاف إليها تسمية القنّب الهندي وقد أخذ تسميات ثلاث (تكروري، كيف، حشيش) في أمر 3-10-1884 المنظم لعملية بيعه وزراعته ومستهلكه ينعت في الاستعمال العامي التونسي «بالتكاررري والتكارلي والحشايشي». وطبياً تصنف هذه المادة كمخدر مدخّن بواسطة الفم والأنف.

(4) بالإيطالية Pompeii بومبي أو پُمْپِيي هي مدينة رومانية كان يعيش فيها عشرون ألف نسمة تقريباً، واليوم لم يبقَ من المدينة إلا آثارها القديمة.

(5) يمكن تفسير عبارة «ربع الإيطاليين الذين يفتشون عن أرض يسكنونها» بمعنى النزعة الاستعمارية التي كانت شائعة بين الإيطاليين في القرون السابقة. في تاريخ إيطاليا، كان للإيطاليين دور استعماري مهم في العديد من المناطق حول العالم، الطموح الاستعماري كان يدفع الإيطاليين للبحث عن أراضٍ جديدة للسيطرة عليها والاستيطان فيها.

(6) ميناء في الجنوب الشرقي من فرنسا على ساحل المتوسط، بين مارسيليا وجنوى. على بُعد بضعة كيلومترات من إيطاليا وموناكو، هذه المدينة هي واحدة من أكثر الوجهات السياحية للفرنسيين والسيّاح من العالم.

(7) الكوت دازير Côte d' Azor أو الشاطئ اللازوردي، هو جزء من الريفيرا الفرنسية على البحر المتوسط.

(8) كان Cannes مدينة وفيها الميناء المعروف والواقع في جنوب شرق فرنسا، إلى الغرب من نيس.

(9) يعود ذكر الباستا الإيطالية إلى القرن الثاني عشر، حيث ورد ذكرها للمرة الأولى في كتاب للطبخ في صقلية عام 1154م، وسر نجاحها هو سهولة تحضيرها من دقيق القمح والبيض ثم تقطيعها إلى أشكال مختلفة، مثل: السباغيتي أو اللازانيا أو الأنابيب المقصوصة بأحجام مختلفة.

(10) يرى محرر الرحلة الأستاذ علي كنعان أن الجعاب (جميع جعبة): كنانة السهام، وأرى أن الرحالة قصد بالجعاب المواسير أو الأنابيب المقصوصة، وهي عامية تونسية متداولة ومنها قولهم لمواسير المياه في الري والصرف جعبة وجعاب وهي تشابه المعكرونة المقصوصة ويسميها أهل مصر مكرونة قلم أو أقلام لمشابهتها القلم.

المراجع:

- مسافر المركب النشوان: جولة بين حانات البحر المتوسط، 1933 ارتياد الآفاق، تحرير وتقديم علي كنعان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2009م.
- الظواهر الاستهلاكية الجديدة في المجتمعات المغاربية في الفترة الاستعمارية: «الشاي والتكروري» في البلاد التونسية، عبد الواحد المكني، قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية في صفاقس - الجمهورية التونسية. المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا - إنسانيات، 2003م.
- الشعر ولغة الترجمة، عبد الهادي السايح، مدونة على الشبكة العنكبوتية.
- الأدب الحديث والمعاصر، مصفى كيلاني، المؤسسة الوطنية للدراسات والترجمة، تونس، 1990م.
- مقومات الرحلة في - جولة - علي الدوعاجي، محمد نجيب العمامي، مجلة المسار، ص ص 88 - 89، لسنة 2009م.

ذكريات زمن البدايات:

الإعلام البترولي وأعمدة الاقتصاد

خليل عيلبوني

كان الإعلام بالنسبة لي، عندما أتيحت لي فرصة المشاركة في إذاعة «صوت العرب» من القاهرة في عام 1961، ليس سوى هواية امتلكت منها عنصرين أساسيين، الأول: الكتابة، فقد برزت في مرحلة الدراسة الثانوية شاعراً، وكاتباً يرسل مقالاته النقدية إلى بعض الصحف والمجلات. والثاني: الصوت، فقد كنت ألقي بعض القصائد والكلمات في الحفلات المدرسية، وفي برنامج إذاعي كان يُقدّم في إذاعة دمشق بعنوان «الفردوس المفقود»، وكان يشرف عليه ويعده ويقدمه الشاعر الفلسطيني المعروف يوسف الخطيب. لكنني اكتشفت فيما بعد، وبفعل النضج والاطلاع، أن الإعلام الذي يكون بلا قضية ما هو إلا فقاعات ماء تتبخر وتتلاشى، ولا تترك حتى أثراً.

الإعلام والقضية

ولعلني كنت محظوظاً أن أرتبط منذ البدء بإعلام القضية الفلسطينية، وهي أهم قضية لدى الأمة العربية، ولا يختلف فيها عربيان. ولذلك عندما وصلت إلى أبوظبي في مطلع عام 1971 كان همّي الأول، وأنا أجد نفسي في موقع إعلامي آخر، أن أجد قضية أدافع عنها وأحمل مسؤوليتها؛ لأنه لا إعلام بلا قضية. وقد أتاح لي القدر منذ البدء أن ألتقي معالي الدكتور مانع سعيد العتيبة الذي كان يتولى مسؤولية دائرة البترول، وكان البترول نفسه في ذاك الزمان يحمل قضية بناء دولة، وعمران وطن عاش أهله قبل اكتشاف النفط على الرمال، وفي ظل حماية استعمارية، وفي ظروف بالغة القسوة. وعندما حاول أحد المسؤولين عن الإعلام في ذلك الزمن أن يحذرني من الإعلام البترولي، وينصحني بالاتجاه إلى موضوع آخر أو قضية أخرى، وجدت نفسي أتشبث بهذه القضية، وأزداد إيماناً بعدالتها، وبحاجتها إلى الإعلام أكثر من أي قضية أخرى. وهذا ما جعلني منذ البدء أفتح عقلي وقلبي معاً لكل ما هو بترولي، وأتلقف جميع الكتب والنشرات التي وضعها الدكتور مانع أمامي، وأقرؤها بعمق واهتمام، وأتعلم منها ما يجعلني مُقنعاً في الدفاع عن قضية البترول في دولة الإمارات العربية المتحدة. وعندما أتاح لي الدكتور مانع سعيد العتيبة أن ألتقي المغفور له – بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - وأصغي إليه وهو يتحدث عن البترول ودوره في بناء الدولة، وفي خلق أعمدة جديدة للاقتصاد تحددت لديَّ الخطوط العريضة لقضيتي الإعلامية. فأولاً: البترول مادة ناضبة، غير متجددة، له عمر، وسينتهي بعد خمسين أو مئة عام على الأكثر، وما أقصر المئة عام في تاريخ الشعوب. وثانياً: يجب ألا نعود إلى الصحراء والحرمان بعد نفاد البترول وجفاف حقوله في بر الإمارات وبحرها. وثالثاً: يجب استغلال هذه الثروة المؤقتة والناضبة لبناء اقتصاد قوي، يمكنه أن يوفر مصادر دائمة وغير ناضبة للدخل، ووضع أعمدة جديدة وقوية للاقتصاد. لقد وضع القائد - رحمه الله تعالى - أمام عيني هذه الخطوط العريضة لاستراتيجية عمل، يجب أن يتم، ويجب على الإعلام أن يواكبه بكل فهم ووعي ومسؤولية. وأتاح لي الإعلام والمسؤولون الذين يتولون إدارته في ذلك الوقت، وعلى رأسهم معالي الشيخ أحمد بن حامد، ومعالي الأستاذ راشد عبد الله، وسعادة الأستاذ عبد الله النويس، كلَّ الإمكانيات التي كانت لديهم لمساعدتي على تنفيذ برنامجي «الذهب الأسود» في الإذاعة والتلفزيون. أما الدكتور مانع سعيد العتيبة، فقد وضع إمكانيات دائرته كلها لمساعدتي في هذا البرنامج الذي كان نواة الإعلام البترولي في الدولة، والذي تعددت وسائله وآلياته. وكان لي شرف حمل مسؤوليته من خلال وزارة البترول والثروة المعدنية التي أنشئت بعد قيام الاتحاد. وامتد نشاط هذه الإدارة، إدارة الإعلام البترولي لتشمل الصحافة بالإضافة إلى الإذاعة والتلفزيون.

استراتيجية اقتصادية

وللتدليل على وضوح الرؤية لدى القائد في ذلك الزمن يمكن الرجوع إلى المرسوم الأميري رقم 11 لعام 1970 الذي نص على تغيير اسم «دائرة البترول» إلى «دائرة البترول والمعادن والصناعة». إن هذا التغيير، ليس مجرد تغيير في الاسم، بل إنه تغيير في الغاية والوسيلة. إنه يحمل فكر القائد، كما يحمل ملامح الخطط التي وضعها الدكتور مانع العتيبة لتحقيق غاية ومقصد ذلك الفكر أيضاً؛ فالاقتصاد في ذلك الوقت كان يقوم على عمود واحد، وهو البترول، وهذا الاقتصاد يمكن أن يصاب بهزات كبيرة، ويتعرض لضربات موجعة لو قامت الشركات صاحبة الامتياز بتخفيض إنتاجها، أو تعرضت أسعار البترول العالمية للانخفاض. ولذلك لابد من إيجاد أعمدة أخرى للاقتصاد، تخفف من آثار أي نكسة تصيب الصناعة البترولية. أضافت التسمية الجديدة للدائرة إلى كلمة «البترول» كلمتي «المعادن» و«الصناعة». ولم تكن هذه الإضافة صادرة عن هوى، ولا هي وحي من الشعر الذي كان الدكتور مانع العتيبة يجيده، بل صدرت تلك التسمية لتعلن عن خطة استراتيجية هدفت إلى تنويع مصادر الدخل بالاستغلال الأمثل لثروة البترول. ولهذا، فقد حدد المرسوم الأميري رقم 11 لعام 1970 اختصاصات هذه الدائرة بالمهام الرئيسية التالية:

1 - متابعة جميع عمليات شركات البترول العاملة في أبوظبي، وإجراء المباحثات اللازمة معها فيما يتعلق بعقود امتيازها.

2 - متابعة التطورات والاتجاهات المتعلقة بصناعة البترول، وإعداد الدراسات والأبحاث اللازمة.

3 - دراسة أحسن السبل الكفيلة بالنهوض بالصناعة البترولية في أبوظبي، واستغلال البترول ومنتجاته والخام الطبيعي في الصناعة البتروكيماوية.

4 - تمثيل أبوظبي في اجتماعات منظمة الأقطار المصدّرة للبترول «أوبك»، ومنظمة الأقطار العربية المصدّرة للبترول «أوابك».

5 - تمثيل أبوظبي في الاجتماعات ذات العلاقة بشؤون البترول أو المعادن أو الصناعة التي تعقد ضمن نطاق جامعة الدول العربية

6 - رعاية شؤون الصناعة في أبوظبي بقطاعيها الخاص والعام، والإشراف عليها، وتوجيهها الوجهة السليمة المنشودة

7 – دراسة ومتابعة جميع ما يتعلق بالمسح المعدني، واستثمار الثروات التي يثبت وجودها في أبوظبي.

وإذا أمعنا النظر في فحوى هذه الاختصاصات، فإننا نجد الخطوط العريضة للاستراتيجية التي وضعتها القيادة لاستغلال الثروة البترولية المؤقتة، وتسخيرها للقيام بمشاريع تهدف إلى: تنويع مصادر الدخل، وصنع أعمدة جديدة للاقتصاد غير عمود النفط. وقد تحققت أهداف الاستراتيجية التي وضعها القائد زايد - رحمه الله تعالى - ورعاها ولي عهده الأمين المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان.

تحققت الأهداف بفضل الجهود الجبارة التي بذلتها القيادة على مدى سنوات من المتابعة الحثيثة؛ فقد تمكّنت هذه القيادة من تنويع مصادر الدخل، وبناء الأعمدة الجديدة للاقتصاد. حدث ذلك على الرغم من زيادة إنتاج البترول في أبوظبي من نحو 400 ألف برميل في اليوم إلى نحو ثلاثة ملايين برميل يومياً، وعلى الرغم من ارتفاع الأسعار من أقل من دولار واحد إلى ما يقارب الـ 150 دولاراً. وبرغم كل ذلك، وبفضل الجهود التي بُذلت، فقد تم بناء اقتصاد قوي جعل دخل البترول يتناقص ليصل إلى أقل من 30% من الدخل العام لدولة الإمارات العربية المتحدة. وعندما أسترجع اليوم بعض ما سجلته في ذلك الزمن الجميل من حلقات (الذهب الأسود)، أدرك كم كنت محظوظاً باختياري قضية الدور الذي قام به النفط في بناء دولة الإمارات العربية المتحدة واقتصادها العظيم. وبكل اعتزاز وحب، أسجل هنا أنني وجدت خطة واضحة، واستراتيجية مدروسة، وقيادة تعرف بالضبط ما تريد ولديها وضوح رؤية وعزيمة رواد. وكان لي شرف مواكبة هذه المسيرة إعلامياً منذ اليوم الأول الذي وصلتُ فيه إلى أبوظبي في الأول من يناير عام 1971 ■

إعلامي وشاعر

جمال مطر يستنطق الحيوانات لصيانة المدينة الفاضلة

ربيع الغابة رواية تفتح نافذة على التراث

وتبرز تناقضات العالم

نشوة أحمد

لعبت الحيوانات دور البطولة في العديد من السرديات الأدبية، في التراث العربي وفي الأدب العالمي أيضاً، فقد استنطقها الكتّاب مراراً، لا سيما في كتاب «كليلة ودمنة» الذي ترجمه عبد الله بن المقفع في العصر العباسي من الفهلوية إلى العربية، وكذا في رواية «مزرعة الحيوان» للكاتب البريطاني جورج أورويل، ورواية «المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية» للكاتب اللبناني أمين الريحاني... وقد تشاركت هذه النصوص وغيرها من الأعمال الأدبية، التي كان أبطالها وشخوصها المحورية من الحيوانات؛ غاية رئيسية، هي الإسقاط على الإنسان، وطرح قضاياه في قالبٍ، رغم ما يتسم به من رمزية، فإنه دائماً ما يكون الأكثر جاذبية وتحقيقاً للأثر. وفي روايته «ربيع الغابة» يمنح الكاتب الإماراتي جمال مطر بطولة جديدة للحيوانات، فكانت شخوصه المحورية هي؛ الفأر، الأسد، النمر، الجمل، البقرة، الحية، الفهد... كما يستدعي صورة المدينة الفاضلة، ويسعى عبر بنائه إلى تمرير رؤى حول النفس الموسومة بالعطب، وما يمكن أن تلحقه بتلك المدينة الفاضلة من فوضى واضطراب، يزلزل استقرارها وينال من سلامتها.

حميمية وموضوعية

شرع الكاتب رحلته بتجهيل البطل، ولفه بغلالة من الضبابية والغموض، فضمن الإمساك بقارئه منذ اللحظة الأولى للسرد، عبر حيل الاستباق والتشويق. ومزج بين أساليب عديدة للحكي؛ فانطلق من أسلوب الخطاب الذي أتاح للبطل رؤية ذاته من الخارج وتقييمها، وسرعان ما تحول ضمير المخاطب إلى ضمير المتكلم في سرد ذاتي؛ أتاح إمكانية استجلاء الأزمات التي تحتدم في العوالم الداخلية للبطل، على نحو أضفى على النص المزيد من الحميمية والصدقية، ثم تحولت الدفة مرة أخرى إلى راوٍ عليم استأثر بصوت السرد حتى نهاية الرحلة، محققاً غاية الكاتب في بلوغ الموضوعية، وشمولية الرؤية، بينما ظهرت أصوات بقية الشخوص عبر المساحات الواسعة والكثيفة من الحوار، التي امتدت على طول خط السرد.

أرجأ الكاتب الكشف عن هوية بطله في مفاجأة للقارئ، إذ تبين أنه فأر قبيح، يعاني تبعات قبحه؛ من تجاهل واحتقار حيوانات الغابة له، لا سيما حبيبته. ما دفعه لممارسة الحيلة، من أجل الانخراط في مجلس الملك «الأسد» ورفقته. واستغل عدل الأسد وسماحته، وكذا شقاق الحيوانات وانقساماتها، وجنوحها إلى النكايات والمصلحة الفردية؛ لتحقيق مآربه في الصعود إلى الحكم، وإزاحة الحاكم العادل، مستخدماً الأغلبية، وحيلة الديمقراطية، التي لم تُفرز إلا الأسوأ. «حاولوا هم الحفاظ على ما تبقى من أخلاق واحترام رأي الأغلبية، وإعطاء المساحة للحرية. ما كان يزرعه مليكهم كانوا هم من يسقون زرعه، ويولونه الرعاية والاهتمام، وهو أمر جميل، ولكن بهذا المبدأ أيضاً فُقد العرش، ووصل إلى أقبح مخلوق في الغابة». ص 97

في روايته «ربيع الغابة» يمنح الكاتب الإماراتي جمال مطر بطولة جديدة للحيوانات، فكانت شخوصه المحورية هي؛ الفأر، الأسد، النمر، الجمل، البقرة، الحية، الفهد... كما يستدعي صورة المدينة الفاضلة، ويسعى عبر بنائه إلى تمرير رؤى حول النفس الموسومة بالعطب

ثنائيات متقابلة

وعبر أطراف الحكاية أبرز «مطر» العديد من الثنائيات المتقابلة، التي تراوحت ما بين الخير والشر، الزهد والطمع، القبح والجمال، الخيانة والوفاء. والتي أذكت بدورها الصراع في النص لا سيما الصراع الخارجي، الذي جسده الفأر والموالون له من جهة، والأسد والموالون له من جهة أخرى. وعبر هذا الصراع أبرز الكاتب رؤاه، حول قوة العقل في الحسم، وقدرته وحده على الفوز والانتصار في المعارك. كما أبرز مستوى آخر من الصراع الداخلي الذي احتدم في دواخل البطل، وثنايا النفس المأزومة، فانقسم بين نوازع رديئة من الشر والطمع، وبين الندم والأسف والشعور بالذنب. ولإبراز هذا المستوى من الصراع؛ لجأ الكاتب إلى تيار الوعي، وعمد لاستخدام تقنية المونولوج الداخلي.

«صار يعاتب نفسه على أفعاله، ويتساءل: ماذا فعلت! أهكذا بكل سهولة تعزل الملك! أيعقل أن تتحرش بالفأرة، وتعيث فساداً في الأرض؟ هذا ما استحققته إذن؛ كائن مثلي دائم الحركة لا يرضى بالدنيا العريضة، وتكون نهايته حفرة! يا إلهي ما خرجت من هذه اللعبة إلا بسواد الوجه!». ص 104

نافذة على التراث

شرّع الكاتب نافذة على التراث، عبر ما استدعاه من موروث شعبي، يلصق خصال بعينها ببعض الحيوانات، مثل إلصاق المكر بالثعلب، والتلون والغدر بالحية، والسرعة ونقل الأخبار بالحمامة، والوفاء بالجمل. كما استدعى النمر بالصورة التي ترسخت عنه في الموروث الثقافي العربي، واعتباره رمز القوة والشجاعة والصلابة والإقدام، فلم يقبل الخيانة ونبذ الخائنين، وكان أوّل من وظّفه ملك الغابة في تتبع الشر والقضاء عليه. كذلك وظّف الكاتب الثيمة الشعبية الموروثة من العداوة بين القط والفأر في خدمة النمو الدرامي للأحداث.

وعمد إلى التناص المباشر وغير المباشر مع الموروث الديني في أنحاء متفرقة من النسيج «فأسرها الثعلب في نفسه». ص 114

«من يا ترى حفر حفرة للفيل فوقع فيها». ص 152

كما استدعى بعض المأثور من القول «من سار على الدرب وصل». ص 80،

«هذا ما جناه على نفسه ولم يجن عليه أحد». ص 103

حمل النص العديد من الحمولات المعرفية حول طبيعة بعض الحيوانات وسلوكها، مثل ميل الخرتيت للعزلة والانطوائية، وطول فترة الحمل لدى الزرافة، ورقة الفيل ورحمته بالضعيف، ولعبة الموت التي تعمد إليها بعض الحيوانات للهروب من المفترسات، والنجاة من الموت عبر التظاهر به. وقد وظف الكاتب هذه الحمولات في خدمة الأحداث، فبدت جزءاً أصيلاً من النص، غير زائد، ولا مقحماً عليه.

تقنيات وحيل

عمد الكاتب إلى استخدام بعض التقنيات السينمائية، مثل عين الكاميرا، وأضفى عبرها سمات بصرية على سرده، نقلت النص من حيز القراءة إلى حيز المشاهدة. كما تمكّن من استنفار الحواس، على نحو عزز من أثر السرد بما يضمن مزيداً من التماهي مع النص. «دمدمت ريح قوية عاتية من فجوة بين التلال، اقتلعت كل أخضر سريع وهي تجري مسرعة، حاول اتقاءها، زحف إلى الشجرة الكبيرة يستجير بها من عواتي الريح». 163

وكما استدعى تقنية عين الكاميرا من السينما، استدعى الديالوج المسرحي وعزز من خلاله حالة الإيهام بالحدوث، لا سيما وقد كسا النسيج بغلاف من الغرائبية والفانتازيا. ولم يُتح الحوار مزيداً من الإيهام بالحدوث وحسب، وإنما أتاح إلى جانب تقنيات الوصف «في مستواه التفسيري»، استراحات ووقفات سردية، أتاحت بدورها للقارئ، فرصة تأمل ما دفع به الكاتب من فلسفات ورؤى.

كما استدعى «مطر» الحلم، واستفاد منه في تعزيز الصبغة الغرائبية للسرد، وكذا في تفسير واستجلاء أسرار اللاوعي، وما يختبئ في أعماق الشخصية المحورية «الفأر»، فكان حلمه ببلوغ القمر مع حبيبته ممتطياً ظهر النمر، تفسيراً لشعوره بالدونية وطموحه في العلو والارتقاء، أما حلمه بالتهام الحية له، وعصرها إياه حد تكسر عظامه، فلعب عبر ما مثله من نبوءة واستبصار، دوراً في التمهيد للاحق من الأحداث، ولما سيؤول إليه مصير الفأر.

ثيمة التحول

برزت ثيمة التحول كواحدة من الثيمات الرئيسية للنص، إذ اكتست به الشخوص والأحداث، فالفأر القبيح الفقير اعتلى بالخبث والحيلة سدة الحكم، ثم أصبح ملاحقاً وطريداً، ثم اعتلاه مرة أخرى، ثم آل إلى السقوط. وتحولت انحيازات بعض الحيوانات من الموالاة للأسد، إلى الانصياع للفأر، انتصاراً لغرائزها ورغبتها قي القنص. وقد أضفت هذه التحولات مزيداً من الدينامية والحيوية للسرد، كما مرر الكاتب عبرها رؤى ضمنية حول تقلبات الدهر، وحول ما تجلبه الخيانة من خزي وعار. وقد اتسمت العديد من الرؤى التي مررها الكاتب ضمناً بنزوع إلى الحكمية، وكان أبرز تلك الرؤى أن عظيم الأعمال لا يكون إلا في مساعدة الآخر ومد يد العون له، وأن مظلة العدل وحدها تتيح التعايش رغم الاختلاف، بينما الصراخ هو حيلة العاجز، ولا يكون إلا عند تباعد الأجساد، أو الأرواح والعقول. وأن الوهج كما الحياة؛ دائماً إلى أفول.

كاتبة وصحفية مصرية

رباعيات روحانية

شعر: الدكتور شهاب غانم

لك الحمد يا ربّاه أنت المقدّرُ
وأنت الذي تمحو الذنوب وتغفرُ
وأنت الذي تَهدي فتى في ضلوعه
ترفرف دوماً راية «الله أكبرُ»
وأنت الذي تُهدي لنا كلّ نعمة
وأولها أنّا نذوق ونبصرُ
ونصغي لآياتٍ ونلمس مخملاً
ونستاف أنّى فاح عطرٌ وعنبرُ

أعوذ بك اللهم من كلِّ نزوة
ومن كلِّ شيطانٍ وكلِّ فسادِ
أقاومهم جمعاً مع الطينِ بالحجا
وبالروح والآيات والأورادِ
فأغلبهم حيناً وقد يغلبونني
ولكنْ يتوب القلبُ بعد جهادِ
فياربُّ هبني نجدةً بعد نجدةٍ
لأبقى دواماً في صراط رشادِ

إلهي الذي لا ربَّ في الكونِ غيره
وليس إله في الوجود سواهُ
هو الأول الفرد الذي أوجد الدنى
وكلٌّ سيفنى في الوجود عداهُ
فلا خالقٌ إلّاه مهما تشككوا
وصلّوا لما قد أوجدته يداهُ
فأصنامهم أحجاره أشركوا بها
وفي ظلماتِ الكفرِ كم قد تاهوا

«البَوُّ» و«المِجْدَارُ» من حيل التراث العربي
في الخِدَاعِ البَصري والرِّضَا النَّفْسِي

محمد محمد عيسى

يُعد الخداع البصري مصطلحاً حديثاً جداً بمقارنته بكثير من مفاهيم تمّ التعرف إليها قديماً وهي تؤدي إليه في الغالب، ولكن لم يُصطَلح عليها إلا مؤخراً، مثل كثير من المكتشفات الحديثة التي اعتمدت التجربة والاستنتاج آلية للاصطلاح. وعلى الرغم من تعدد استخدامات الخداع البصري في كثير من شؤون الحياة؛ فإنّ من أهم الأهداف المرجوّة منها خلق انطباع معين يحقق مكتسبات نفسية واستراتيجية. وقد حاولت بعض الشعوب قديماً إيجاد بديل يقوم مقام المفقود أو الغائب، حتى تتوصل إلى تعويض يُرضي النفس ويحمي مقدَّراتها. وقد توصلت العرب قديماً إلى إيجاد حيلة أو وسيلة لتعويض (الناقة) التي فقدت فصيلها بأن أقاموا مقامه ما يُخَيِّل إليها أنّه ما زال حياً؛ فصنعوا لها (بوّاً)، و«البو: جلد الخُوار يُمْلَأ تبناً أو حشيشاً وَيقرّب إِلَى أمه لترأمه فتدرّ عَلَيْه»[1]، ويُقالُ: «جَلَدتُ البَوَّ تجليداً أي حشوته بالتبن»[2]، «والجَلَدُ والجِلْدُ: ما تُعْطفُ عليه الناقةُ فَتَرْأَمُه. وشاةٌ جَلَدٌ وجَلَدَةٌ: إذا ماتَ وَلَدُها»[3].

وجاء في الإبانة[4] «والبَوُّ... جلدٌ يُحشى فتعطفُ عليه الناقة بشمه». قال الفرزدق:

تَحِـــــنُّ بِرَوْرَاءِ المدينـــةِ نَاقَتِـــي
حَنِينَ عَجُـــولٍ تَبْتَغِي البَـوَّ رائِـــمِ

وقولهم: فلانٌ بَوٌّ، معناه أنه ذو جسم وطلل وليس له باطنٌ ولا عقل. والبوُّ عند العرب أن يُذبح الفصيل فيسلخ برأسه وقوائمه ثم يُحشى تبناً لتعطف عليه أمه وتشمه ولا تنكره وتدرّ عليه حتى لا ينقطع لبنُها. قالت الخنساء:

فَمَـــا عَجولٌ علـــى بَوٍّ تُطِيـــفُ بِـــهِ
لهـــا حَنِينـــان إصغـــارٌ وإكبـــارُ

ويُرْوَى:

فَمَـــا عَجـــولٌ على بَوٍّ تُطِيـــفُ بِـــهِ
قد ساعدتهـــا على التَّحنـــانِ أظـــآر

(و) العجولُ من الإبل: الوالهُ التي فقدت ولدها... وأظآر واحدها ظئر، وهي التي تعطفُ على ولدٍ ليس لها».

فيبدو البوُّ وكأنَّه حي. يُستخدم لتغذية الناقة التي فقدت صغيرها، حيث يُعزز ارتباطها النفسي به ويُحفزها على الاستمرار في إنتاج اللبن. بهذا الشكل، يحقق (البوُّ) غرضين رئيسيين، هما: تعويض الفقد وتعزيز الحياة.

فليس البوُّ مجرد وسيلة لتعويض الفقد، بل هو أداة تساعد على التكيّف مع الفقد، تعكس قدرة الكائنات على التكيف والتعافي من الأزمات والمصاعب.

المِجْدَارُ/ جِنْدِيُّ الْمَقَاتَة

وكما توصلت العرب إلى إيجاد حيلة لكي تواصل بها الناقة إدرار لبنها وإرضاء نفسها؛ فقد صنعوا المجدار أيضاً، والمِجْدَارُ أو (جندي المقاتة) هو عبارة عن هيكل أو خيال مصنوع من الأحطاب أو مواد مشابهة، يُستخدم لإبعاد الناس أو الحيوانات عن مكان معين. ويُستعان به كأداة للتحذير والتنبيه، ويُعدُّ من الوسائل التقليدية التي استُخدمت في العديد من الثقافات لأغراض متعددة. وقد عرفت العرب المِجْدَار قديماً مثل البو، وجاء في (أساس البلاغة) للإمام الزمخشري: «ونصب خيالاً في مزرعته وهو الفزاعة»[5].

وجاء في (شرح ديوان الحماسة) للتبريزي في بيان معنى (المِجْدَار)، الوارد ذكره ضمن قولٍ، في باب مذمة النساء:

إصْرِمِينِي يَا خِلقةَ الْمِجْدَارِ
وَصِلِينِي بِطُولِ بُعدِ المزارِ

والمِجْدَارُ مَا يعْمل لطرد السِّبَاع فِي الْمزَارِع، فَإِذا نُصب قَائِماً نفرت مِنْهُ، وكُنّي بِهِ عَن الثّقل والغِلَظ وَإِنَّ كل إِنْسَان ينفر مِنْهَا»[6]. وجاء في معجم «متن اللغة» أنَّ «المِجْدَار ما يُنصب في الزرع مزجرةً للسِّباع والطير»[7]، وعرَّفه أحمد تيمور، في معجمه الكبير في الألفاظ العامية، بأنَّه «ما يُقام شبه شخص ليفزّع الطير»[8]. كما عُرف بعد ذلك باسم (جندي المقاتة)، وتعدَّدت الاستخدامات التي من شأنها صُنع جندي المقاتة.

ففي الحقول الزراعية، يُستخدم جندي المقاتة أو الفزاعة لإبعاد الطيور والحيوانات عن المحاصيل. وهو يُصنع عادة من ملابس قديمة محشوَّة بالقش أو أي مواد أخرى، ويُوضع في مكان بارز في الحقل.

كما أنَّه في بعض الأحيان، يُستخدم جندي المقاتة لإعطاء انطباع بوجود حراسة أو مراقبة في مناطق معينة، مثل المخيمات أو الممتلكات الخاصة، ويمكن أن يكون ذلك لردع اللصوص أو المتطفلين.

كما يُمكن استخدام جندي المقاتة كإشارة تحذيرية في مواقع البناء أو الأماكن الخطرة لتنبيه الناس بضرورة الابتعاد عن المنطقة.

التقاليد والثقافات

في ظل الحاجة يستطيع كل إنسان في بيئته إنتاج وصناعة حيلته التي من خلالها يأخذ الأبصار ويرضي النفوس، وفي الوقت ذاته يحمي مقدراته من العبث واللصوص. وفي العديد من الثقافات، يُعتبر جندي المقاتة رمزاً شعبياً يظهر في الفلكلور والأدب. مثلاً، في الثقافة الغربية، تُعد الفزاعة شخصية معروفة في القصص والخرافات.

وعادة ما يُصنع جندي المقاتة من مواد متوافرة مثل: الخشب، والقش، والملابس القديمة، وأحياناً تُضاف عناصر أخرى لجعله يبدو أكثر واقعية، كما يتم تصميمه ليشبه الإنسان قدر الإمكان، وذلك لتعزيز تأثيره في إبعاد الطيور والحيوانات، وقد يكون له قبعة، وملابس، وذراعان ممدودتان.و(جندي المقاتة) أو (المِجْدَارُ) هو مثال رائع على كيفية استخدام أدوات بسيطة ومواد متوافرة لخلق حلول عملية لمشكلات يومية، من خلال الجمع بين الإبداع والتقنيات التقليدية.

كذلك يعكس استخدام (البَوّ والمِجْدَار) في تراثنا العربي قدرة هذا المجتمع قديماً على التكيّف مع الظروف الصعبة في استخدامه الحيل البصرية لتحقيق الأهداف. كما أنّ القدرة على التكيّف، تعكس المرونة التي تولدها الحاجة ودوافع الابتكار في إيجاد حلول للمشكلات.

كما تُعلِّمُنا تجربة (البَوّ) في التراث العربي أهمية الإبداع في مواجهة الأزمات، بدلاً من الاستسلام للفقد؛ حيث تلهمنا إلى البحث عن حلول لتعويض الفقد والاستمرار في الحياة، كما أنها تعزز الفهم الجماعي لأهمية الابتكار والتكيّف في مواجهة التحديات.

هذا فضلاً عن الأهمية الاستراتيجية، حيث يساعد إعمال الذهن في إنتاج البدائل في الحفاظ على الإنتاجية وبالتالي موارد المجتمع، كما أن التفكير في تعويض الفقد والأمن بالبحث عن آليات مناسبة يحمي كذلك المقدرات الاقتصادية والاجتماعية؛ إذ يضمن استمرار الإنتاج ويحدّ من الخسائر ■

كاتب وناقد مصري

الهوامش والمراجع:

1. ابن دريد: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، لبنان، 1987م، 1 / 76.
2. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ت)، 6 / 81.
3. الصاحب، إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط 1، بيروت - لبنان، 1994م، 7 / 46.
4. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة، ط 1، مسقط - سلطنة عُمان، 1999م، 2/ 267.
5. الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت - لبنان، 1998م، 1/ 275.
6. التبريزي: شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، لبنان، (د. ت)، 2/ 418.
7. أحمد رضا: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1377- 1380هـ، 1/ 487.
8. أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور: «معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية»، تحقيق: حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية، ط 2، القاهرة، مصر، 2002م، 3/51.

الفنون في الأندلس

نورة صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

ازدهرت الفنون في الأندلس ازدهاراً كبيراً ولم تكن الفنون في الأندلس مستقرة في تألقها بل توقف ازدهارها تبعاً لسياسة الخليفة ومنهجه في الحكم. عبد الرحمن الداخل (756 - 788م) - أول حاكم أموي في الأندلس - يهيّئ استقراراً سياسياً واقتصادياً يسمح بازدهار الفنون في قرطبة، بدأ بتوثيق قوانين تحفظ السلام بين الأحزاب المتنازعة، ووضع ميثاقاً يوحد بين البربر والعرب والمستعربين والإسبان، وبعدما نجح في توطيد الاستقرار السياسي، وأسس سفارات دبلوماسية وتجارية، وبدأت تزدهر الأنشطة الفنية والأدبية، فلمع الكثير من الفنانين واشتهرت الملحنة والمغنية غفرة، وهي مغنية القصور. ولشدة شوق عبد الرحمن الداخل وحنينه إلى دمشق، طلب استقدام مغنيات من أرض دمشق، فأُرسلت له الشاعرة والمغنية العجفاء، كما اهتم عبد الرحمن بقرطبة فأمر ببناء النوافير العامة أيضاً وتشجير المدينة وجعلها بستاناً من جنة خضراء.

أما الخليفة هشام بن عبد الرحمن (788 - 796م)، فقد انشغل في فترة حكمه بالقضاء على الثورات الداخلية. واشتغل بتأمين البلاد من الهجمات وأهم قرار أصدره هو بناء المساجد وأهمها مسجد قرطبة ولم تأخذ الفنون حيزاً كبيراً في عهده. وكان الخليفة الحكم الأول - الحكم بن هشام (796 - 822م) - يواجه تحديات كثيرة، وخاصة تلك القادمة من هجمات الشمال، بالإضافة إلى ثورات داخلية، وحركات تمّرد قادمة من طليطلة ومن الجيش البربري، إلا أنه استطاع أن يخمد هذه الثورات والهجمات كلها. وكان يقدِّر الأدب والعلم والفن وينفق بسخاء كبير على أنواع الفنون كافة. فأخذت الموسيقا تحتل مركزاً سامياً في قصور قرطبة، واشتهر مغنون منهم: العباس النسائي، والمنصور المهدي، وعلون، وزرقون.

وكان عباس بن النسائي عميد الموسيقيين في بلاط الحكم الأول يتغنى بالقصائد التي كان يؤلفها، ويأتي بعده المنصور(اليهودي) وهو موسيقار الحكم الأول الذي أُرسل لاستقبال الموسيقار زرياب .

أما الخليفة عبد الرحمن بن الحكم الثاني (822 - 852م). فقد أعلن سياسة التسامح وحرية ممارسة الشعائر الدينية بين العقائد الثلاث، وبُنيت المساجد والكنائس والمعابد. وكانت أجواء التعايش السلمي وحرية المعتقد هي السائدة في عهده. واستطاع أن يخمد حركة التعصب الديني الإسلامي والمسيحي. وحقق التوازن السياسي والاجتماعي والاقتصادي في البلاد، فقرّب منه كلاً من العلماء والأدباء وشيوخ الدين شرط ألّا يتدخلوا، ولا يفرضوا سلطانهم على أهل الفن. وأخذت مكانة الفنون تزدهر وجرى إثراء الجانبين الفني والثقافي في قرطبة، وعُرف عهده بالعصر الذهبي. اهتم الحكم الثاني بالزراعة فأمر ببناء الحدائق والأسوار والقلاع العظيمة في البلاد وازدهرت الصناعة والتجارة. وأنشأ المعهد الموسيقي المعروف بـ «معهد زرياب» الذي استقطب زواراً أجانب من أنحاء أوروبا كلها، وظل المعهد قائماً يستقطب الطلاب من أرجاء العالم كافة.

الخليفة عبد الرحمن الثالث (912-961) حكم مدّة طويلة قاربت الخمسين عاماً! أطول مدّة حكم في تاريخ الخلافة الأندلسية. ورث من أجداده حكماً مزدهراً. أرسلت إليه سفارات عديدة من أوروبا لتعقد معه معاهدات صداقة. وجّه الخليفة عناية كبيرة للنواحي الثقافية والجمالية في قرطبة، واستقطب أمهر المهندسين والفنانين فأمر بتشييد العمران على الطراز الدمشقي والمغربي. أنشأ منتزهات وزينها بأجمل الأزهار والنوافير. وأهم المدن التي تأسست فيه عهده ومازالت قائمة حتى عصرنا هذا مدينة الزهراء، التي جعلها عاصمة قرطبة. اشتهر عصره بتوافد الملحنين والمغنيات واستقطب أمهرهم في القصور، ومنهم أنس القلوب وبديعة.

عبد الرحمن الثالث الكبير الملقب باسم الحكم الثاني (-961 976)، ورث حكماً مستقراً سياسياً ووجّه عناية كبيرة لإثراء الجانب الثقافي. فقد أنفق أموالاً كثيرةً في سبيل اقتناء كتب من القاهرة وبغداد ودمشق، وذكر جورج فارمر بأنه هو من أرسل مبعوثاً خاصاً للأصفهاني في حلب لتجميع نسخة من كتابه القيم المتعلق بتاريخ الفن الذي يعرف باسم «الأغاني». اهتم عبد الرحمن الثالث بالفنون وكان يستدعي في القصر المهرة من الملحنين والمغنين ومن بين من استدعاهم من مدرسة زرياب، صبح البشكنجسة التي أصبحت زوجته فيما بعد. استطاع أن يؤسس أضخم مكتبة تضم نحو ستمئة ألف كتاب. وذلك بدافع حبه للعلوم والآداب فقد جمع في مكتبته أكثر من أربعمئة ألف مجلد يشتمل على العلوم كافة. ويقال بأنه قد قرأها كلها وعلّق عليها وقد أنشأ دوراً خاصة لتجليد الكتب والاعتناء بها. فارتفع شأن العلم في عهده ووفد العلماء والباحثون والفنانون إلى قصره. فأنشأ مجلساً خاصاً للعلماء والمثقفين للتداول والبحث والمناقشة في مضامين الكتب.

إشبيلية عاصمة الفن والثقافة كان أمراؤها يكرمون وفادة الفنانين والموسيقيين وكانت القصور تعج بالموسيقيين والشعراء كما أن إشبيلية كانت مركزاً لصناعة آلات الموسيقا، وذكر الفيلسوف ابن رشد، أن إشبيلية كانت مركزاً لصناعة الموسيقا» فقد كانت تسمع الآلات الوترية كالعود والطنبور والمزامير وغيرها من الملاهي في أنحاء المدينة». وبرز كثير من الملحنين والشعراء أمثال أسحاق بن سمعان اليهودي من قرطبة الذي اشتهر بتأليف الألحان، وكذلك أبو الحسين علي بن الحمارة الذي كان شاعراً موسيقياً، وبرع في تأليف الألحان، وكان يصنع الأعواد. أما عبد الوهاب حسين بن جعفر فكان من أفاضل العازفين والمؤلفين للشعر. ووصف الكثيرون المكانة الفنية العظيمة لإشبيلية وما وصلت إليه من تطور وازدهار في جميع أمورها الاجتماعية والحياتية والثقافية والفنية والعمرانية والعلوم فكانت حاضرة الدنيا في ذاك العصر، وقد جُلب كثيرٌ من الفنانين من بغداد ودمشق ومن بينهن المغنية قمر وكانت حاذقة في تأليف الألحان والقصائد، وتملك من الفصاحة وسعة الاطلاع الباع الطويل، وكانت تجيد العزف على آلة العود، استقدمها أمير إشبيلية إبراهيم بن الحجاج من بغداد. ومن أهم الشعراء الذين استقروا في إشبيلية الشاعر ابن زيدون، الذي دوّنت صفحات التاريخ قصة حبه للولادة بنت الخليفة المستكفي بالله وكانت إحدى أهم شاعرات قرطبة وكان لها مجلس خاص تستقبل فيه الشعراء بقرطبة ■

المصادر والمراجع:

1. عبد المحسن طه رمضان، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الفكر، الأردن، عمّان، الطبعة الأولى، 2010.
2. دومينيك أورفوا، ابن رشد طموحات مثقف مسلم، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، ترجمة محمد البحري، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2011.
3. الدكتور خالد الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا، منشورات الجمل، بيروت، لبنان،2011.
4. نورة صابر المزروعي، زرياب مبتدع فن الإتيكيت، مجلة الموسيقا العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 31 أيار2020.

قراءة في رواية «ريما بالي»

«خاتم سليمى».. طرح علاقة الثنائيات والتناقضات

خالد عمر بن ققة

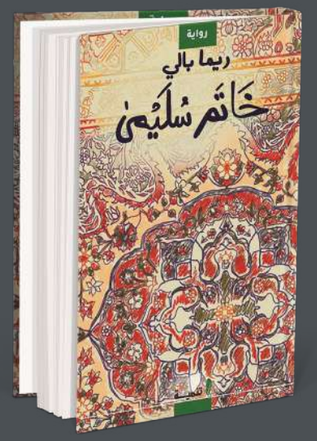

ترحلُ الأماكن معنا حيث نرحل، فتسكننا على مستوى الذكريات والمشاعر، وتحملنا ما لا طاقة لنا به في ظل التغيرات الجديدة، ومع ذلك نجد أنفسنا متجاوبين معها بشكل هو أقرب إلى الطاعة بمعناها القيْمي، وليس نتيجة للحاجة فقط.

والأماكن في أُلْفَتِها، كما هي في توحّشها وطغيانها، تعيد رفع أصواتها عبر نفوس لها حمولتها الثقافية والتراثية، حتى لو حاولنا تجاهلها أو كتمها، استجابة لمتطلبات الزمن الحالي في تجسيده لحركة الحياة البشرية، وما تحمل داخلها من قيم ومواقف.

الأمر ذاك، يؤدي أحياناً إلى محاولات يائسة للتخلص منها، خاصة عندما نصير إلى أمكنة أخرى جديدة، ونَغْدُو جزءاً منها بحكم العلاقات القائمة بيننا وبين أهلها الأصليين، وإن كان هذا لا يحدث إلّا في نطاق ضيق، يسيطر فيه الزمان على المكان.

الحالُ تلك، قد تكشف لنا عن صعوبة التسليم بما نعيشه، وإذْ ذاك نجد أنفسنا في عجز - شبه كامل - ليس لأن الماضي يشدُّنا بحبال طويلة إليه فقط، وإنما لأن الحاضر بكل ما فيه هو نتاج واستمرارية أيضاً، وهو يتشكل بناء على ميراث مشترك قريب أو بعيد، يُعتبرُ في غالبيتِه استحضاراً للماضي بكل ما فيه من خلال الوقوف عند محطات بعينها في حياة كنا جزءاً من مكوناتها. هُنا وجب القول: إن البشر، عموماً، لا يملكون من أمر الماضي شيئاً، ليس لأن حركة الزمن في تدافعها وسيرها إلى أجلها غير المُسَمَّى عندنا فقط، هي مثل المستقبل من ناحية الحكم عليه أيضاً، ولكن لأنه في بُعده يخصُّ أقواماً وأمماً خلت - لها على المستوى المعرفي ما كسبت، وعليها ما اكتسبت - إلّا إذا نظرنا إليه من زاوية التفاعل، واعتبار أصحابه الغائبين أبطالاً، نقيم لهم وزناً، ونأتي عليهم ذكراً، ونسمع لهم ركزاً، ولهذا يتم التركيز على تجاربهم الماضية باعتبارها قصصاً من التراث الإنساني.

قصص البشر في ماضيها - مثلما هي في حاضرها - حتى لو كانت حديثاً يُفْتَرَى، أو ممزوجة بالخرافات والأساطير، أو تحكمها شهادات من التاريخ تتمتع بمصداقية عالية أو مزيفة، هي في النهاية جزء من حياتنا البشرية، علينا النظر إليها بهدف مواصلة السير، والتواصل عبر الحِقَب، وتثْوِير الموروث، إضافة إلى متعة نعيشها عند الكتابة والقراءة، على النحو الذي سنراه عند مجالسة هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

الخروج من «الشِّيْئِيّة»

من خلال جهدٍ مميز، يتجلى فيه الإبداع، تقدم لنا الكاتبة السورية «ريما بالي»[1] في روايتها «خاتم سُلَيْمى»[2] نصّاً ثريّاً بالجوانب الإنسانية الدالة والكاشفة عن التعايش مع الآخر، والاعتراف به حتى لو كان مُخْتلفاً، ضمن فضاء تجمعت فيه وتراكمت، واختلطت، التجارب الحياتية الإنسانية، في سياق كتاباتها الإبداعية كما هي في بعض أعمالها السابقة [3] عن هذه الرواية. تُساعدنا هذه الرواية، كما تُساعدنا الكاتبة ريما بالي، على البحث عن إجابات تبدو لنا ظاهرةً كلما توغّلنا في قراءة النص، وحاولنا وُلُوج عوالم أبطاله، وشخوصه بشكل عام، ذلك لأنها كما تراها المؤلفة: «رواية التساؤلات عن علاقة الثنائيات والتناقضات، الحب والجذور، التعلق بالوطن والتقاليد، التوق إلى المستقبل وصناعته، التمرد والانصياع، التمسك والتخلي»[4]. وتلك الثنائيات تتجلى في نوعين من الإجابات، الأولى: نابعة من نصّ الرواية، حيث يمكن للقارئ إدراكها من خلال القراءة، والثانية مُتوقَّعة من طرف القارئ أو هو صَانع لها.

في ذلك قد يلتقي القارئ مع المؤلفة، التي وصفت روايتها في حوار صحفي بأنها عبارة عن «بحث يدور حول حقيقة كل من تلك العناصر التي تحكم حياتنا، بل هي بحث في مفهوم الحقيقة بحد ذاته، وجوده من عدمه، وفي أجزائه، نقصانه واكتماله، وختاماً هي دعوة إلى صياغة أسطورتنا الخاصة وتحقيق النبوءات»[5]، وهذا يعني طرح فهم خاص، سيتعدد بتعدد رؤى الفاهمين، والقرّاء بشكل عام.

ولكون ريما بالي أشركت القارئ في عالم سردي تتنافس فيه الحقيقة مع الخيال حيناً، وتصطدم به أحياناً أخرى، فإنها جعلت من تسليمه بهذا العالم وقوانينه طريقاً إلى اكتشاف سرّ «الخاتم» العجيب، في علاقته بصَاحِبَتِه، ووجوده معها أو بعيداً عنها، لدرجة بدا فيه زمان ومكان الخاتم في بعض المحطات الكبرى والحاسمة مختلفين عن زمان البطلة ومكانها، لهذا يمكن اعتبار الخاتم أحد الأبطال الفاعلين في الرواية، ما يعني تحويل «المادي» إلى «معنوي»، وإخراجه من «الشيئية» إن جاز التعبير، إلى «الروحانية» من خلال الأحداث التي تمّت روايتها هنا.

من ناحية أخرى، فإن السرد بما حمله من تراث، ومن ماضوية، ومن علاقة بين البشر والأمكنة، ومن وصف للتفاعل بين الثقافات عبر حضور آسِر للفعل ومعبّر عنه بالمشاعر، أزال الحواجز الفاصلة بين عالم الأموات، الذين روت المؤلفة

قصصَهم في روايتها، وبين الأحياء الذين يستقون بقية حياتهم، أو يقارنونها بحياة السابقين، الذين لا جود لهم اليوم إلا على مستوى الذكريات، وأحياناً التذكر.

«حلب» هنا.. وهناك

ونتيجة لذلك، قد تنتاب القارئ - بعيداً عن الدراسة النقديّة- حالة من التفاعل مع أماكن الأحداث، أكثر من شخوصها، وخاصة مدينة حلب، وربما يكون ذلك ما سعت إليه المؤلفة بوعي كامل، ذلك أن تتبّع الرواية لِسِيَر ومصائر مجموعة من الشخصيات التي عاشت في مدينة حلب السورية مطلع الألفية الثالثة، يأخذ قوته وجاذبيته، وحتى واقعيته، في حال تخلينا عن البُعد الخيالي أو التأملي للأحداث، من كونه حديث الحاضر.. حاضر حلب، وفي دائرة أوسع حاضر سوريا، وهو بلا شك إن أردنا توسيع الدائرة سنجده يشمل العالم كله في هذه اللحظة الراهنة من عمر البشرية.

في هذه الرواية تبدو حلب هنا، وحلب هناك أيضاً، لذا علينا ألّا ننسى إقامة الكاتبة ريما بالي في إسبانيا هروباً من حرب في بلادها ظهرت بشاعتها القصوى في مدينتها حلب، وفي هذا السياق تقول ريما بالي: «أجنح في رواياتي إلى ربط مأساتي أو مأساة شعبي ببعض المآسي التي مرت في العالم، وأحياناً كلها، أريد أن أعلن إيماني العميق بأن الإنسان جوهره واحد، وإن اختلفت الثقافات والتطلعات ووجهات النظر، وأن ألفت الانتباه إلى أن العدو واحد أيضاً»(6).

وقول بالي هذا ينتبي بنا إلى شوق لمعرفة مأساة حلب، وبالتالي سوريا كلها، وهذا لا يخلو من مقارنة - إجبارية - بين زمانين، زمن ماضٍ وآخر حاضر، وما حملاه من معاني الوجود وقيم الحياة في السلم والحرب.

تُعرِّفنا الكاتبة بالي بحلب وتحبّبنا فيها، وحين نتفاعل معها، ويأخذنا الشوق إلى ماضيها، وننفر من حاضرها، نكتشف أننا رغم متابعة مأساتها خلال سنوات الحرب لا نعلم عنها إلا القليل، وربما يغيب على الكثيرين منا دورها التاريخي والحضاري، من ذلك احتضانها للآخر وتأثيرها فيه، مع أن ذلك ليس زمناً بعيداً من الناحية التراثية. ومع أن أحداث الرواية لا تتّخذ من حلب - زماناً ومكاناً - أفقاً وحيداً، وفضاء جامعاً لأحداثها، فإنها تؤسس عليه باعتباره الأكثر مرجعيةً وحضوراً، حتى لكأنَّ الكاتبة تهدف من روايتها إلى الحديث عن حلب من منطلق «الاحتواء الجمالي والإنساني»، كما هو في ماضيها القريب، وفي غدها المنتظر بعد أن تضع الحرب أوزارها.

وتزامناً مع ذلك، تلوّح المدينة من قريب، ومن بعيد أيضاً، بإشارات حلبيَّة، ترافق صوتها الذي لم ينقطع، ولم يغب، وهنا

كما تقول «شام مصطفى»: «ينهض السَّرد في خاتم سُليمى بالتّناص مع مرويات تراثية وتاريخية، وبمحاكاة أحداث واقعية شهدت عليها مدينة حلب»(6).

ثُلاثيَّة الحب

لقد تمكّنت الروائية ريما بالي من توظيف المرويات والأحداث. كما تقول شام مصطفى، بشكل لافت للانتباه في البناء السردي لحكايتها الغرائبية عن ثلاثية الحب التي جمعت بين بائعة التحف «سلمى العطار» أو«سيلين» كما سمّاها والدها، والموسيقار والمستشرق الإيطالي «سيليفو كارولوني» أو«شمس الدين»، والمصوّر الإسباني «لوكاس أورتيز».

من ناحية أخرى، فإن الكاتبة طرحت فكرة يُروِّج لها دُعاة الحوار والتعايش والتسامح بين الأديان، أو بالأحرى بين أصحاب الكتب السماوية، من خلال طرح - ضمن تشابك أراه مقصوداً- قصة المصور الإسباني اليهودي «لوكاس» وعشيقته» «لُولاً» والتقائها بقصة «سلمى» في فضاءات مكانين، هما: حلب و«توليدو»، والذهاب بالقصتين السابقتين إلى فضاء مشترك، حيث علاقة سلمى المسلمة بالموسيقار الإيطالي «كارولوني» المسيحي المعروف بشمس الدين، وكل هذا يتم في أجواء من الصوفية باعتبارها مدخلاً لقبول الآخر من منطلق ديني.

نخْلُص من هذا كله، إلى أن هذه الرواية، قد يُنْظر إليها ضمن الكتابات الإبداعية - خاصة في عالم الرواية - التي ترى في الرجوع إلى الصوفية اليوم منفذاً للخروج من التعصب الديني، والقبول بالآخر، ناهيك على أن طرح الصوفية كبديل عن إسلام جمعي رسمي، أو مؤسسي أو حتى تنظيمي، يُشرْعِنُ في الوقت الراهن إلى ميْل الكفة لصالح التديُّن الشعبي، بما فيه ذلك الذي يعود في ميراثه - خاصة الشفاهي - إلى زمن بعيد.

في النهاية، ومع الاعتراف بمتعة قراءة هذا النص، فإن المؤلفة تمكَّنت من جعل «خاتم سلمي» - بنسختيه - سواء تلك التي أهدتها لشمس الدين (سيليفو كارولوني)، وأطلقت عليها اسم «خاتم سليمان» أو التي احتفظت بها لنفسها وجعلتها لا تفارقها وسمّتها «خاتم سُليْمى» رابطاً قوياً بين حاضر شخصيات الرواية وأزمنتها الأخرى المختلفة، والأكثر من ذلك اختصرت فيه تاريخ مدينة حلب بكل ما احتواه من أثار للناس، لا تزال باقية إلى اليوم شاهدة على صمودها أمام عواصف الزمان، حتى لو كان الحاضر يعجّ بقتل أهلها، وتدمير مبانيها، وهلاك حرثها وضرعها، باعتبارها ممثلة لسوريا كلها.

بقي هنا أننا نُشاطر الدكتور منير الحايك عند قراءته للرواية، حين قال: «قضايا كثيرة طرحتها الرواية، علاقة الأبناء بأهلهم، الزواج والتزاماته، الأحلام والطموحات، الحرب والوطن، ولعلّ أبرزها قضية الحبّ، وتعريف الحبّ، وكيف نحبّ، ومتى نعرف بأننا أحببنا.. خاتم سُليمى، رواية الحبّ والحرب، رواية العجائبية والأحلام، رواية الأهل والأبناء، ولكنها بشكل قوي، رواية الأسلوب»(7).

كاتب وصحفي من الجزائر

الهوامش والمراجع:

1. «ريما بالي».. كاتبة سورية، ولدت في حلب عام 1969م، ودرست في جامعتها، كلية التجارة والاقتصاد، عملت في مجال السياحة والفنادق (مدير عام فندق تراثي في حلب القديمة)، عاصرت الحرب (الأهلية) في بلادها خلال سنواتها الثلاث الأولى، وغادرت سوريا عام 2015م، تقيم حالياً في مدريد في إسبانيا.

2 . رواية «خاتم سليمى» وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2024م.. لمزيد من التفصيل، انظر:
. ريما بالي، خاتم سُليْمى، الطبعة الثالثة، تنمية، القاهرة، 2024م.

3 . من ذلك على سبيل المثال روايتها، الأولى: «ميلاجرو» (المعجزة) الصادرة عام 2016م.. تحكي قصة وطن وقصةَ حب بدأت في حلب السورية وانتهت في النمسا بين «لميا» و«جيرارد».

4 . بثينة الخليل، ريما بالي: ترشيح روايتي لجائزة البوكر العربية إنصاف لمعاناة مدينتي العظيمة حلب، موقع التلفزيون السوري، 13 يناير 2024م، على الرابط:
https://www.syria.tv

5 . المرجع السابق نفسه، بتصرف.

6 . شام مصطفى، رواية «خاتم سليمى» لريما بالي.. فصول متقلبة عن الحب وحلب، (الجزيرة نت) 18/3/2024م.. على الرابط:
https://www.aljazeera.net/culture/2024/3/18/

7 . الدكتور منير الحايك، قراءة في رواية «خاتم سليمى» لريما بالي، جريدة الديار، 03 مارس 2024م.. على الرابط:
https://addiyar.com/article/2158642-

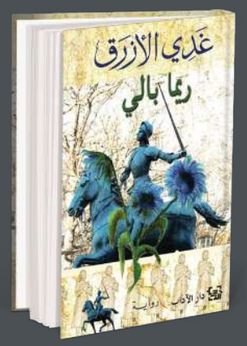

النظريات الاجتماعية: من رؤى الحالمين إلى اختبارات الطامعين

شريف مصطفى محمد
كاتب مصري

منذ بزوغ وعي الإنسان بالوجود وسيادة الجنس العاقل (الهومو سابيانس) على بقية الأنواع، امتلك الإنسان ما حقق له السيادة: امتلك الخيال. فالكائنات كلها تمتلك عقلاً بدرجات متفاوتة وقدرة على التفكير والتعلّم، لكن يبقى الإنسان العاقل هو الكائن الذي حقق السيادة على الأرض، رغم ضعف بنيته الجسدية مقارنة بالكثير من الكائنات. جاءت هذه السيادة من قدرته على التخيل وصناعة صور ذهنية غير مادية، ومن ثم ترجمة تلك الصور إلى واقع ملموس. فقد جسّدت له هذه القدرة إمكانية حل المشكلات التي يواجها من خلال تصورات ذهنية خيالية، واستطاع في الخطوة التالية تحويل هذا الخيال إلى واقع ملموس، ما أتاح له تطوير الاختراعات التي أوصلتنا إلى العصر الحديث، عصر الذكاء الاصطناعي بامتياز.

من خلال قدرات العقل التخيلية، بدأت المجتمعات البشرية في وضع العديد من النظريات الاجتماعية والإنسانية التي ولدت من رحم الملاحظة والتخيل والربط بين الواقع والتراكم المعرفي للبشرية. مع كل حضارة بشرية، سواء كانت بسيطة أو معقدة، كانت هناك نظرية اجتماعية وإنسانية تطغى وتحكم المجتمع. وأقدم النظريات الاجتماعية التي حكمت التجمعات الإنسانية هو الدين بكل تجلياته اليقينية التي تترسخ في ضمير المجتمع، وتتحول إلى عقائد وشرائع تنظم الحياة والعلاقات بين أفراد المجتمع ووحدات الحضارة. فالدين ليس مجموعة من المعتقدات الروحية أو الطقوس الدينية فقط، بل هو مؤسسة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالعلاقات الاجتماعية والهياكل الاجتماعية والثقافة أيضاً.

مع تطور الحضارة البشرية وتعقيدها عبر الزمن، بدأت النظريات الدينية تتفتت وتتعدد، وبدأ الفلاسفة والمفكرون ينحون نحو التفكير بعيداً عن مفاهيم القداسة الدينية. كان ذلك لأن القداسة الدينية أدت إلى صراعات بين الأديان المختلفة وبين طوائف الدين الواحد. واتجه المفكرون نحو الأصول والمبادئ التي يمكن أن تجمع الجنس البشري، وبدأت تظهر النظريات الاجتماعية التي تحللت من القداسات الدينية لتتحرر من عبء الصراع، أو هكذا كان المفكرون يتمنون. لكن ثمة صداماً عنيفاً تعرض له المفكرون في سعيهم إلى بلورة العديد من النظريات الاجتماعية الإنسانية. وضعوا فيها أحلامهم الذاتية بالسلام والمحبة التي صوّرها لهم خيالهم الحالم أنها قابلة للتحقق والنجاح. على سبيل المثال، حين وضع كارل ماركس أسس نظريته الاشتراكية، كان الهدف الرئيسي لماركس تحقيق مجتمع خالٍ من الطبقات والاضطهاد، حيث تُوَزَّع الثروة والموارد بشكل عادل ومنصف على الجميع. ماركس كان يرى أن النظام الرأسمالي يُنتج عدم

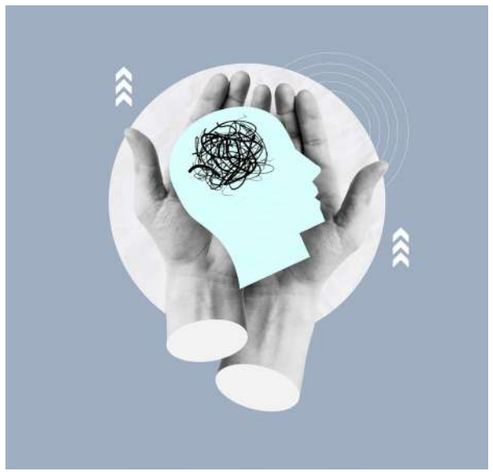

مساواة واستغلال للعمال، ولذلك دعا إلى ثورة العمال للإطاحة بالطبقة البرجوازية الحاكمة وإقامة مجتمع اشتراكي يتم فيه ملكية وسائل الإنتاج جماعياً. يهدف ماركس إلى تحرير الإنسان من الاستغلال والظلم الاجتماعيين، مما يتيح للإنسان تحقيق إمكانياته الكاملة. يا له من حلم نظري جميل، سواء اتفقنا معه أو اختلفنا، لكن حتماً كان الهدف من النظرية نبيلاً يسعى إلى تحقيق العدالة. ولكن ماذا بعد النظرية؟

تجربة الاتحاد السوفييتي تعتبر واحدة من أبرز الأمثلة على تطبيق النظرية الاشتراكية وفشلها في نهاية الأمر. فتطبيق النظرية خلق طبقة بيروقراطية كبيرة داخل الحزب والدولة السوفييتية. هذه الطبقة كانت تتمتع بامتيازات واسعة، وتسببت في تفاقم الفساد والمحسوبية، مما أدى إلى تآكل الثقة بالنظام وفقدان الروح الأصلية لمفهوم الاشتراكية. كما أدى إلى غياب الحريات السياسية والمدنية، وظهرت مشكلات كبيرة في الكفاءة والإنتاجية. سيطرة الدولة المركزية على كل شيء قللت من الحوافز للابتكار والإبداع. في نهاية المطاف، انهار النظام في عام 1991، وفشلت النظرية الاشتراكية كمنظومة اجتماعية متكاملة، لكنها تشذرت وتداخلت جزئياً داخل المنظومة الاجتماعية الغربية ذات التوجه الرأسمالي الليبرالي. ماذا عن تحقيق العدالة الإنسانية تحت مظلة حقوق الإنسان؟ نحن أمام قضية محورية في الكثير من مفردات العصر الحديث. فقد اهتم الفلاسفة قديماً بحقوق الإنسان والعدالة، وكان المفهوم يتغير بناءً على الثقافة السائدة. قد يختلف مفهوم العدالة ما بين الحضارات المتزامنة أو المقاربة زمانياً. على سبيل المثال، في الحضارة السومرية، اعتمدت العدالة وحقوق الإنسان على قوانين حمورابي التي كانت مصدراً لتحقيق العدالة، بينما في الحضارة المصرية القديمة اعتمدت على مفهوم الماعت، وهو التجسيد الإلهي للحق والعدالة والنظام، الذي يستمد قوته من تجسيد الملك لظل الآلهة والكهنة كأداة لتحقيق الماعت. تطور مفهوم حقوق الإنسان، واتخذ منعطفاً تاريخياً مهماً مع الثورة الفرنسية واندماجه مع القيم الليبرالية والعلمانية التي بُنيت عليها الثقافة الغربية في العصر الحديث، مستنداً إلى نظريات مجتمعية ضَمِنَها المفكرون في كتبهم ومؤلفاتهم، طامعين في رؤية البشرية تعيش في لحظة سلام

وتماهي مع احترام حقوق الإنسان. حلم الحالمين بسيادة هذا المفهوم عبر قنوات التطبيق له، وماذا بعد؟ تحوّلت النظرية الحالمة إلى أداة لتحقيق المصالح السياسية للقوى السياسية المختلفة على الصعد كافة، سواء داخلياً أو خارجياً. صارت حقوق الإنسان أداة ترفيهية تُسْتَدْعَى حسب الحالة، والظروف الراهنة، والمصلحة، والهدف. الضحية دائماً هي المجتمعات التي تخضع لآلة الحرب القاسية التي تطحن آمالهم وأحلامهم في الحياة في الكثير من البقع الساخنة حول العالم. صارت حقوق الإنسان والعدالة البشرية تذهب إلى المصير نفسه الذي ذهبت له الاشتراكية: فشل الإنسانية في اختبار التطبيق بعد حلم التنظير الذي راود الإنسانية في أجزاء كثيرة من أركان العالم، حيث تُهدر حقوق الإنسان، وتظل مجرد نظرية حالمة في كتب الفلاسفة والمفكرين.

هل يحتاج العالم إلى نظريات جديدة؟ أم نحتاج أن نحتوي نظرياتنا القديمة، ونعيد صياغة مستقبل البشرية قبل أن تحين لحظة الانعطافة القادمة في تاريخ البشرية، التي قد تكون انعطافة حادة تودي بمستقبل البشرية إلى هاوية سحيقة من الضبابية تطحن الإنسان، وتحطم آماله في السكينة والسلام والمحبة؟ ■

أنثروبولوجيا المكان والتراث

في رواية «تربيع أول» للكاتب الإماراتي سعيد الحنكي

أحمد عبد القادر الرفاعي

يمثل المكان حجر الزاوية وبداية خيط الإلهام لدى الكثير من الروائيين وكتّاب القصة في العالم، بل إن هناك روايات حملت أسماء أماكن وخلدتها، ولطالما تحوّل المكان في الرواية من مجرد إطار جغرافي تدور فيه الأحداث إلى ملهم للروائي والقاص، وأحد العناصر الرئيسية في العمل الإبداعي، الذي تدفعه إلى الأمام، وبعد تطور فن القصة في الوطن العربي الحديث والمعاصر أصبح المكان جزءاً رئيسياً من النسيج القصصي والروائي الذي لا يمكن أن يتم السرد من دونه، حيث تأكد في أشكال السرد الحديثة والمعاصرة في الأدب العربي دور «المكان» من خلال تضافره مع الحدث والمشاركة في صياغته، ثم تحوّل المكان إلى عنصر جذب في العمل السردي يجذب له القرّاء خاصة إذا كان القارئ ينتمي إلى هذا المكان.

ويمكن القول إن الأدب الجيد هو جغرافيا جيدة، والروائي الذي لا يستطيع أن يعرف المكان الذي ستدور فيه أحداث رواياته لن يستطيع أن يعرف حدود شخصياته. ويذهب الكثيرون إلى أن النص الروائي يقدم بشراً يتحركون في زمان معلوم ومكان محدد، والخروج عن أحد هذين العنصرين يفقد النص الروائي ركيزة أساسية؛ لأن وعينا دائماً يطوف بالأمكنة التي انحدرنا منها، ويظل مرتبطاً على الدوام بهذه الأماكن الخاصة بنا التي شهدت طفولتنا وعشنا فيها. وإن فكرة الحنين والارتباط بالمكان الذي ننتمي إليه مرتبطة دائماً بالذاكرة وبالماضي لأنها تحمل جذورنا الأعمق. ويذهب آخرون إلى أن الرواية فن الإنصات للمكان وحسن إدارته، فالأزمنة والشخصيات لا تكون رواية إلا متى عضدها حدث ما، والحدث لا يتم إلا في مكان مادي أو متخيل. وعليه، فإننا لا نعني بالإنصات للمكان حسن إدارته وتوصيفه وملء كيانه بالأحداث وإتمامها فيه بكثير من المفعولية، وإنما نعني بهما الوعي بكينونته داخل الكناية؛ وهي كينونة تُخوّل للمكان أن يعرب عن فاعليته في توجيه حركة الشخصيات ومنح الأشياء فيه دلالات جديدة. ولن يتمّ له ذلك إلا متى هيّأ له الروائي أسباب أن يكون ذا لسان فصيح، وعاطفة قوية، وحواساً متيقظة، وجرأة على رفض ما لا يستسيغه من أحوال الأحياء والأشياء فيه، فكم رواية تعطلت، فيها حواس أمكنتها فظل حكيها بارداً وهجيناً، وكم رواية هاجت فيها أصوات المكان وأحلامه فحرّكت مهج شخصياتها وهيّجت دلالات حكاياتها. وفي رواية «تربيع أول» للكاتب الإماراتي سعيد حنكي نجد الرواية بالمطلق هي حكاية المكان وحكاية من فيه لأنهم فيه، فالأحداث والعواطف والشخصيات وملامح السرد تتخلق في رحمه وتنمو، ويحضر المكان فيها حضور وارف الدلالة، إذ تنهض «براحة الفحل»، و«صرير المفصلات المتيبسة»، و«الحوش الذي تشكّلت حوائطه على شكل قمع»، و«العريش»، و«الجزة»، و«الغويفة» و«الجدار الشمالي الشرقي المقابل لسفوح الجبال البعيدة»، و«الغرفة الجصية المستطيلة في الوسط ويطلق عليها مسمى المخزن»، «والغرفة الصغيرة في مواجهة المخزن، بإيوانها المتسع والشباك الكبير بقضبانه الحديدية عن يسار مدخلها» فواعل أساسية في نظم الحكايات والتحكّم في جريانها، وباتت جزئيات هذا البيت بما يحمل من عبق تراثي هو من يحمل المرويات ويساعد على تقدم النسج السردي لأحداث الرواية بين الماضي والحاضر. فالمكان في «تربيع أول» بهندسته وارتباطه بماضيه وثباته وتمسكه بالحياة هو الذي صنع الرواية وأدار أحداثها وكل عقدها وأفضى إلى نهايتها. وشكّل بسردٍ ساحر ذاكرة الرواية والوعي المنبثق فيها وتماس الروح بتفاصيلها، وكوّن الارتباط العميق بين المكان والهوية ومفاهيم الماضي والتراث، والحلم في امتلاك المشروع الخاص في تصنيع وتطوير الزوارق الخشبية التقليدية، وأحيا ذاكرة جمعية تنفست الصعداء في معظم أجزاء الرواية. وكانت الرؤية إلى هذا البيت التراثي على أنه سياقٌ نمت خلاله مجموعة من المفاهيم العميقة التي أنتجت منظمة بنائية لها تعبير متميز ومتمايز ومتسق مع السياق الاجتماعي والبيئي والاقتصادي. وصياغة المكان بهذا الأسلوب في تفسيراتها الكلية والشمولية يشكّل صياغة الأطر المتكاملة والمتداخلة التي تجعل سكانه يشعرون بالانتماء لأماكنهم وفضاءاتهم من خلال جعل هذه الأمكنة نفسها هي التي تُحدث التواصل الإنساني المكاني. وبهذا الاعتبار يمكن القول إن المكان في «تربيع أول» صنع سرديته الخاصة بما حمله من قيمة تراثية مرتبطة بعبق الماضي وصنع على هذا المنحى تفرده ومذاقه وروح وجوده، لذلك تحوّلت الرحلة إلى ذلك المكان سردية تشكّل صفحات في سفر التاريخ الذاتي، بل ويمكن القول إنه صنع منهجية تشكله وخلقه وتمسكه وثبوته ليكون سبيلاً إلى خلق حالة من الاستمرارية الإبداعية فنياً منطلقة من فهم التراث المعماري ومقوماته ومدلولاته.

والكاتب سعيد الحنكي كاتب إماراتي، وهو عضو مؤسس في اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، يحمل درجة الماجستير في إدارة الجودة، يكتب القصة القصيرة والمسرحية، ومن أشهر أعماله رواية «تربيع أول»، ومسرحية «عود الثقاب»، وهو عضو مؤسس في مجلس إدارة مسرح ليلى للطفل، كتب المقال لمدة 20 عاماً متواصلة في مجلة 999.

وقد جاءت رواية «تربيع أول» عبر 125 صفحة، أولى فيها الكاتب المكان عنايته الفائقة، واهتم بأدق تفاصيله، فشكّل كل جزء منه رمزاً وذاكرة، فبعد أن يعود البطل لمنزل أهله القديم بعد هجرة سنوات يحدثنا عن تفاصيل هذا المكان ثم يربط كل جزء من أجزائه وكل جدار من جدرانه بحادثة وقعت فيه في زمان معين. كان المكان هو الذي حمل أحداثها وأثّر فيها. ويبدأ الحنكي روايته بمشهد رابط بين الزمان والمكان حيث تبدأ الرواية، لتظهر فيما بعد العلاقة المضطربة مع الزمان والمكان وتزداد مع تعمق الوصف، ويحدثنا عن حلمه بتحويل البيت إلى ورشة قلافة أي إلى مصنع لصناعة وتطوير المراكب البحرية التقليدية وهذا يشكّل انتماء البطل لمهنة الأجداد رغم حاضره المزهر كأستاذ جامعي وله منصب في إحدى الشركات، ولكنه يدرك في نهاية الرواية صعوبة ذلك لأن المكان الذي ينوي إقامة ورشة القلافة عليه، وهو بيته القديم

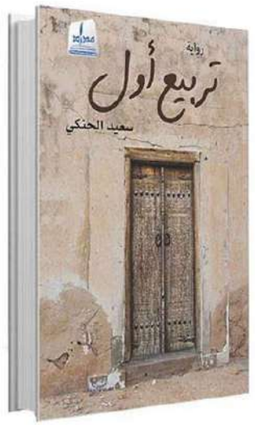

هذا أو بيت العائلة قديماً قد أصبح عقاراً حكومياً لا يستطيع التصرف فيه. وقد جمعت الرواية بذكاء بين العام والخاص، فكانت وفية بتقديم وصف تفصيلي عن البيت التراثي الإماراتي القديم وفي تقديم معالجة حالة إنسانية عامة مثلها حلم بطلها وارتباطه بتراثه وماضيه.

وفي دراستنا لرواية «تربيع أول» للكاتب سعيد الحنكي لا يمكن أن نغفل عن مفهوم الأنثروبولوجية الذاتية الانعكاسية، فالأديب هو الباحث والمبحوث في الوقت نفسه، يتكلم ويروي عن قريته وأحداثها. ويسرد لنا أحداثاً ارتبطت بالمكان بحس أنثروبولوجي واضح وأنيق، فهو يقدم لنا ردحاً من سيرة ذاتية، ويعكس لنا تجارب حياتية صادقة وعابقة بالبساطة عايشها كل سكان القرية انطلاقاً من تأسيس المكان في ذلك الفضاء وفوق تلك الأرض: «وكأن تلك العوائل غير المتعارفة فيما سبق، والمنسلخة عن عشائرها طوعاً أو قسراً، في بطون الفيافي، أو على شواطئ البحار، كان بينها وعد للقيا وتكوين نواة المكان، وبناء المساكن على هذه البقعة الرملية الصغيرة، المرتبطة باليابسة الأم بشكل أو بآخر، عندما يثبر الماء عن حدودها الجنوبية والشرقية» وكأننا أمام اختيار المكان لساكنيه، وكأنّ هذا المكان مثّل لهم مداداً يحمل حبراً من واقع الحياة يرسم ملامح الدهر وتقلباته، وبعد الولادة تأتي الطفولة التي تشكّل نشأة مكانية بامتياز لعل المحيط المتمثّل بالبيت والمدرسة وشارع الحي يمثّل المنبع الأعمق لحكاياتها وأحاديثها وأمثالها، ولعل حسّ المكان التكويني شكّل القرار الحاسم في تشكيل

الآراء وتثبيت دور الذاكرة في تعزيز الهوية والارتباط بكل ما يتعلق بالأجداد من بيئة مكانية ومهن تقليدية وأسلوب حياة، وكانت هوية المكان الأنثروبولوجية مؤثرة أشد التأثير في تشكيل ثقافته، وإذا ما اتفقنا على أن البيت هو المكان الجزئي فالقرية هي المكان المتسع للمكان الأول وهكذا نجده قد لعب ألعابها، وعيّد أعيادها، ونما في أحضان عاداتها وتقاليدها، وشكّلت أولى تجاربه الحياتية، وكانت كلمات أبيه، وأمه، وجدته ذات الطابع التكويني ترسم لائحة قوانين حياته ومدرسته الأولى دون منازع، وفلسفة المكان المركبة هندسياً ووجدانياً وعاطفياً تشكّل في ذهنه كل أبعاد الحس الأنثروبولوجي.

وفي رواية «تربيع أول» سنقوم باستثمار تقنيات الكتابة الأدبية في بناء الموضوعات الأنثروبولوجية، وتأويل النص للوقائع المستسقاة من أبجدية المكان المؤثرة نفسه، ليشكّل المكان مدخلاً معرفياً للثقافة الاجتماعية، والتراثية، والاقتصادية، وذلك باستنباط الدلالات الظاهرية والباطنية التي تعبّر عنه ثقافة مجتمع الأديب حسب تصور الأديب ذاته وهو جوهر البحث الأنثروبولوجي، ومن الجدير بالذكر أن رواية «تربيع أول» تبدأ بافتتاحية مكانية حيث جاء في بدايتها: «بعد سنين مرت على آخر صرير للمفصلات المتيبسة، على عارضتي الباب الخشبي المتهالك، نسي «هلال بن راشد المرعزي» وهو يمد رجله لولوج البيت، أن يقدر لخطوته موضعها. فعثر في حفرة نبشتها الكلاب الضالة». وهذه إشارة واضحة إلى التصاق الرواية بالمكان، وعلى الأهمية التي يقصد الكاتب من خلالها إلى عقد الصلة الحميمية بين قارئ روايته وفضائها المكاني منذ أسطره الأولى، أو صفحاتها الأولى. وهذا دليل على قيمة المكان في المعمار الروائي ويعكس جلياً ارتباط الإنسان أنثروبولوجياً بالمكان كاتباً وقارئاً، وهكذا غدا المكان شريكاً للماضي، بل مكوّن له لتتكون الافتتاحية من عنصرين أساسيين هما الماضي والمكان، ليضعنا الكاتب أمام مكان روائي يأخذ دوراً بطولياً لا يمكن لأي عنصر آخر أن ينهض بها تتمحور الرواية كلها حوله.

وفي قراءتنا الأنثروبولوجية لرواية «تربيع أول» نسعى إلى الكشف عن الرموز الكامنة في مكانية النص أو نصية المكان على حدٍّ سواء، فيتحول وصف المكان إلى عملية كشف وسبر للمعارف الاجتماعية والثقافية السائدة في مجتمع قرية «معيريض» التي ارتبط بها الكاتب ارتباطاً وثيقاً فهو لا يتحدث عن الآثار أو المكونات الخارجية للمكان فحسب، بل يتطرق وبعمق إلى تفاصيل موجودة فيه أيضاً: فنراه يصف البيت جداراً جداراً، ويكاد يقول لنا إن كل حجر من حجارة هذا البيت ينطق بحكاية ويفوح بذكرى، وإن كل باب قد حمل تاريخاً وكينونة وفلسفة بوصف تفاصيل تبوح بأسرار ساكنيه، ويجدل لنا ذكرياته في كل غرفة من غرفه بذكرى تسفر لنا عن تكوين فكري ذاتي ومجتمعي وتأثيري وتأثري، تؤكد أن الكاتب وبأسلوب خاص يخضع العلاقات الإنسانية والنظم لإحداثيات المكان ويلجأ إلى اللغة لإضفاء إحداثيات مكانية على المنظومات الذهنية. وضمن تفاصيل المكان تظهر أبعاداً اجتماعية لمجتمع القرية، ويظهر ذلك جلياً في قوله: «وفي ثلث المخزن الأيمن، ثمة باب خشبي غليظ، مشبوح بسلسلتين متينتين من طرفيه، الأولى تصل بين حلقتين حديديتين، مثبتتين في صدر مصراعه الخلفي ومنتصف عارضته، أما الثانية فتصل بين حلقتين في أسفل ذات المصراع والعتبة. حيث ينعقد عليهما قفلان نحاسيان كبيران، في الاتجاهين المتقابلين يسدلان ستراً على جزء من أسلوب الحياة». فكما قلنا إن المبدع هو الباحث والمبحوث معاً فالمكان من جانب النص يغوص في تفاصيل الوصف الممنهج ليظهر ذلك في قول الأديب ذاته «يسدلان ستراً على جزء من أسلوب الحياة»، وهذا دليل واضح على أن المكان بتفاصيله كلها وجزئياته مصمم تصميماً دقيقاً بما يتوافق مع أسلوب الحياة في زمن أراد تصويره بتفاصيل المكان وهذا هو جوهر الحس الأنثروبولوجي، وهنا يمكن القول إن المكان هو المكون الأبرز للمحيط المادي أو النفسي أو الإنساني بالمطلق ينظر إليه كسببية اجتماعية أو فطرية يكون الفرد كشيء ليس للفرد سيطرة فردية عليه، بل هو أسلوب حياة، وكذلك في قوله: «هذا المنزل الذي تربى فيه أبوه وجده من قبله، وعاشت فيه أمه وجدته لأبيه، وأخته العزيزة على نفسه ذكراها «عذبة» يتغير شكل بنيانه على مر الأزمان، لكن حدوده باقية ما بقيت هذه الجدران». فالمكان الذي يجمع العائلة على مدار سنين وأجيال يجب أن يبقى خالداً سواء بالجدران الجصية أو بالجدران النصية، سواء كان قائماً على الأرض أو في الوجدان، فالكاتب حقن البيت الذي يمثل الفضاء المكاني لروايته بالحياة والاستمرارية وبالفعل الإنساني بوصفه التجلي الأكثر تمثيلاً لفكرة الحياة، وهكذا استطاع أن يمنح البيت التراثي المزيد من عناصر الإثراء وإخراجه من صفاته الجمادية الباردة إلى فضاء حركي عظيم ينعم بالذاكرة والإيقاع والحياة ويتمسك بها، والنص الروائي يعكس وصفاً مجتمعياً لعلاقة العائلة أو الأسرة، فالجدة تقيم في البيت نفسه، وتشارك في أدق تفاصيل الحياة وهي من ملامح الأسرة المستمرة، والأب يجتهد ويشقى في رحلات الغوص ليؤمّن لأبنائه مستقبلاً أفضل، وأخته العزيزة على نفسه ذكراها «عذبة»، وأمه وجده، واندماج الأسرة تحت مسمى العائلة والقرية التي يعيشون بها واضح عندما يقول: «إذ تشكل كنيتهم هوية لا يتخلون عنها، يندمجون مع الآخرين تحت رايتها، يتزوجون منهم ويزوجونهم ويبقى ذلك الاسم مثل علم رابض على سارية عالية»، هذا هو المنزل الذي ضمه حتى مطلع شبابه. فالمكان ارتبط باسم العائلة وبترابط العائلة وبالتالي أدى رسالة أنثروبولوجية ضمنياً وشكلياً، فالمنزل الذي ضمه بمواده الأولية الجامدة كالحجر والجص والتراب والخشب احتضن الحياة العاقلة التي منحته التشكل والتكون المعرفي والذهني. ثم يذهب بنا الكاتب إلى فكرة الاهتمام بأثاث البيت الموازي للأنماط الاجتماعية السائدة في ذلك الزمان، فالصناديق التي تحفظ فيها الملابس منمّقة ومستطيلة من الخشب أو الصفيح، أو في وعاء مخروطي الشكل، من عيدان القصب المطلية بالألوان المتناسقة. وفي ذلك دلالة على جودة الذوق العام، آنذاك، على الرغم من ضعف الإمكانات المحيطة، فإن الوصف الدقيق قد أسهم في نقل هذه الصورة ودلالتها نقلاً واعياً بأهمية الموضوع ذاتياً وموضوعياً ودلالياً، وما يؤكد ذلك وصف عرصات خشب «الكندل» التي تحمل ألوان السقف، وفوق القاطع يوجد «الغدان»، قضيب خشبي موازٍ، يصل بين جداري الغرفة، تعلق عليه الثياب لتجف من البلل، أو لتستروح الهواء من كوتين كبيرتين متقابلتين في أعلى ركني الحجرة، تضيفان مزيداً من النور الواهي إلى المكان. إن هذه المفردات للأدوات المنتشرة في البيت هي أدوات حقيقية لحياتنا النفسية الخفية دون هذه الأشياء ومثيلاتها فإن الحياة تفقد نماذج الألفة. ونأتي إلى المسألة التي أجدها الأهم في هذا الفصل وذلك عندما صار يتأمل ثلاث حفر متساوية في الجدار، تشبه شبابيك تقليدية مقوسة الأسقف دون النفاذ إلى ما خلفها، وهذه المشكاوات عبارة عن رفوف كانت تستخدم لوضع الكتب وأدوات الزينة، وأسرجة الإضاءة ذات الفتائل، قبل استخدام الكهرباء. وفي هذا الوصف المشهدي دلالات كثيرة؛ منها الاهتمام بالثقافة ومصادرها مثل الكتب في ذلك الوقت وهذا تمثيل لحالة مجتمع متكامل كانت المعرفة سلاحه ووسيلته منذ زمن، وكذلك دلالة على الذوق العام مرة أخرى من خلال الاهتمام بتفاصيل المكان كوضع أدوات الزينة في هذا المكان وهي على رفوف مرتفعة مع الكتب لتدل على الإلمام بقيمة الشكل والمضمون كذائقة عامة سائدة وقتها. وما يؤكد ذلك أنه عندما نظر أسفل السرير المتقوض، رأى كتيباً من الحجم المتوسط يعلوه التراب..... طفق يقلب صفحاته المتصلبة بالملح، وقرأ: «أمن أم أوفى دمنة لم تكلّم.. بحومانة الدراج فالمتثلم». لنجد أنفسنا أمام وقفة طللية ولكن بأسلوب روائي تدل على قيمة الارتباط وعمقه المتمثل في الاندماج بالمكان التراثي الحامل للذكرى بالوفاء والإخلاص له ■

كاتب وباحث من سورية

المصادر والمراجع:

1 - تربيع أول، سعيد الحنكي، مداد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دبي، 2018.
2 - قضايا المكان الروائي، صلاح صالح، فواصل للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2019.
3 - جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1984.
4 - مقالات متفرقة من (الاتحاد - البيان - الخليج) حول الرواية الإماراتية.

الخط العربي.. تجسُّد الإبداع وحضور التاريخ

حمزة قناوي
شاعر وناقد مصري مقيم في الإمارات

يعُدُّ الخط العربي أحد أعرق فنون العرب، فقد اكتسبَ منذ القدم زخماً كَبيراً، وشهرةً واسعةً، حيث يتسم بجمالٍ وزخرفة دقيقة، تنوعت الحاجة إليهما في التاريخ العربي، فقد كان العنوان الأساسي للحضارة العربية الإسلامية التي لم تكن تميل للصور والرسومات، فاستعانت بالخط العربي في تزيين القصور وبيوت الحكام، والمساجد، وتزيين الأواني الفخارية، والصناديق الخشبية، حتى العملات الذهبية عندما تم سكّها كانت تحتاج إلى فن يتم تمييزها به، فكان الخط العربي، وتم تزيين الأسلحة المختلفة بآيات قرآنية أو أبيات من الشعر، وغيرها. والاهتمام بالخط العربي هو أحد الجوانب الدالة على انتقال العرب من العصور التي كانوا فيها لا يلقون بالاً للكتابة والخط والقراءة، إلى حال الحضارة والمعرفة عبر النص القرآني والرسالة المحمدية، ومن ثم التجأت الحضارة العربية الإسلامية إلى الخط، ليس لأهميته ووصفه باعتباره «ذاكرة بشرية» حيث يمثل عامل وجوده أهمية كبيرة في تناقل المعرفة والمعلومات[1]، وإنما لكونه فناً يرتكز على جماليات فريدةٍ ومتنوعة وشديدة الثراء أيضاً.

إن الخط له أهمية كبرى، باعتباره أول وسيلة للتعبير عند الإنسان، في جميع المراحل التي مرّ بها، ورغم أننا ربما لا نعرف الخط الأول الذي خطه الإنسان في بداية حياته، لكنهُ يظل أمراً بالغ الأهمية في التعبير الإنساني، حتى إن بعض الفنانين يعتبرونه «أساس الفنون جميعها»، لكونه أول ما ألفه الإنسان من عناصر التشكيل، وبداية تعبيره عن انفعالاته في العالم المحيط به، فرسمَ وحفرَ وصوّرَ الأشكال التي تركت انطباعاً مؤثراً في النفوس، فما تركه هذا الإنسان الأول من رسوم وحفريات تتميز بالبساطة والعفوية على جدران وأسقف الكهوف، وهي أول أنواع الفنون، كما أنها كذلك خط من خطوط الإنسان في بداياته الأولى[2].

والخط العربي له خصوصيةٌ بالغة في الأهمية، كونه يتصل اتصالاً وثيقاً بتدوين المصحف الشريف، وذلكَ ما جعل المسلمين يهتمونَ بفن الخط وزخرفته، فهو أمر ينبع من العقيدة، فكتابة آيات القرآن الكريم تحتاج إلى تفنن خاص، وتعاملوا مع الحروف بقدسية، أليست هي ما أقسم به الله تعالى في مفتتح السور الكريمة؟ فأصبح الخط نابضاً بالحياة، ومن أسمى الفنون الإسلامية، حيث تتنوع الكتابة من المصاحف بمختلف أحجامها حتى المساجد والمباني والمنشآت، ثم تنوعت الاحتياجات للكتابة من المصاحف إلى الدواوين إلى الزخارف، حتى إن حسن الخط عُدَّ من أسباب سعة الرزق، كما عُدَّ سوء الخط من أسباب قلة الرزق في الثقافة العربية[3].

إن استعراض تاريخ الخط العربي ونشأته وتطوره ومراحله، يوضح لنا أشكالاً مختلفةً في جماليات هذا الفن ووفرته، وما أضافه (ابن مقلة) للخط العربي، والتنويعات التي نشأت عنه، بدايةً من الخط الكوفي مروراً بأنواع الخط المختلفة المعتمدة على الزخرفة والتشكيل والأسس الفنية لإبداعها، مثل خطوط: «الثلث»، و«التعليق»، و«الديواني»، و«الجلي الديواني»، و«الطغراء/ التوقيع»، و«النسخ»، و«الرقعة»، وقواعد تشكيل الحروف الصاعدة والهابطة، ورسم الأحرف المنفردة وكيفية كتابة الحرف بحسب موقعه في الكلمة: أول الكلمة ووسطها ونهايتها، وهي قواعد لها ضوابطها الفنية المحكمة المرتبطة بعلوم اللغة وفنون التشكيل ■

الهوامش:

1. رشيدة القاسمي: الخط العربي وتعليم اللغة العربية، مبحث في القرائية والرقمنة، مجلة التواصل اللسانية، مؤسسة العرفان للاستشارات التربوية والتطوير المهني، المغربة، مجلد 16، عدد 1، والمغرب، 2014، ص 96.
2. هيام ميلاد: الخط كعنصر بنائي وجمالي في العمل الفني، مجلة أمسيا، جمعية أمسيا التربية عن طريق الفن، عدد 2، إبريل 2015، مصر، ص 200.
3. هديل خليل هندم: الخط العربي، مجلة هدى الإسلام، مجلد 54، وعدد 3، مارس 2010، الأردن، ص 129.

البكاء شعراً

خالد صالح ملكاوي

يتموضع الدمع في كثير من نظم الشعراء، لذة يتفرّدون بها عن غيرهم من البكّائين، إذ يرسم البكاء كثيراً من أحوال وجدهم وجياشة حزنهم؛ فالشعر العربي بدأ بالبكاء منذ الملك الضليل (امرؤ القيس) الذي بكى واستبكى شعراً حين بدأ معلقته بمطلعها الخالد:

قفـــا نـــبك من ذكـــرى حبيب ومنـــزل
بسقـــط اللـــوى بين الدخول فحومـــل

وقد زخرت مدونة الشعر النبطي في الإمارات بالبكاء الذي تتنوع علاماته وإشاراته؛ فهو تارة علامة للفراق أو استعادة الذكريات، وأخرى علامة لليأس والضياع، أو هو لفجيعة الموت أو ألم الارتحال. وأبدع الشعراء في وصف بكائهم ورسم انهمار دموعهم التي جعلوها كالمطر الذي يُجري الأنهار ويروي الزرع والشجر ورمل الصحراء.

الدمع والمطر

يرسم سعيد بن عتيج الهاملي مسارات دموعه فوق الأرض، إذ يقول:

ودمعـــي جرى مـــن مِقْلَـــة العيـــن
بايـــت علـــى الَاوْجـــان وِانْســـاح
أســـقى الرمِـــل والجِـــصّ والطيـــن
واسقـــى بعـــد فـــي كـــلّ الَابطـــاح

ويصف سالم الجمري دمع بكائه، فيقول:

دَمْـــعِ عينـــي بْحـــور وانْهـــاري
طَمَّـــا الَارْضُ وْسلّـــم دْروبـــك

وكذا دموع صقر بن عاتي الفلاحي، إذ يقول:

وَشـــوف دمْـــع العيـــن مْنهـــد
شِـــرْوى مطـــر قاحِـــم مـن مْـــزون
أسقـــى علـــى الَاوْجّـــان والخـــد
طـــاح الَارِض والنّـــاس يسْقُـــون

والأمر نفسه في دموع محمد بن عبلان الذي يقول:

آصِيـــح وأتْوجّـــــع بِالَاعْبـــــار
وْادْمُوعِيـــه ســـوّن هِمِيلـــــي
ولو هـــــاظ بِمّـــا بِـــي عَ الَاحْجـــار
تمّـــن شـــرا الرَمْـــل المِهِيلـــــي

ويصف سعيد بن سرور عبراته تنهمر على خدّه كالمطر المتواصل، فيقول:

جـــنّ الدجـــا وانْثالـــث الليـــل
وآنـــا نِظيـــري مـــا بعـــدْ بـــات
مـــن عبْـــرةٍ ســـوّت هماليـــل
وادْمـوع فـــوق الخـــدّ عَيْـــلات

وكذا يفعل أحمد ثاني بن عبود الفلاسي، إذ يقول

ألعـــي عليكـــم يـــا مضانيـــن
وآصيحكم فـــي كـــلّ حـــزّات
وآبـــات يـــوم النـــاس هيعـــين
دمعـــي علـــى الَاوْيـــان زافـــات
وارقـــب متـــى أتْغيـــب الميازيـــن
آنـــوح وآنحّـــي بالَاصْـــوات

دموع الانكسار

يسكن الشاعر اتّقاد الأحاسيس، ويتلبّسه الذهول، وتذرف دموعه على من قضى نحبه من الأحبة. يقول سالم الجمري في بكائه على زوجته الأولى التي طواها الموت وهو بعيد عنها في الدمام:

لعى «لجمـــري» علـــى فرقـــا ضنينـــه
كمـــا تلعـــي «زليخـــه» ع الغلامـــي
ثـــلاث سْنيـــن مـــا وقّـــف ونينـــه
ولا زاد البكـــا غيـــر الهيامـــي
حبيـــب الروح يـــا خـــلّان وينـــه
سقـــاه البيـــن كاســـات الحمامـــي

ويتذكر الشاعر خميس بن زعل الرميثي زوجته التي رحلت عنه فيقول:

يـــوم الدلّيـــه يباتـــي
اللّـــي نومـــه هنـــاه
أنـــا هِـــلْ اعْبراتـــي
وأدعيلـــه فـــي الصـــلاه

ويصف كميدش بن نعمان البكاء في رثاء محمد بن سلطان

الدرمكي بالقول:

كم ناظـرٍ هـرّق مـن الدمـع سيّـال
ع فراق شوفـك عـاف ريف النسايـم
صبَر على نَفْـذ القضـا صابرٍ شـال
صبْر وعزانـا فيـك قَصّ الصرايـم

ويمزج ربيّع بن ياقوت الدمع والنّظم في ذكرى وفاة راشد الخضر، فيقول:

مرحـوم يا قبـرٍ ثـرى المـسك ذاريـه
عليـه فوعـات المـروج المطلّـه
وعليـه نفحـات النسايـم تناجيـه
في روضـةٍ خضـراء ومنْـوَر محلّـه
صرنـا انْترحّـم له علـى ذكْـر طاريـه
العيـن تدمـع والقوافي رثـن لَـه

دموع القلب

ليس ثمة ما هو أشد من ألم الفراق والابتعاد عن الأحبة، والارتكان إلى وجع الذكرى، وليس ثمة من هو أكثر إبداعاً من الشاعر في رسم هذا الألم والوجع. فنجد علي بن محين الشامسي يختار حزن طفل ضاعت منه لعبته التي أحضرها له والده الغواص من البحر، وهي (الزيزي) أي فرس الماء، إذ كان البحارة يحضرونه من البحر هدية لأطفالهم يلعبون بها، ليشبه بهذا الحزن شدة حزنه وتأثره على فراق المحبوب، فيقول:

غيَّبْـتْ كَنّـي جاهْـلٍ ضـاع زِيـزي
مِدامعْـي تَجْري على صَفـح لَوْجـان

وتصف فتاة العرب (عوشة بنت خليفة السويدي) دموعها بالقول:

لو شكيت وحـسّ بي مـن ف الخليـج
كان سـال الدمع لي مـن كـل مـوق
بي من التّبـريح ليعـاتٍ تهيـج
مدمعٍ نضحـه كمـا تضِـح الصفـوق

ويقول أحمد بن سيف بن زعل الفلاحي:

لـي ذكـرت الوقـت لـي زلّـي
والصبـا يـوم أنْقضـى سُونـه
قـام دمْـع العيـن ينهلّـي
فـوق خـدي يـوم يطْرونـه

كما يقول محمد بن سلطان الدرمكي:

خلانـي فـي حسايـف
كأنّـي عقـبْ ماسـاه
دمْـع عْيونـي ذرايـف
لا مَ أُحْتمـل فرقـاه

ويصف محمد بن سوقات عبراته بالقول:

تـذرف دْموعـي إذا م الليـل جنـا
فـوق خـدّي عبـرة فـي إثْـر عبره
وأصفـج بْكفّـي على وقْـت وْزمنّـا
يوم كنّـا وياك تقضـي الليـل سهْـره

وكذا يفعل عيد بن مصبح العميمي، إذ يقول:

خَذْهَـا روحـي غصيبـه
يـوم الشّمْـل أُفْتـرق
خـلاّ أعيْيونـي صبيبـه
ليـن الدمـع أُهْتـرق

أما ابن شمسة (علي بن غيث السويدي) فيرسم وجع الوداع ويقول:

وأجْريـت دمْـعٍ فـوق وجنـات
ومْـن الحسـف ألِبْهـام عضيـت
مـا طـاب لـي نومـي بلـذات
عـوف المقيـل وشيـن ألِمْبيـت
قفّـا وخلانـي بحسـرات

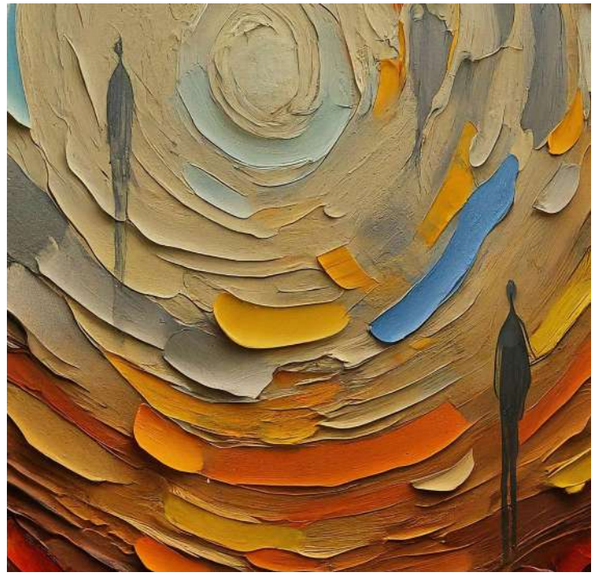

إلا الظعـن م البعـد خصّيـت

ويبكي جويهر بن عبّود بواعث الذكرى، إذ يقول:

جالـس وألْعـي زمانـي
يـوم أذكـره ونيـت
يوم أذكـره يـا فلانـي
سـال الدمـع وأبْكيـت ■

إعلامي مقيم في الإمارات

المصادر والمراجع:

1. أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، جمع وتحقيق: حماد الخاطري النعيمي، الشارقة، معهد الشارقة للتراث، الطبعة الثانية، 2022م.
2. الأعمال الكاملة والسيرة الذاتية للشاعرة عوشه بنت خليفة السويدي (فتاة العرب)، جمع وتحقيق وتأليف: الدكتورة رفيعة عبيد غباش، الإمارات العربية المتحدة، متحف المرأة، الإصدار الأول، الطبعة الثانية، 2012م.
3. تراثنا من الشعر الشعبي، جمع وتحقيق: حمد أبو شهاب، أبوظبي، نادي تراث الإمارات، الجزء الثاني، 1998م.
4. ديوان آل زعل، للشعراء أحمد وزعل وسعيد أبناء سيف بن زعل الفلاحي، إعداد وشرح: علي مصبح الكندي وآخرون، أبوظبي، لجنة الشعر الشعبي بنادي تراث الإمارات، الطبعة الأولى، 2004م.
5. ديوان ابن زعل، خميس بن راشد بن زعل الرميثي، أبوظبي، نادي تراث الإمارات، 2008م
6. ديوان ابن عبلان، للشاعر راشد بن محمد بن عبلان الكتبي، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي، نادي تراث الإمارات، الطبعة الأولى، 2012م.
7. ديوان ابن عتيج، جمع وتحقيق وشرح: الكندي بن مصبح المرر وآخرون، أبوظبي، نادي تراث الإمارات، 1999م.
8. ديوان ثاني بن عبود الفلاسي، جمع وإعداد إبراهيم الهاشمي وسلطان العميمي، أكاديمية الشعر، أبوظبي، الطبعة الأولى، 2014م.
9. ديوان الجمري، للشاعر سالم بن محمد الجمري العميمي، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي، مركز زايد للدراسات والبحوث بنادي تراث الإمارات، الطبعة الثانية، 2013م.
10. ديوان الدرمكي، للشاعر محمد بن سلطان الدرمكي، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي، مركز زايد للدراسات والبحوث بنادي تراث الإمارات، 2016م.
11. ديوان ربيّع بن ياقوت، للشاعر ربيع بن ياقوت بن جوهر النعيمي، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي، دار التراث الشعبي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 2018م.
12. ديوان كميدش بن نعمان، للشاعر كميدش بن نعمان الكعبي، إشراف: العصري بن كراز المهيري، إعداد: غسان الحسن ومحمد إبراهيم الحديدي، أبوظبي، لجنة الشعر الشعبي بنادي تراث الإمارات، الطبعة الأولى، 2006م.
13. ديوان محمد أحمد بن سوقات.. ويليه الشعر الأنيس ومضحك الجليس، الطبعة الأولى، 1998م.
14. الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية، غسان حسن أحمد الحسن، أبوظبي، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، القسم الأول، القسم الثاني، 1990م.
15. المختار من الأشعار: من الشعر الإماراتي، جمع وتحقيق: فهد علي المعمري، أبوظبي، مركز زايد للدراسات والبحوث بنادي تراث الإمارات، 2019م.

الحبُّ الأول.. ليس تجربة

شيخة الجابري

في تلك السبلة المنصوبة وسط الحارة الشمالية، وتحت سقفها كانا يلتقيان، يتلقيان التعليم على يد المطوع سالم، علّمهما كما علّم غيرهم من أبناء المنطقة، قرأ القرآن وختما كتاب الله وهما لا يزالان بعد في بدء سن اليفاع، يلتقيان بفرح، ويودّعان بعضهما بحزن، هو تفضحه عيونه أمام أصدقائه، وهي يفضحها ارتباكها أم صديقاتها، لكن لا أحد يُعلّق أو يبدي سلوكاً، أو يقول قولاً يُستشف منه وضع موزة وخالد، كانوا أطفالاً يحملون عقول الكبار، ويتصرفون وكأنهم قد بلغوا سن النضج مبكراً.

كان حب الصغر الذي يُقال بأنه منقوش كما يُنقش الحجر، هو منقوش بعناية وحرفية تامة في قلب موزة وروح خالد، وكان هو كالحجر صامداً لم يتأثر حتى بعد أن دارت الدوائر بهما وافترقا بسبب تدخلات أسرية، وأعراف وتقاليد مجتمعية تقضي بأن تكون ابنة العم لابن عمها، وابن العم لابنة عمه، ليجد خالد وموزة نفسيهما يواجهان أقسى قانون بشري يمكن أن يمر بالإنسان في حياته.

كانت اللحظات التي تجمعهما صدفة عندما تذهب موزة رفقة فتيات الفريج لجلب الماء من الفلج القريب من منزلهم، وحيث إن الفلج يقع على الشارع ويمتد ليروي ضواحي المنطقة ومزارعها فقد كان التوقف عنده للشرب أو التزود بالماء ضرورياً وهي حركة يومية لا تتوقف، لذا كان اللقاء العابر رسالة حب يبعثها قلب خالد إلى قلب موزة الذي يتلقاها بفرح غامر.

وفي مرات يأخذ الشوق بقلب خالد إلى حيث منزل موزة فيتوقف عند الباب الخلفي الموشّى بالنقوش القديمة والمصنوع من الحديد وله «دفة» واحدة، عند الجدار يقف خالداً يترقب لطَيفٍ قد يعبر تكون وراءه حبيبة القلب «الموز» كما يحلو له أن يسميها، وكما كان يتغنى باسمها شعراً كلما عنّت على خاطره أيام عريش المطوع راشد، فيتبادلان النظرات العابرة للوعي والمشاعر الساكنة في لب القلب، هكذا كان حال خالد كل مساء، يتسرب نحو جدار منزل الحبيبة فلا يحظى سوى برائحة المكان التي تختلط بروائح العشب، وأحياناً برائحة الطبخ العابرة لمنزلهم.

في أحايين كثيرة كانت بعض الكلمات التي يرسمها خالد بقلمه على صفحة دفتر رسائل عتيقة تكفي لأن يرتوي قلب موزة بماء العشق لأيام طويلة، فقد تعلّم الاثنان مع أقرانهما طريقة كتابة الرسائل وأساليبها، في ذاك الوقت من ستينيات القرن الماضي لم يعرف الناس وسائل تواصل سوى الرسائل التي يستطيع بعض الأفراد كتابتها، أو المطاريش والمناديب الذين يُنتدبون لنقل خبر ما إلى المناطق المجاورة، لذا كانت رسائل العاشقين غذاء لروحيهما الهائمتين، وكان حديث خالد بينه وبين قلبه أبيات شعرٍ يرددها وهي مما تتناقلهُ الألسن حيث يروّح عن نفسه وهو يردد دوماً «يالموز يا ميّال لغصون، يا سالب عقول النّدامى، خذت الغُوا عن كل مزيون، بالحسن يا سيد الأراما».

عند المطوع راشد تعلّم الفتيان والفتيات أصول كتابة الرسائل وطريقتها التي دوماً ما تبدأ بصيغة شعرية جميلة تأتي على سياق «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإن سألتم عنّا فنحن لله الحمد بخير وسهالة، ولا ينقصنا سوى رؤيتكم» هكذا كان استهلال كتابة الرسائل قديماً، وهكذا كان خالد يدس الكلمات في صفحة صغيرة من دفتر قديم يدسها فيما بعد في يد شقيقته خولة لتوصلها في سرية تامة إلى موزة، ومن ثم تنقل رسالة موزة إلى خالد.

لا أحد يعرف ما يدور من مشاعر عميقة وارتباط روحي حقيقي بين الفتى اليافع والفتاة الجميلة التي بدأت أمها في إخفائها عن الناس وإبقائها قيد الحب في المنزل فقلّ خروجها، وأقيمت حفلة صغيرة للجارات احتفالاً بتلبيس موزة البرقع إيذاناً بدخولها عالم النساء، واقتراباً سريعاً من الاستعداد للخطوبة، ومن ثم عقد القران والزواج.

حالة من الحزن، وهالة من الغضب تعتري وجهي خالد وموزة، فهذا يستعد للزواج من ابنة عمّه، وحبيبته تُجهز للارتباط بابن عمها، أي أعراف وتقاليد تلك التي لا ترحم قلبين صغيرين جمعتهما حلقة للتعليم، فيكون بينهما هذا الشعور الحميم الذي لامس شغاف قلبيهما، إنها حالة حبٍ حقيقية وليست مجرد مشاعر عابرة، أو تجربة قابلة للعبث أو التجاوز أو النسيان، إنه «حب الصّغرِ المنقوش كالحجر» الحجر الذي تدحرج دون رحمة ليقطع طريق التواصل بين خالد وموزة، فيذهبُ كلّ واحدٍ منهما نحو حياته الجديدة، يحمل في قلبه ذكرياتٍ ومشاعرَ وقلباً أحب وانفطر، ليعانق ذاك الحبّ النّقي الطاهر أدراج الزمن، فالكلمة في نهاية الأمر للأسرة والأعراف والتقاليد، لا صوت يعلو على ذاك الصوت حتى دقة القلب الحبيسة داخل جدران الروح ■

باحثة وأديبة من الإمارات

حمدة محمد الزرعوني: مفاتيح التعلم من قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

هشام أزكيض

تشغل الكاتبة والباحثة الإماراتية حمدة محمد الزرعوني منصباً إدارياً تنفيذياً بمعهد الشارقة للتراث، وقد نالت شهادة الماجستير في «تاريخ - حضارة إسلامية» في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة الشارقة عام 2017م. وبكلية الهندسة «قسم الهندسة المعمارية، بالاشتراك مع «منظمة إيكروم»، ونالت ماجستير إدارة حفظ التراث الثقافي - إدارة المتاحف، عام 2022م. وبكلية «الأفق الجامعية» في المدينة الجامعية، حصلت على «ماجستير إدارة أعمال واستراتيجية» عام 2021م.

من مؤلفاتها: «الترفيه في العراق والشام، من العصر العباسي الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي، نماذج مختارة»، و«النسيج في مصادر التراث العربي»، و«توثيق صناعة العطور التقليدية الإماراتية وجوانب الاستعمال منتصف القرن العشرين» (وهو قيد الطبع)، وقد حاز هذا العنوان على جائزة التراث الثقافي لعام 2023م، عن الفئة المحلية. وحول تجربتها العلمية والمهنية أجريتُ هذا الحوار مع الباحثة حمدة محمد الزرعوني:

هل اهتمامك بقضايا التاريخ بدأ في مراحل تعليمك قبل الالتحاق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الشارقة؟

اهتمامي بتخصص التاريخ بدأ منذ أن كنت على مقاعد الدراسة، وتحديداً من المرحلتين الإعدادية والثانوية حيث كنت أعشق مادتي التاريخ والجغرافيا دونما سبب يذكر... وكنت أميل إلى الموضوعات التاريخية خاصة الحضارة الإسلامية.

ما الذي دفعك إلى اختيار قسم التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الشارقة؟

اختياري كان بسبب أول عمل التحقت به في عام 2008 م، حين تم تعييني من هيئة الشارقة للمتاحف، وتم تعييني بمسمى مرشد بمتحف الشارقة للحضارة الإسلامية، ومن هنا بدأت البوادر الأولى لشخصيتي المهنية والعلمية، ومنذ اليوم الأول لدخولي هذا الصرح التاريخي والتراثي العريق، بدأت شخصيتي تتطور في الفكر والتوجه الأكاديمي، وبدأت البوادر الأولى مع المقتنيات والقطع التاريخية التي كنت استمتع بتأملها، وتمحورت تساؤلاتي الأولى، كيف للإنسان في ذاك التاريخ القديم أن يبدع في الصناعة والتصميم وتسخير الموارد الطبيعية لخلق هذا الإبداع الذي نراه اليوم في كبريات متاحف العالم، وبكل فخر فإن أكثر وأغلب المقتنيات التاريخية التي تجذب عشاق المتاحف وما شابه من تلك المؤسسات هي مقتنيات الحضارة الإسلامية وتحديداً العصر الذهبي للحضارة العباسية من النواحي الثقافية والاجتماعية. كل هذه التساؤلات وأكثر دعتني لاختيار تخصص مغاير عن تخصص مرحلة البكالوريوس حتى أُشبع الحاجة التي كانت تعتريني من غور أعماق الحضارة الإسلامية، فكان اختيار تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية التخصص الذي بالفعل انتقلت معه لنقلة نوعية حُسبت لي، هذا التخصص الذي جبر خاطري وعشت معه أفضل سنوات عمري، هذا التخصص الذي أعطاني مفاتيح معرفية عظيمة وإلى اليوم أنتفع به.

ما أبرز مميزات قسم التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الشارقة؟

كما هو معلوم أن جامعة الشارقة من المؤسسات الأكاديمية العريقة، وذات سمعة أكاديمية ورؤية علمية على مستوى الدولة والمنطقة، وتتمتع بجودة التعليم، وأصالة البحوث العلمية المقدمة، وأن كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية من الكليات الأولى التي نشأت مع نشأة الجامعة، وهي من أكبر الكليات داخل الجامعة، التي تتميز بتطورها ونموها بشكل مستمر. وتتألف من ستة أقسام أكاديمية تغطي المجالات التخصيصة، منها قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، والاستفادة والتعامل مع نخبة من الأكاديميين الذين تخصص كلٌّ منهم في مجاله. ولابد من الإشارة إلى أن القسم كان يحث طلبته المتميزين على تقديم البحوث غير المطروقة والجديدة على المستوى الأكاديمي.

عام 2017م، حصلت على الماجستير في تاريخ الحضارة الإسلامية، فما الموضوع الذي انصب عليه اهتمامك، وما أهدافه؟

كل بداية جميلة لها نتائج أجمل، واختياري لموضوع الرسالة فتح المجال أمام من هم بعدي من طلبة العلم للخوض في المجالات الثقافية والاجتماعية للحضارة الإنسانية كافة، وهذا ما شهدتُ عليه من اطلاعي على عناوين زملائي بعد عنوان رسالة الماجستير الخاص بي، والمعنون بـ (الترفيه في العراق والشام من العصر العباسي الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي (نماذج مختارة) ... وبفضلٍ من الله تخرجت بامتياز مع مرتبة الشرف والأولى على الكلية... والمنحة الإلهية التي تحققت بأن طبعت الرسالة ككتاب، من قِبل مؤسسة عريقة هي مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في عام 2022 م.

ما موقع معهد الشارقة للتراث في حفظ التراث الثقافي؟

تأسس «معهد الشارقة للتراث» بموجب المرسوم الأميري رقم (70 لسنة 2014). ويعمل المعهد عن طريق البرامج والأنشطة والمحاضرات، على حصر عناصر التراث الثقافي غير المادي وحفظه وصونه ونقله، فضلاً عن عمليات حماية التراث الحضاري والطبيعي، وتحديداً من خلال فعالياته الدولية،

مثل: أيام الشارقة التراثية، وملتقى الشارقة الدولي للراوي، وملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية. وكذلك لدى المعهد عدد من المشروعات التراثية، التي تطبق على أعلى معايير ممارسات الصون، والتوثيق، والأرشفة الرقمية، بالإضافة إلى أهمية الجانب العلمي وبرامج التعليم في مجال التراث الثقافي عبر الإدارة الأكاديمية في المعهد، ومن خلال برامج ومشاريع ثقافية، والتدريب، وتقديم الاستشارات، والدعم البشري والتقني، أما أهمية دور المعهد على المستوى الدولي فتأتي من تعزيز سبل التعاون الدولي، من خلال الشراكة مع الأفراد والمؤسسات والمنظمات المعنية بالتراث الثقافي. ويعد «معهد الشارقة للتراث»، وغيره من المناهل التراثية الأخرى ليكون صرحاً ثقافياً وعلمياً يسهم في إعداد كوادر من الباحثين الإماراتيين والعرب المدربين على صون تراثهم الثقافي، وعلى القيام بإجراء المسوح الميدانية لحصر التراث الثقافي وحفظه وتوثيقه، وإجراء البحوث والدراسات باستخدام مناهج البحث العلمي.

لا يمكن أن ننسى كذلك كتابك «الترفيه في العراق والشام من العصر العباسي الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري - من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي»، فَلِمَ اخترت هذه المرحلة بالذات لإثارة موضوع الترفيه، وما الخلاصات التي توصلت إليها؟

كتابي هذا هو رد للجميل لتعلقي بتاريخ الحضارة الإسلامية، وتحديداً عصرها الذهبي، ورأيت أن أسلط الضوء عليه كما ينبغي، فبدأت مع مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور/ نجيب بن خيرة، بالنقاش حول الموضوعات التي يمكن أن تكون محور اهتمامي أولاً، وأهمية تلك الموضوعات لسد حاجة البحوث العلمية من جهة أهل الاختصاص من الناحية الأكاديمية، ووصلنا إلى نتيجة البحث حول الموضوعات المتعلقة بجوانب الحياة الثقافية والاجتماعية، ومنها اختيار موضوع الترفيه في فترة العصر الذهبي للحضارة الإسلامية. وأهمية هذا الموضوع في أيّ مجتمع من المجتمعات البشرية لأنها تنطوي على أبعاد حضارية واجتماعية مهمة؛ وأنها تعكس مدى التطور الحضاري والفكري الذي وصلت إليه أيّ أمة من الأمم، قديماً وحديثاً.

كان هدفي بمباركة الدكتور المشرف، بأن الدراسات العربية تحديداً نظرت إلى تلك الموضوعات نظرة هامشية تنتقص من شأن الترفيه، دون أن يقودهم الأمر إلى النظر إليه بوصفه

مظهراً من مظاهر التحضر، ووجهاً من أوجه التطور الذي شهده أفق المسلم الذي تفاعل على نحو خلّاق مع حضارات العالم الكبرى، وأفاد بقدر ما منح، وأعطى لها من قيم ومعارف وفنون وعلوم وآداب. وتطرق الكتاب المعنون بـ (الترفيه في العراق والشام من العصر العباسي الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي.. نماذج مختارة). بدراسة نماذج مختارة عن الترفيه في العراق والشام من خلال الوقوف على وسائل الترفيه الأكثر دلالة وتعبيراً، لما وصلت إليه من مظاهر حضارية، ووسائل ترفيه لم تلبث أن تنامت واتسعت في مراحل تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

ومن أهم النتائج المستخلصة من الدراسة، وأبرزها: إن الترفيه جزء من صميم الحياة الإسلامية وفطرة الناس، فليس المسلم كائناً حزيناً أو جاداً محضاً، وإن العصر العباسي كان بحق عصر التألق والازدهار العلمي والفكري والفني، ففيه دُونت العلوم، واستقرت الدواوين، وانتعش الاقتصاد، ورُفهت حياة الناس في الحواضر والبوادي، وبرهن المجتمع العباسي بطبقاته جميعها على مشاركته الفعالة في الحياة الثقافية، ودعم السلطة وأصحاب الاختصاص بالاهتمام والعناية، وإن صناعة الجمال والذوق والمرح في مجتمع المسلمين خلال عصور الازدهار كانت من بين الصناعات الثقيلة التي ارتقت بالإنسان روحاً وذَوْقاً وسلوكاً، وينبثق من نفس مؤمنة متوازنة، لم يكن

الترفيه في الحضارة الإسلامية ترفيهاً فردياً يعتمد على اللذة الشخصية والمتعة النفسية الفردية، بل هو في الأغلب الأعم ترفيه جماعي، يوثق العلاقات بين أفراد المجتمع، ويشعر الأفراد بروح الفريق والجماعة، وهو ما تتمناه سائر الجماعات والأمم لأفرادها، من ذلك: مسألة المناظرات والحوارات والألغاز والمعميات وفنون الشعر والمقامات. وتبرز الدراسة أن المجتمع العباسي شهد إبداعاً في الألعاب بمختلف أنواعها. إذ ابتُكرت أساليب جديدة، وتنوعت المهارات، ولم يعتمد أناس العصر على ما وجدوه من الألعاب عند الأمم السابقة، بل طوروا واستحدثوا أموراً جديدة أكثر تقدماً وتسليةً وملاءمة، وهنا سرُّ التميز والإبداع. وتبين لنا أن المسلمين شاركوا أصحاب الملل الأخرى أفراحهم، وأظهروا لهم السماحة في الاختلاط بهم، بل اتخذوا أحياناً أعياد غيرهم فرصة لمشاركتهم فيها، وهذا هو منهج الإسلام في التعامل مع ساكنة دار الإسلام من غير المسلمين. وغيرها من النتائج التي يطول الحديث عنها، والتي ذُكرت في الكتاب بشيء من التفصيل.

من أبرز مؤلفاتك «النسيج في مصادر التراث العربي»، الصادر عن معهد الشارقة للتراث، فلِمَ انشغالك بهذا الأمر، وما هي أبرز محتوياته؟

طبعاً الكتاب طُبع تزامناً مع ملتقى الشارقة الدولي للحرف التقليدية عام 2023م تحت شعار (النسيج والسجاد)، وبطبيعة الحال كانت مشاركتي في التطرق والحديث عن النسيج في مصادر التراث العربي وكيف أن تلك المصادر التاريخية تطرقت إلى حيثيات دقيقة في عالم النسيج. وللنسيج أهمية كبيرة، وتأتي هذه الأهمية في أنها تلقي الضوء على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية للشعوب، وتُعد من أهم المؤشرات على حضارات الأمم، وتكشف جانباً عريضاً من ثقافة الشعوب وذوقها. فالنسيج تمت حياكته من المواد المختلفة والنقوش والزخارف المتنوعة، ولُوّن بالأصباغ ذات الألوان الطبيعية التي تظهر العنصر الجمالي القائم على الإبداع والتقليد والتطور في هذه الصناعة، وهي بدورها تكشف عمّا وصلت إليه الحضارة الإسلامية من رقي في صناعاتها الحياتية المختلفة ■

كاتب وقاص مغربي

الشاعرة وسمية العازمي «عابرة سبيل»

مريم النقبي

هذه الشاعرة لم ولن تتكرر، هي البصمة الفارقة المتفردة في ساحة شاعرات الخليج، لم تكن الشاعرة عابرة سبيل شاعرةً عابرةً والسلام، بل كانت الرقم الأصعب بين الشاعرات، ومازال وهجها حاضراً رغم سنوات الغياب. ومازالت قصائدها تتربع على عرش الجزالة والتفرد والإبداع. وهي الشاعرة التي رثت نفسها شعراً وتفوقت في مرثيتها لنفسها التي أبكت كل من قرأها . وسمية هويدي العازمي (عابرة سبيل) شاعرة كويتية توفيت عام 2003، وهي في منتصف الثلاثينيات مع عمرها تاركة لنا إرثاً شعرياً كبيراً ومهماً وفارقاً. كانت الشاعرة إنسانة بسيطة جداً وهادئة تكره الإعلام وقد كانت تخفي شاعريتها عن الجميع، ولم تكشف عن ذلك لزوجها إلا بعد مرضها، رحمها الله. وقد تولى زوجها بعد ذلك طباعة ديوانها الشعري الوحيد (عابرة سبيل) ونشرت بعض الصحف والمجلات عدداً من قصائدها التي مازالت تتردد في المجالس وعلى ألسنة الرواة والشعراء.

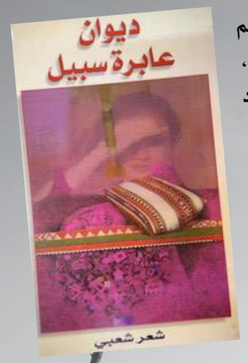

نماذج من قصائدها:

تقول الشاعرة في قصيدتها التي أهدتها لأمّها:

يا مملكـــة عطـف يا عطـــر الرياحيني
براثـــــن الهـــم والهوجـــاس تلسعنـي
بسمتك عنـــــدي إلى من ضقت تكفيني
ورضاك عنـي عـــن الأحـــزان يرفعنـي
أسمـى العلاقـات تربط بينـك وبينـي
ياللي احضانـك ان ضاق الكون تَسَعنـي
لك احترامـي وحبـي والوفـا فينـي
وفيك أروع الحـب ما يخطـي ويخدعنـي

وفي قصيدة «العيد باكر»:

العيـد باكـــر أسعـد اللـه ممساك
واللـــه مـدري ويـن خـدٍ جلستـه
وين انـت يالـلـي عيدنـا في محياك
كف القـدر من ضيقـة الخـلق بستـه
من يـوم ما لوحـت لـي كـف يمنـاك
لليـــوم دمعـي بالخفـا مـا حبستـه
ومـن يـوم ماذوقتنـي حـر فرقـاك
والياس زرعـه في حياتـي غرستـه
شريـت لـي ثـوبٍ علـي شـان لقياك
والثـوب راحـت موضتـه مالبستـه
وشريـت عطـرٍ مـا زهانـي بليـاك
أربـع سنيـن بعلبتـه مالمستـه
ودفتـر قصيـدٍ كـل يـوم يترجـاك
مافيـه يومٍ مـاسهـرت ودرستـه

وتعتبر قصيدة (الوصية) من أهم القصائد في تجربتها الشعرية وقد نالت شهرة واسعة وتركت أثراً كبيراً على المتلقي، وهي آخر قصيدة كتبتها الشاعرة قبل وفاتها وكتبت فيها وصيتها:

تقول في قصيدتها (الوصية):

تـرى الذبايـح واهلهـا ماتسلينـي
انـا ادري ان المـرض لايمكـن علاجـه
ادري تبـي راحتـي يابعـد عينـي
حـرام ماقصـرت ايديـك فـي حاجـه
اخـذ وصاتـي وامانـه لاتبكيني
لوكـان لك خاطـرن مـاودي ازعاجـه
ابيـك فـي ايدينـك تشهدني وتسقيـني
وداعتـك لايجـي جسمـي بثلاجـة
لـف الكفـن في ايديك وصـف رجليني
ماغيرك احدن كشـف حسنـاه وحراجـه
ابيـك بالخيـر تذكرنـي وتطرينـي
يجيرني خالقـي مـن نـار وهاجـه
سامـح اللـي جـرى مابينـك وبينـي
ايـام امشـي عـدل وايـام منعاجـه
اعيالي همي وانـا اللـي فـي يكفينـي
علمهـم الديـن تفسيـره ومنهاجـه ■

شاعرة وباحثة إماراتية

خروفة أم الدياية

فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

إن هذه الخروفة سمعتها من عمتي فاطمة بنت ناصر المزروعي، خلال إحدى زياراتها لأبوظبي، دوّنتها في منتصف التسعينيات من القرن الماضي. حيث حَرِصت خلال هذه الفترة على جمع الخرايف، من أهل أبوظبي. تبدأ الخروفة بحكاية امرأة عاقر، ليس لديها أولاد حتى أنها تمنت أن يرزقها الله ببنت، حتى لو كان لها جرف دجاجة (أي جلد دجاجة وريش). استجاب الله لدعواتها وأمنيتها كما طلبت بالضبط. أعطاها كما تمنت، بنتاً غاوية (جميلة) لكن لها ما للدجاج من جلد وريش. كبرت البنت، وصار عمرها خمسة عشر عاماً. ولم يعرف أحد سرّها؛ لأنها قليلة الاختلاط بالناس؛ ولأن ملابسها تخفي تحتها الريش، وهي لا تتحول إلى دجاجة إلا في بعض الحالات. وفي يوم من الأيام ذهبت وحدها إلى البحر حتى تستحم، تأكدت أن (السيف) أيّ الشاطئ خال من الناس. خلعت ريشها ووضعته تحت الشجرة. وقسم الله لابن الشيخ أن يراها، وهي راجعة من البحر، باتجاه البيوت. أحبّها، وتعلق بها رغم أنها رآها مرة واحدة. وزاد من مرضه أنه لا يعرف من هذه البنت، ولا أهلها. وصعب عليه أن يقول إنه رآها تستحم في البحر، فأي بنت هذه؟ مرض مرضاً شديداً، فجاؤوا له (بالمطاوعة) أي علماء الدين ليقرؤوا عليه، على عادة أهل البلاد في العلاج بالأعشاب، والرقية. ظل الشيخ مريضاً، لا تفارقه الحمى، مغطى بسبعة مطارح. تذكروا أنه هناك امرأة مشهورة بالقصص والخرايف. وهي تسكن في طرف المدينة. جاءت إليه، وصارت تقصّ عليه القصص، خروفة وراء خروفة. ولم تترك أي خروفة تعرفها حتى انتهت معظم خرايفها، فحكت له عن خروفتها. كانت أول مرة تتكلم عن ابنتها، وما حدث لها.

حكت له خروفة ابنتها التي لها جرف دجاجة. وعن جمالها الناقص؛ لأن لها جرف دجاجة. سألها عنها؛ حتى يتأكد أنها هي البنت نفسها، التي رآها عند البحر، فتحسنت حالته، ومن فرحته أحس أنه شفي تماماً. طلب من العجوز أن تزوجه ابنتها. فوافقت العجوز فرحة، لم تكن تحلم أن ابنتها ممكن أن تتزوج، فكيف لو كان الزوج ابن شيخ؟ لكن أصحابه عارضوا فكرة زواجه منها؛ لأنه يجب أن يتزوج من هي أفضل منها. فهذه البنت تخفي سرّها تحت ملابسها. عابوا اختياره، قللوا من شأنها ومن مكانتها لكنه أصرّ على الزواج منها. تزوجها، وكتم الأصحاب سرّ البنت الدياية، التي كانت تخلع جرفها بعيداً عن الناس. بعد أيام من الزواج أخذها إلى بيت أهله، فرحوا بها. في الصباح شاهدت العروس أمّ زوجها تخبز، شاهدت فُتات الخبز، وحبات شعير. لم تستطع مقاومة الجوع، فتحوّلت إلى دجاجة بشكل تام، اقتربت من المخبز. تبحث عمّا تساقط من فُتات الخبز والحبوب. صقعتها أمّ الزوج على رأسها (ضربتها). أحست بالدوخة، هربت بسرعة. لم تكن الأمّ تدري أن هذه الدجاجة هي عروس ابنها. حكت العروس لزوجها ما حدث. سكت ولم يعلق.

فكر الزوج في تخليص زوجته من هذه المشكلة، انتظر الوقت المناسب، حتى يكسب ثقتها، ومحبتها. وذات مرة حين ذهبت لتستحم، في المكان نفسه الذي رآها فيه أول مرة. استغل الزوج الفرصة، فأخذ الجرف وقرأ عليه المعوذات وآية كرسي، وحرقه بعيداً عنها، حتى يخلصها منه. فعادت فتاة جميلة طبيعية وعاشت معه حياة سعيدة، ففرح الناس بوجودها وسعدوا ■

هيئـــــة أبوظبـــي للتـــــراث
Abu Dhabi Heritage Authority

إعلان طباعة كتب

وَضَعت هيئة أبوظبي للتراث خُطّةً لرفد المشهد الثقافي الإماراتي بإصدارات متنوعة تَخُصُّ تراث الإمارات وتاريخها؛ قَصْدَ إغناءِ المكتبة التراثية الإماراتية، وفَتْحِ منافذَ معرفيةٍ جديدةٍ أمام الباحثين، وتدعوهم إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها، ليشارك بها في المعارض والفعاليات الثقافية. ويُقدِّمُ لمؤلِّف الكتاب مكافأةً مالية تتراوح بين (10000 - 15000 درهم إماراتي).

شروط النشر:

- أن يَتّصف موضوع الكتاب بالجِدّة، والموضوعية، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفية.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً، أو مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغةُ الكتابِ العربيّةَ الفصيحة المُصحَّحة لغوياً.
- ألا يكون الكتاب مترجَماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجية العلمية في التأليف، والأمانة العلمية، والنهْل من المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش أسفلَ كلِّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب.
- أن يُرسَل الكتاب بصيغة الوورد، مرفَقاً بملخَّص من نحوِ مئتي كلمة باللغة العربية، وبنبذة مختصرة عن سيرة المؤلِّف العلمية.
- أن يكون عدد كلمات الكتاب بين 30 و70 ألف كلمة.
- تَتَولّى هيئة تحكيم مختصة مراجعةَ الكتاب وتقييمَه وإصدارَ قرار نهائي بشأن طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله. وفي حال الموافقة، يلتزم الكاتبُ بإجراء التعديلات المقترحة.
- مدة العقد خمس سنوات.
- تُرسَل الكتب بصيغتَي Word وPDF إلى الإيميل التالي: torathbook@ehcl.ae